المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
مذكرة تعريفيه بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الجاثية"

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وجعله نوراً يهدي به من يشاء من عباده إلى صراط العزيز الحميد. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد، خاتم النبيين، الذي أوتي جوامع الكلم، وفضل على سائر المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فهذه مذكرة تعريف بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الجاثية" ، تأليف الباحث المحامى أحمد عبد الرزاق مربوش العامري، حفظه الله ورعاه، وبارك في جهوده، وجعل ما كتبه في ميزان حسناته.

وإننا إذ نقدم هذه المذكرة لطالب العلم والقارئ الكريم، نرجو أن تكون خير زاد يسير به في رحاب سورة الجاثية، ويفكك به رموزها، ويقف على أسرارها، ويذوق حلاوة تدبرها، ويعيش معانيها في قلبه ووجدانه، قبل أن يقرأها بلسانه أو يحفظها في جنانه.

نبذة عن المؤلف

المحامي أحمد عبد الرزاق مربوش العامري

من الباحثين المعاصرين المهتمين بالتفسير الموضوعي والتدبر القرآني، يتميز أسلوبه بالجمع بين العمق العلمي والجمال الأدبي، وبين التحليل الفكري والوجدان الروحي. له اهتمام خاص بدراسة المفاهيم القرآنية واستخراج أبعادها النفسية والتربوية والحضارية، ويتجلى ذلك بوضوح في هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

يمتلك المؤلف رؤية تجديدية في التعامل مع النص القرآني، حيث يخرج به من الإطار التقليدي إلى آفاق أوسع من التدبر والتحليل الموضوعي، ويجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الرجوع إلى أمهات كتب التفسير واللغة والبلاغة، وبين تقديم رؤية حضارية معاصرة لقضايا الأمة.

لقد جعل الله على يديه خدمة جليلة لكتاب الله، بتقديم هذا العمل الذي يعد بحق مرجعاً مهماً لكل من أراد أن يتدبر سورة الجاثية بعمق، ويرى فيها أكثر من مجرد آيات تتلى، بل جراحة روحية، ومنهج حياة، ودستوراً للنهوض الفردي والمجتمعي.

نبذة عن المراجع والمصحح

الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى

صاحب الفضل في مراجعة هذا الكتاب وتدقيقه، بما له من خبرة في مجال التحقيق العلمي والتدقيق اللغوي والشرعي. وقد قام بهذه المهمة بدقة متناهية وأمانة علمية، مما أضفى على الكتاب مزيداً من الثقة والمتانة، وجعله أهلاً ليكون مرجعاً معتمداً لمن يريد الاستزادة من هذا العلم النافع.

نسأل الله أن يجزيه خير الجزاء على ما قدم من جهد في سبيل خدمة كتاب الله.

تعريف بالكتاب

"المفاهيم القرآنية من سورة الجاثية"

هو كتاب يتناول سورة الجاثية بالدراسة والتحليل، ويقدم رؤية جديدة لها، لا تقف عند حدود التفسير التقليدي، بل تتجاوزه إلى آفاق أرحب من التدبر الموضوعي، والتحليل النفسي، والتربوي، والفكري، و الحضاري.

يصف المؤلف السورة بأنها "جراحة روحية عميقة" تستهدف استئصال أورام الكبرياء والطغيان المادي، وإعادة الوعي والإنسانية إلى جوهري التكريم الإلهي والمسؤولية. وهو يراها أيضاً "روشتة إلهية" لتحرير الإنسان المعاصر من أسر المادية المتعجرفة، و"بياناً إلهياً" لمواجهة تحديات العصر.

يقع الكتاب في 106 صفحات، ويضم دراسة تحليلية متكاملة لآيات السورة، مرتبة حسب تسلسلها في المصحف، مع تقديم تفسير إجمالي، وتحليل بلاغي وتركيبي، واستخراج الدروس والعبر، والتطبيقات العملية، وصولاً إلى المفاهيم الأساسية والمقاصد الكبرى.

يمثل هذا الكتاب مشروعاً فكرياً متكاملاً، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين العلم والروح، وبين الفكر والوجدان، وبين النظرية والتطبيق. وهو بحق إضافة نوعية في مجال التفسير الموضوعي و التدبر القرآني.

منهجية الكتاب

اعتمد المؤلف في كتابه منهجية متكاملة ومتنوعة الأبعاد، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً: المنهج التحليلي التركيبي

يقوم هذا المنهج على دراسة النص القرآني من خلال تحليل عناصره التركيبية والبلاغية، فيقف عند كل لفظة وكل تركيب وكل إشارة بلاغية، محللاً إياها من زوايا متعددة. ويدرس دلالات الحروف المقطعة مثل "حم"، وأسماء الإشارة مثل "تلك" و"هذا"، وأساليب الاستفهام الإنكاري، وصيغ التوكيد و القسم، والعلاقات النحوية بين الجمل، ودلالات التقديم والتأخير، والالتفاتات البلاغية في الخطاب. ويستند في هذا التحليل إلى أمهات كتب اللغة والبلاغة، مثل "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، و "الكشاف" للزمخشري، و"معجم مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني، و"لسان العرب" لابن منظور.

ثانياً: المنهج الموضوعي المتكامل

يتجاوز المؤلف منهج التفسير التسلسلي التقليدي إلى التفسير الموضوعي الذي يربط آيات السورة بعضها ببعض، ويربط سورة الجاثية بسور أخرى، خاصة سورة الدخان، مبرزاً العلاقات العضوية بين النصوص. ويدرس السورة كوحدة متكاملة ذات بناء هندسي محكم، لكل جزء منها مكانته ودوره في خدمة الرسالة الكلية للسورة، ويربط بين موضوعاتها المختلفة: التوحيد، النبوة، المعاد، الشريعة، الجدال مع المشركين، مشاهد القيامة، خاتمة السورة بالتسبيح والتحميد.

ثالثاً: المنهج النفسي والتربوي

يمثل هذا المنهج سمة بارزة ومميزة للكتاب، حيث يحلل الآيات من زاوية تأثيرها النفسي على المتلقي ، وكيف تعمل على بناء الشخصية المسلمة المتكاملة. ويدرس الآثار النفسية للحروف المقطعة ودورها في إيقاظ الوعي وكسر الجمود الفكري، ويحلل مشاهد الآيات الكونية وأثرها في توليد الخشوع و الرهبة والطمأنينة. ويستخرج الدروس التربوية من كل آية، ويحولها إلى خطوات عملية يمكن تطبيقها في تربية النفس وتربية الآخرين، ويهتم ببناء الفضائل الأخلاقية والنفسية: التواضع، الصبر، العفو، الا نضباط، الثقة بـالله، اليقين، الزهد، المرونة، العزة الإيمانية.

رابعاً: المنهج الحضاري والتنموي

يقدم الكتاب قراءة حضارية للآيات، مستخرجاً منها نموذجاً متكاملاً للتنمية البشرية والمجتمعية، ويربط بين آيات التسخير في الكون ومفاهيم التنمية الاقتصادية والعلمية والفكرية والروحية. ويبني رؤية لنهضة الأمة على أساس من الوعي والإيمان والانضباط بالمنهج الرباني، ويعالج قضايا الحضارة المعاصرة من منظور قرآني: أزمة الهوية، الانبهار بالغرب، فوضى القيم، الاستهلاك المادي، الإعلام،

الثقافة، العلاقة بين الدين والعلم، مفهوم التقدم والتحضر.

خامساً: المنهج الجدلي والرد على الشبهات

يعتمد الكتاب أسلوباً جدلياً في مواجهة الفكر المادي والإلحادي، حيث يعرض حجج الخصوم بأمانة، ثم يفندها بالحجة العقلية والدليل القرآني والبرهان الكوني. ويتبع أسلوب الحوار والمناقشة، مستخدماً أساليب الاستفهام الإنكاري والتحدي والتعجيب، وكاشفاً التناقضات الداخلية في الفكر المادي، ويقدم إجابات عملية عن الأسئلة الوجودية الكبرى: من أين جئنا؟ لماذا نحن هنا؟ إلى أين نمضي؟

سادساً: المنهج التفاعلي التطبيقي

يتسم الكتاب بأسلوب تفاعلي مباشر مع القارئ، إذ يخاطبه بـ "أيها المؤمن"، "أخي"، ويدعوه للتأمل و المشاركة الوجدانية، ويطرح عليه الأسئلة الاستنكارية ليحاسب نفسه. ويقدم تطبيقات عملية لكل مجموعة من الآيات، محولا ً المعاني النظرية إلى سلوكيات ملموسة في الحياة اليومية، ويوجه القارئ إلى كيفية التعامل مع الآيات في مواقفه المختلفة: في الصلاة، العمل، الأسرة، المجتمع، مواجهة الشبهات، التعامل مع الإعلام، بناء العلاقات، اتخاذ القرارات.

أبرز ما يميز الكتاب

أولا ً: الجرأة في الطرح والتجديد في المنهج

يقدم الكتاب قراءة جديدة لسورة الجاثية، لا تقف عند حدود التفسير التقليدي، بل تتجاوزها إلى آفاق أرحب، وصفاً وتحليلا ً واستنتاجاً، ويجرؤ على تقديم رؤى جديدة، وطرح أسئلة عميقة، واستخراج د لالات لم تطرق من قبل.

ثانياً: التكامل المعرفي بين العلوم المختلفة

يجمع الكتاب بين علوم متعددة: التفسير، علم الكلام، الفقه، أصول الفقه، علم النفس، التربية، علم الا جتماع، الفلسفة، التحليل الحضاري، علم البلاغة، مما يثري النص ويجعله شاملا ً ومتنوعاً، ويقدم للقارئ رؤية متكاملة ومتعددة الأبعاد.

ثالثاً: الربط بين النص والواقع المعاصر

يقدم الكتاب رؤية ترتبط بواقع الإنسان المعاصر، وتعالج قضاياه وتحدياته، وتقدم له حلولا ً عملية من وحي القرآن، مما يجعله كتاباً حياً، قريباً من قلب القارئ وعقله، وليس مجرد كتاب نظري جاف.

رابعاً: الأسلوب الوجداني المؤثر

يمتاز أسلوب الكتاب بالوجدانية العميقة، واللغة الأدبية الجميلة، والصور البيانية المبدعة، والتفاعل المباشر مع القارئ، مما يجعله مؤثراً في القلوب والنفوس، وليس مجرد إضافة معرفية للعقل.

خامساً: التطبيقات العملية الملموسة

يقدم الكتاب تطبيقات عملية لكل مجموعة من الآيات، محولا ً المعاني النظرية إلى سلوكيات ملموسة ، مما يساعد القارئ على تحويل ما تعلمه إلى واقع يعيشه، ويجعله ينتقل من القراءة إلى التدبر، ومن التدبر إلى التطبيق.

لمحة عن محتويات الكتاب

يتناول الكتاب سورة الجاثية من خلال سبع وثلاثين آية، حيث يقدم لكل آية أو مجموعة آيات التفسير العام لفهم معنى الآيات في سياقها العام، والتحليل البلاغي والتركيبي لدراسة الألفاظ و

التراكيب والإشارات البلاغية، واستخراج الدروس والعبر التي تستفيدها النفس والعقل من هذه الآيات، والتطبيقات العملية لكيفية عيش هذه الآيات في الحياة اليومية، والربط بالقضايا المعاصرة وكيف تواجه هذه الآيات قضايا العصر وتحدياته.

ويشمل الكتاب المحاور التالية: الحروف المقطعة "حم" وصدمة الوعي الإيجابية، وآيات الله في الآفاق والأنفس، والرد على الماديين والدهريين، ومشهد القيامة والأمم الجاثية، والشريعة واتباع الهوى، وعبادة الهوى وخطورتها، والعدل الإلهي وحتمية الجزاء، وخاتمة السورة بالتحميد والتوحيد.

المفاهيم الأساسية في الكتاب

مفهوم الجراحة الروحية: هي عملية استئصال أورام الكبرياء والطغيان المادي من النفس، وإعادة الوعي والمسؤولية إلى جوهر الإنسان المكرم.

مفهوم الوعي: هو إدراك المسؤولية الفردية والمجتمعية في ظل التكريم الإلهي، والاستعداد للقاء الله بـ العمل الصالح.

مفهوم المادية المتعجرفة: هي فلسفة تنكر الغيب، وتؤله المادة، وتنفي البعث والجزاء، وتنسب كل شيء إلى الطبيعة والدهر.

مفهوم الصدمة الإيجابية: هي كسر الروتين الذهني وإيقاظ العقل من غفلته، من خلال الحروف المقطعة وأساليب التحدي والاستفهام الإنكاري.

مفهوم البصائر: هي عيون القلب المتعددة التي تبصر بها الحقائق، وترى ما وراء المادة من معاني وحكم.

مفهوم الشريعة: هي مورد الماء الذي يروي ظمأ القلوب إلى الحق والهداية، وهو المنهج الرباني المتكامل للحياة.

مفهوم الهوى: هو ما تميل إليه النفس وتشتهيه من غير ضابط شرعي، وهو عدو العقل والهدى، ومن اتبعه ضل وأضل.

مفهوم الجثو: هو هيئة الخضوع والذل التي يكون عليها الناس يوم القيامة، وهم ينتظرون الحساب و الجزاء.

مفهوم اليقين: هو أعلى درجات الإيمان، وهو العلم الراسخ الذي لا يتزعزع ولا يشوبه شك، وهو الذي يصل بالعبد إلى مرتبة الإحسان.

---أبرز المحاور والقضايا التي يعالجها الكتاب

المحور الأول: سورة الجاثية كمواجهة للمادية المتعجرفة

يقدم المؤلف رؤية عميقة لسورة الجاثية باعتبارها وثيقة إلهية لمواجهة الطغيان المادي في كل عصر ، وليست مجرد سورة تاريخية تتحدث عن أقوام سابقين. فهو يشخص جذور المادية الفكرية و النفسية التي تتمثل في إنكار الغيب، وتأليه المادة، وإنكار البعث والحساب. ويكشف عن فلسفة الدهريين القائلين: "وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ" ويربطها بالنظريات المادية المعاصرة مثل الداروينية و الماركسية والوجودية.

ويصف السورة بأنها "جراحة روحية عميقة" تستهدف استئصال أورام الكبرياء والغطرسة من النفس البشرية، من خلال إعادة الوعي بحقيقة الوجود، وإحياء الشعور بالمسؤولية الفردية والمجتمعية. ويعرض السورة كروشتة إلهية لتحرير الإنسان المعاصر من أسر المادية المتعجرفة.

المحور الثاني: الربط العضوي بين سورتي الدخان والجاثية

يكشف المؤلف عن العلاقة الوثيقة بين سورتي الدخان والجاثية، مبيناً أنهما تشكلان مساراً متكاملاً في المواجهة مع الماديين والملحدين. فسورة الدخان تمثل مرحلة الإنذار والمحاكمة، حيث تقدم الوعيد والترقب، وتختتم بقوله تعالى: "فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ". ثم تأتي سورة الجاثية مباشرة لتنفذ هذه المحاكمة، وتقدم مشهد الحساب والعذاب، وتسترد إنسانية الإنسان المهدرة.

ويرى المؤلف أن هذا الربط العضوي يعكس دقة الترتيب القرآني وبديع تنظيم النصوص، وكيف أن كل سورة تؤدي دوراً محدداً في منظومة المواجهة القرآنية مع الباطل.

المحور الثالث: الحروف المقطعة "حم" كصدمة إيجابية للوعي

يقدم المؤلف تحليلاً فريداً للحروف المقطعة في افتتاح السورة، واصفاً إياها بـ "الصدمة الإيجابية" للوعي، والتي تهدف إلى كسر الروتين الذهني وإيقاظ العقل من غفلته. فهو يرى أن الله تعالى بدأ بها ليوقظ المتلقي، وليجعله في حالة تأهب وترقب، وليثير فضوله للاستماع إلى ما سيأتي بعدها من كلام عظيم.

ويحلل دلالاتها النفسية والتربوية والبلاغية، مبيناً كيف تعمل على إثارة الفضول المعرفي، وكسر حاجز المألوف، وتوليد الرهبة والتشويق، وتحضير العقل والقلب لتلقي التنزيل الإلهي. ويصفها بأنها "معجزة هندسية" تثبت عجز البشر عن الإتيان بمثلها رغم بساطة حروفها.

المحور الرابع: آيات الله في الآفاق والأنفس

يعالج الكتاب مشهد الآيات الكونية في قوله تعالى: "إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ" و "وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ" و"وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ".

ويفصل في هذه الآيات من عدة جوانب: الجانب العلمي الكوني، والجانب الإيماني، والجانب النفسي، والجانب التربوي، والجانب الحضاري التنموي. ويستنبط منها دروساً في: التوحيد، والبعث، والنشور، و القدرة الإلهية، والحكمة، والرحمة، والتنمية المستدامة، واستثمار الوقت، واليقظة الفكرية.

ويبرز الفرق بين رؤية المؤمن ورؤية المادي للكون، فالمؤمن يرى في الشمس والقمر والنجوم والمطر والرياح آيات على قدرة الله وحكمته، بينما يراها المادي ظواهر طبيعية صماء لا معنى لها.

المحور الخامس: مشهد المحاكمة الإلهية الكبرى

يتناول الكتاب مشهد القيامة في قوله تعالى: "وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً" و"هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ" و"الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"، واصفاً إياه بالمشهد الختامي المهيب الذي تتجلى فيه الحقيقة الكبرى.

ويصور الكتاب هذا المشهد بأسلوب حي مؤثر، يجعله كأنه يحدث أمام أعين القارئ، فيرى الأمم جاثية على الركب تنتظر كتابها، ويسمع الكتب وهي تنطق بالحق، ويشهد المبطلين وهم يخسرون، ويشعر بالرهبة والخشية التي تملأ القلوب في ذلك اليوم العظيم.

ويكشف عن دروس هذا المشهد في ترسيخ عقيدة البعث والجزاء، وفي إثبات العدل الإلهي المطلق، وفي تحذير المستهزئين والمكذبين، وفي تثبيت المؤمنين على يقينهم.

المحور السادس: الشريعة كمنهج حياة

يعالج الكتاب مفهوم الشريعة كما ورد في قوله تعالى: "ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"، ويقدم فهماً عميقاً للشريعة بأنها "مورد ماء" للحياة، وليست مجرد طقوس أو تشريعات جامدة.

ويبين أن الشريعة هي المنهج الإلهي المتكامل الذي يضبط حياة الإنسان في كل مجالاتها، ويمنحه الطمأنينة والاستقرار، ويحرره من عبودية الأهواء والناس والموضات. ويحلل الفرق بين اتباع الشريعة واتباع الهوى، وكيف أن اتباع الهوى يؤدي إلى الضلال والتمزق والقلق.

ويتناول موضوع الاجتهاد والتجديد في ظل الشريعة، مفرقاً بين التجديد المشروع الذي يتحرك داخل إطار الشريعة، وبين اتباع الهوى الذي يصطدم بالنصوص ويحاول تغييرها لتوافق الأهواء.

المحور السابع: مواجهة عبادة الهوى والمادية

يعالج الكتاب قوله تعالى: "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً"، ويقدم تحليلاً عميقاً لظاهرة عبادة الهوى التي تعد أخطر أصنام العصر.

ويكشف المؤلف عن مراحل تحول الإنسان من عبد لله إلى عبد لهواه، مبيناً كيف يبدأ الأمر بانحراف بسيط في الرغبات، ثم يتطور إلى تأليه الهوى، ثم إلى انغلاق القلب والسمع والبصر عن الحق، ثم إلى الختم الإلهي على هذه الحواس جزاءً وفاقاً.

ويبين الفرق بين عابد الله وعابد الهوى في خمسة أمور: في مصدر المحبة والكراهية، وفي مرجعية التشريع، وفي معيار الحلال والحرام، وفي الغاية من الحياة، وفي المصير النهائي. ويكشف عن الآثار المدمرة لعبادة الهوى على العقل والقلب والسلوك والمجتمع.

المحور الثامن: نظرية العدل الإلهي

يتناول الكتاب قوله تعالى: "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" و"وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ".

ويقدم المؤلف تحليلاً عميقاً لنظرية العدل الإلهي، مبيناً أنها تقوم على مبدأين أساسيين: الأول هو أن الله خلق الكون بالحق، أي بالعدل والحكمة، وليس عبثاً أو لغواً. والثاني هو أن الجزاء على العمل حتمية كونية، فلا يمكن أن يستوي المحسن والمسيء في الدنيا والآخرة.

ويكشف عن الآثار التربوية والنفسية لهذه العقيدة، فهي تبعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين بأن العدل آتٍ لا محالة، وتزرع الخوف في قلوب الظالمين بأن العقاب قادم لا مفر منه. وتحرر الإنسان من القلق واليأس، وتدفعه إلى العمل الصالح والإحسان.

المحور التاسع: فقه الرد على الشبهات

يقدم الكتاب فقهاً متكاملاً للرد على شبهات الماديين والملحدين، مستنداً إلى منهج القرآن الكريم في الحوار والجدال بالتي هي أحسن. ويعرض حجج الخصوم بأمانة، ثم يفندها بالحجة العقلية و الدليل القرآني والبرهان الكوني.

ومن أبرز الشبهات التي يعالجها الكتاب: شبهة إنكار البعث، وشبهة نسب الحياة والموت للدهر، وشبهة طلب إحياء الآباء كدليل على البعث، وشبهة أن الحياة ما هي إلا حياتنا الدنيا، وشبهة التناقض في القرآن، وشبهة استحالة إعادة الخلق بعد الموت.

ويقدم ردوداً عملية قاطعة على هذه الشبهات، مثل: الاستدلال بقدرة الله على الخلق الأول على قدرته على الإعادة، والاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الأجساد بعد موتها، وإبطال نسبة التأثير للدهر لأنه مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

المحور العاشر: التوحيد الخالص في خاتمة السورة

يتناول الكتاب خاتمة سورة الجاثية: "فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"، ويصفها بأنها الخاتمة المشرقة التي تجمع كل معاني السورة وتصعد بها إلى ذروة التوحيد.

ويبين دلالات هذا الختام الرائع: فهو إعلان بأن الحمد لله وحده، فهو المستحق لكل ثناء وحمد في جميع الأوقات والأحوال. وهو إعلان بأن الكبرياء لله وحده، وأن كل متكبر في الأرض مصيره الذل والهوان. وهو إعلان بأن العزة لله وحده، وأن كل عزة سواه فهي زائفة ومؤقتة. وهو إعلان بأن الحكمة لله وحده، وأن كل ما يجري في الكون يجري بحكمة بالغة.

ويمثل هذا الختام تاجاً للسورة، حيث يعيد التوحيد الخالص إلى مركز القلب، ويقتلع جذور الشرك و الكبر والاستكبار من النفس، ويرد العزة والكبرياء إلى الله وحده.

المحور الحادي عشر: بنية الشخصية المسلمة المتكاملة

يقدم الكتاب نموذجاً متكاملا ً للشخصية المسلمة، مستخلصاً من آيات السورة. ويحدد ملامح هذه الشخصية في عدة صفات: الإيمان الراسخ بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح المستمر، والانضباط بـ الشريعة، واليقين الذي لا يتزعزع، والتواضع الذي يقتلع جذور الكبر، والعزة الإيمانية التي لا تخضع للباطل، والصبر والثبات في مواجهة الفتن، والمرونة والحكمة في التعامل مع التغيرات، والرحمة و العفو مع المسيئين، والتفكر والتدبر في آيات الله، والشكر الدائم على النعم.

ويبين كيف تتحقق هذه الصفات من خلال التفاعل مع القرآن الكريم، والتأمل في آياته، وتطبيق تعاليمه، والارتباط بالله في السراء والضراء.

المحور الثاني عشر: قضايا معاصرة يعالجها الكتاب

يعالج الكتاب مجموعة من القضايا المعاصرة الملحة من منظور قرآني، منها:

مواجهة الإلحاد والمادية الجديدة، من خلال تقديم الأدلة العقلية والكونية على وجود الله وقدرته وحكمته، وكشف تناقضات الفكر المادي.

معالجة أزمة الهوية والانبهار بالغرب، من خلال تعزيز الثقة بالمنهج الإسلامي، وإعادة تعريف معنى التقدم والتحضر، والتمييز بين الحضارة المادية والقيم الروحية.

مواجهة حرب الشبهات والإعلام المستهزئ بالدين، من خلال تحصين العقل باليقين، وتعزيز العزة الإ يمانية، وعدم الانخداع بضجيج الإعلام.

تقديم نموذج إسلامي للتنمية المستدامة، من خلال الربط بين الإيمان والعمل، وبين الروح والمادة، وبين العبادة والتنمية.

بناء الشخصية المسلمة المستقلة، من خلال تحرير العقل من التبعية الفكرية، وتأصيل القيم والمواقف في ضوء الوحي.

تربية الأبناء على اليقين لا التقليد، من خلال تقديم القدوة العملية، وزرع الأسئلة، وتحفيز التفكر و التدبر.

معالجة القلق الوجودي والخوف من الموت، من خلال ترسيخ الإيمان بالبعث والجزاء، وتقديم الموت كقنطرة إلى الحياة الأبدية.

معالجة الانحرافات الفكرية والسلوكية، من خلال كشف جذورها النفسية والاجتماعية، وتقديم العلاج الرباني لها.

أسلوب الكاتب

أولا ً: الأسلوب الوجداني المؤثر

يمتاز أسلوب الدكتور أحمد عبد الرزاق مربوش العامري بالوجدانية العميقة، فهو لا يخاطب العقل فقط، بل يخاطب القلب والروح والعاطفة معاً. يستخدم لغة مشبعة بالصور البيانية والتشبيهات والا ستعارات التي تثير المشاعر وتحرك الوجدان، وتجعل القارئ يشعر بأن الآيات تنزل على قلبه مباشرة.

وهو كثيراً ما يستخدم ضمير المخاطب الفردي "أنت" و"أيها المؤمن" و"أخي" ليشعر القارئ بأنه مخاطب مباشر من الله، وأن هذه الرسالة موجهة إليه شخصياً. وهذا الأسلوب يخلق حالة من

التفاعل الوجداني العميق، ويجعل القارئ يتفاعل مع النص كما لو كان في محضر إلهي مهيب.

ثانياً: الأسلوب التعليمي التفاعلي

يتسم الكتاب بأسلوب تعليمي تفاعلي يطرح الأسئلة على القارئ ويدعوه للتأمل والمشاركة. فهو يستخدم أسئلة مثل: "ما معنى هذا؟"، "لماذا قيل هذا؟"، "كيف نعيش هذه الآية في واقعنا؟"، ويدعو القارئ للإجابة على هذه الأسئلة في نفسه، مما يخلق حالة من التفاعل الذهني والوجداني مع النص.

وهو يستخدم أيضاً أسلوب العرض المسرحي، حيث يصور المشاهد القرآنية وكأنها تحدث أمام عيني القارئ، ويصف المواقف والأحوال والأصوات والمشاعر، مما يجعل القارئ يعيش النص وكأنه جزء منه.

ثالثاً: الأسلوب البلاغي الأدبي

يمتلك المؤلف قدرة بلاغية متميزة، فهو يستخدم اللغة العربية الفصيحة بأسلوب أدبي جميل، يتقن استخدام الصور البيانية، والجناسات، والطباق، والتشبيهات البديعة. وهذا الأسلوب يثري النص ويجعله ممتعاً وجميلاً، ويضفي عليه جمالية أدبية تزيد من تأثيره.

وهو يستخدم التنويع في الأساليب بين الخبري والإنشائي، وبين الإيجاز والإطناب، وبين الأسلوب العلمي الرصين والأسلوب الوجداني الشفيف، مما يجعل النص متنوعاً ومشوقاً.

رابعاً: الأسلوب التدرجي المنهجي

يسير الكتاب وفق منهج تدرجي منظم، يبدأ بتقديم المقدمة العامة للفكرة، ثم يعرض الآيات، ثم يحللها تحليلاً مفصلاً من جوانب متعددة، ثم يستخرج الدروس والعبر، ثم يقدم التطبيقات العملية، ثم يختتم بالخلاصة. وهذا التدرج يساعد القارئ على متابعة الأفكار والاستيعاب التدريجي للمعاني.

خامساً: أسلوب الربط بين القديم والجديد

يمتاز الكتاب بكونه يجمع بين الأصالة والمعاصرة، حيث يستشهد بأقوال السلف من المفسرين مثل الطبري وابن كثير والقرطبي والرازي والزمخشري، ويستفيد من تراث التفسير واللغة والبلاغة، وفي نفس الوقت يقدم تحليلات معاصرة تعالج قضايا العصر بأسلوب جديد ومتجدد.

وهو يربط بين معاني الآيات وواقع الإنسان المعاصر، ويستنبط منها حلولاً عملية للمشكلات التي يعيشها المسلم اليوم، مما يجعل الكتاب قريباً من قلبه وعقله.

سادساً: أسلوب التكامل المعرفي

يجمع الكتاب بين علوم متعددة: التفسير، وعلم الكلام، والفقه، وأصول الفقه، وعلم النفس، والتربية، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والتحليل الحضاري، وعلم البلاغة. وهذا التكامل المعرفي يثري النص ويجعله شاملاً ومتنوعاً، ويقدم للقارئ رؤية متكاملة ومتعددة الأبعاد.

ما يميز هذا الكتاب عن التفاسير التقليدية

أولاً: في الهدف والغاية

تختلف غاية هذا الكتاب عن غاية التفاسير التقليدية بشكل جوهري، فالتفاسير التقليدية تهدف أساساً إلى بيان معاني الآيات، واستخراج الأحكام الشرعية، وشرح الألفاظ الغريبة، وبيان أسباب النزول، وذكر القراءات، وبيان الإعراب، وهذا هدف نبيل ومهم.

أما هذا الكتاب فيتجاوز ذلك إلى هدف أسمى وأشمل، وهو إحداث "جراحة روحية عميقة" في النفس البشرية، تستهدف استئصال أورام الكبرياء والطغيان المادي، وإعادة الوعي والإنسانية إلى جوهري التكريم الإلهي والمسؤولية. فهو يهدف إلى تغيير الإنسان من الداخل، وتحويل نظرته إلى

الحياة والكون والموت والبعث، وتحريره من عبودية المادة والهوى.

ثانياً: في المنهجية

تختلف منهجية الكتاب عن منهجية التفاسير التقليدية في عدة نقاط:

· التفاسير التقليدية تتبع منهج التفسير التسلسلي آية تلو آية، بينما يتبع هذا الكتاب منهج التفسير الموضوعي المتكامل الذي يدرس السورة كوحدة متكاملة.
· التفاسير التقليدية تركز على الجانب اللغوي والفقهي والتاريخي، بينما يركز هذا الكتاب على الجوانب النفسية والتربوية والحضارية والتنموية.
· التفاسير التقليدية تقدم تفسيراً نظرياً غالباً، بينما يقدم هذا الكتاب تطبيقات عملية للحياة اليومية.
· التفاسير التقليدية تركز على النص لذاته، بينما يركز هذا الكتاب على النص كحل لقضايا العصر.

ثالثاً: في الجمهور المستهدف

تختلف الجمهور المستهدف للكتاب عن التفاسير التقليدية، فالتفاسير التقليدية تخاطب طلاب العلم و المتخصصين، وتتطلب مستوى عالياً من المعرفة الشرعية واللغوية.

أما هذا الكتاب فيخاطب القارئ العام والمفكر المعاصر، وهو مكتوب بلغة سهلة وميسرة، مع الحفاظ على العمق العلمي، مما يجعله في متناول شريحة واسعة من القراء.

رابعاً: في الأسلوب

يختلف أسلوب الكتاب عن أسلوب التفاسير التقليدية بشكل ملحوظ، فالتفاسير التقليدية تكتب بأسلوب أكاديمي جاف غالباً، يركز على المعلومات والأحكام، بينما يكتب هذا الكتاب بأسلوب وجداني مؤثر، تفاعلي، أدبي جميل، يجمع بين العلم والروح، وبين الفكر والعاطفة.

خامساً: في الرؤية الحضارية

تقدم التفاسير التقليدية رؤية دينية وفقهية للآيات، بينما يقدم هذا الكتاب رؤية حضارية متكاملة، تربط بين الدين والحضارة، وبين الإيمان والتنمية، وبين العبادة وبناء المجتمع، مما يجعله كتاباً نهضوياً بامتياز.

سادساً: في الرد على الشبهات المعاصرة

التفاسير التقليدية تتعامل مع شبهات عصرها، ولا تخاطب الشبهات المعاصرة بشكل مباشر، بينما يخصص هذا الكتاب مساحة كبيرة للرد على الشبهات الإلحادية والمادية المعاصرة، ويقدم إجابات عملية مقنعة لها.

دور الكتاب في خدمة الأمة الإسلامية

أولاً: إحياء منهج التدبر القرآني

يقدم الكتاب نموذجاً عملياً متكاملاً لكيفية تدبر القرآن الكريم والتفاعل معه، فهو لا يكتفي بتقديم المعلومات، بل يدعو القارئ إلى التفكر والتأمل والتفاعل الوجداني مع الآيات. وهذا يمثل خطوة مهمة في إحياء منهج التدبر القرآني الذي هو جوهر العبادة والهداية.

ثانياً: مواجهة الغزو الفكري والأيديولوجي

يسلح الكتاب القارئ بأدوات عقلية وإيمانية قوية لمواجهة الشبهات الإلحادية والمادية التي تغزو عقول الشباب اليوم. ويقدم إجابات علمية ومنطقية عن الأسئلة الوجودية الكبرى، ويفند حجج الملحدين والدهريين بأسلوب منهجي مقنع.

ثالثاً: بناء الهوية الإسلامية المعاصرة

يساعد الكتاب على تكوين شخصية مسلمة مستقلة واثقة من هويتها، قادرة على التمييز بين القيم ا لإسلامية والقيم الدخيلة، ومواجهة تحديات العصر دون أن تذوب في الثقافات الأخرى. ويقدم رؤية إسلامية متكاملة للإنسان والحياة والكون.

رابعاً: تقديم رؤية حضارية إسلامية

يطرح الكتاب نموذجاً متكاملا ً للتنمية البشرية والمجتمعية في ضوء القرآن الكريم، يربط بين الإ يمان والعمل، وبين الروح والمادة، وبين العبادة والتنمية، وبين الدنيا والآخرة. وهذا النموذج يمكن أن يشكل أساسا لنهضة إسلامية شاملة.

خامساً: تعزيز اليقين والإيمان

يعالج الكتاب الأزمات الوجودية والقلق النفسي التي يعاني منها كثير من الناس اليوم، من خلال ترسيخ الإيمان باللّه واليوم الآخر، وتقديم رؤية مطمئنة للحياة والموت، وبناء الثقة بالعدل الإلهي و الحكمة الربانية.

سادساً: ترسيخ قيم الوسطية

يجمع الكتاب بين القيم المتكاملة: العزة الإيمانية مع التواضع لله، والعفو عن المسيئين مع الثبات على الحق، والانضباط بالشريعة مع الحكمة والمرونة، والاهتمام بالروح مع البناء المادي. وهذه الوسطية تمثل جوهر المنهج الإسلامي.

سابعاً: خدمة الدعوة الإسلامية

يقدم الكتاب مادة دعوية غنية للخطباء والدعاة والمربين، تشمل خطباً ودروساً ومحاضرات حول سورة الجاثية، وتقدم رؤية متكاملة لمواجهة التحديات المعاصرة. ويمكن استخدامها في المساجد و المراكز الإسلامية والمدارس والجامعات.

ثامناً: بناء المناعة الفكرية

يقوي الكتاب مناعة الشباب الفكرية ضد الأفكار الهدامة والتيارات الضالة، من خلال تقديم المنهج القرآني في التفكير والتحليل والنقد، وتدريب العقل على التمييز بين الحق والباطل، وبين الصدق و الزيف.

الجمهور المستهدف بالكتاب

أولا ً: المسلم المعاصر

القارئ المسلم الذي يعيش في زمن الفتن والتحديات، ويسعى إلى فهم أعمق لكتاب ربه، وإلى إيجاد إجابات مقنعة عن الأسئلة الوجودية التي تطرحها الحضارة المعاصرة. هذا القارئ يجد في الكتاب زادا روحياً وفكرياً يعينه على الثبات في زمن الشبهات.

ثانياً: الدعاة والمربون

من يبحثون عن مادة دعوية وتربوية مؤثرة ومنهجية، يمكنهم استخدامها في خطبهم ومحاضراتهم ودروسهم وبرامجهم التربوية. فالكتاب يقدم تحليلات عميقة ودروساً عملية وأساليب مؤثرة في التأثير على النفوس.

ثالثاً: طلاب العلم الشرعي

الراغبون في تطوير منهجهم في دراسة التفسير الموضوعي، والانتقال من التفسير التقليدي إلى التفسير الحضاري والنفسي والتربوي. هذا الكتاب يقدم نموذجاً متقدماً في هذا المجال.

رابعاً: المفكرون والمثقفون

المهتمون بالقراءة المعاصرة للنص القرآني، والراغبون في استكشاف العلاقة بين القرآن والواقع، وقضايا العصر من إلحاد، ومادية، وهوية، وتنمية، وحضارة. هذا الكتاب يخاطب عقولهم بأسلوب فكري رصين.

خامساً: شباب الأمة

الذين يعيشون صراع الهوية والانبهار بالحضارة الغربية، والذين يتعرضون للشبهات والأفكار الهدامة عبر وسائل التواصل الاجتماعي. هذا الكتاب يقدم لهم سنداً علمياً وإيمانياً، ويبني فيهم الثقة بهويتهم ومنهجهم.

سادساً: الباحثون عن اليقين والطمأنينة

كل إنسان يعيش القلق والاضطراب الوجودي، ويبحث عن إجابات عن أسئلة الحياة الكبرى: من أنا؟ لماذا أنا هنا؟ إلى أين أنا ذاهب؟ ولماذا الشر والظلم؟ هذا الكتاب يقدم له الإجابات المطمئنة و المقنعة.

لماذا يجب أن أقرأ هذا الكتاب؟

أولا ً: لتتحرر من عبودية المادة والهوى

سيساعدك هذا الكتاب على التحرر من الفكر المادي الضيق الذي يحاصر روحك، ويجعلك ترى الحياة مجرد متع زائلة. ستعيد النظر في مفهوم النجاح والسعادة، وستكتشف أن القيمة الحقيقية ليست في جمع المال والجاه، بل في القرب من الله والاستعداد للقائه.

ثانياً: لتتذوق حلاوة الإيمان

بأسلوب وجداني مؤثر، يجعلك الكتاب تعيش الآيات وكأنها تنزل على قلبك مباشرة، فتتذوق حلاوة ا لإيمان، وتشعر بلذة القرب من الله، وتستشعر عظمة القرآن وجماله، وتتحول تلاوته من عادة إلى عبادة منبضّة بالحياة.

ثالثاً: لتكتشف سورة الجاثية كجراحة روحية

ستكتشف أن سورة الجاثية ليست مجرد سورة عادية، بل هي جراحة روحية عميقة تستهدف استئصال أورام الغرور والكبرياء والطغيان المادي من النفس، وإعادة الوعي والمسؤولية إلى جوهري التكريم الإلهي. ستغير هذه الجراحة نظرتك إلى نفسك وإلى الحياة والموت.

رابعاً: لتقوي يقينك باليوم الآخر

سيمدك الكتاب بأدلة عقلية ومنطقية وكونية قوية على حقيقة البعث والجزاء، مما يقوي يقينك ب اليوم الآخر، ويزيل الشكوك والترددات، ويجعلك تعيش الحياة بعين تترقب لقاء الله، وتستعد له ب العمل الصالح.

خامساً: لتتعلم كيف تواجه الشبهات المعاصرة

ستتعلم منهجاً عملياً وفعالا ً في مواجهة الشبهات الإلحادية والمادية، بأسلوب علمي رصين وحجج عقلية مقنعة. ستصبح قادراً على دحض حجج الملحدين والدهريين، والدفاع عن عقيدتك بثقة واقتدار.

سادساً: لتبني شخصيتك المسلمة المتوازنة

سيساعدك الكتاب في بناء شخصية متكاملة تجمع بين العزة الإيمانية والتواضع لله، بين الانضباط ب الشريعة والحكمة والمرونة، بين الاهتمام بالروح والعمل المادي، بين الصبر والثبات في مواجهة

الفتن. هذه الشخصية المتوازنة هي جوهر الخيرية التي وعد الله بها هذه الأمة.

سابعاً: لتجعل حياتك ذات معنى وهدف

في عالم يعيش الفراغ الوجودي والعبثية والضياع، يمنحك الكتاب رؤية واضحة لحياتك ومعناها وغايتها. ستدرك أنك خلقت لعبادة الله وعمارة الأرض، وأن حياتك ليست عبثاً، بل هي رحلة إلى الله، وكل لحظة فيها فرصة للفوز برضوانه.

ثامناً: لتحول القرآن من مجرد تلاوة إلى منهج حياة

ستتعلم كيف تطبق القرآن في كل تفاصيل حياتك، من الصلاة والعمل إلى الأسرة والمجتمع، ومن العلاقات إلى المواقف، ومن الأفراح إلى الأتراح. ستتحول علاقتك بالقرآن من التلاوة إلى التدبر، ومن الحفظ إلى التطبيق، ومن الماضي إلى الحاضر والمستقبل.

تاسعاً: لتحصين نفسك وأسرتك من الانحرافات

في زمن تنتشر فيه الانحرافات الفكرية والسلوكية، يقدم لك الكتاب مناعة قوية تحمي نفسك وأسرتك من هذه الانحرافات، من خلال ترسيخ القيم الإيمانية، وتنمية الوعي الفكري، وتعزيز الانضباط الأخلاقي، وتقديم القدوة العملية.

عاشراً: لتصبح داعية للخير في محيطك

بعد أن تتحول بنفسك، ستتحول إلى نموذج حي للإسلام في محيطك، وستصبح قادراً على نشر الخير والإصلاح في مجتمعك، ودعوة الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمساهمة في بناء نهضة إسلامية شاملة.

ثمار قراءة هذا الكتاب

الثمرة الأولى: يقين راسخ بالله واليوم الآخر

سيغرس الكتاب في قلبك يقيناً راسخاً لا يتزعزع بالله وصفاته، وباليوم الآخر وحقيقته، وبالبعث والجزاء وعدله الإلهي. هذا اليقين سيزيل عنك الشكوك والترددات، ويمنحك ثباتاً في مواجهة الفتن والشبهات.

الثمرة الثانية: طمأنينة نفسية وسكينة قلبية

سيمنحك الكتاب طمأنينة نفسية عميقة وسكينة قلبية دائمة، فتتعامل مع تقلبات الحياة بثبات وهدوء، ولا تقلق على الرزق أو المستقبل، وتثق في تدبير الله وحكمته، وتستشعر قربه ورعايته في كل لحظة.

الثمرة الثالثة: تحرر فكري من المادية والإلحاد

ستتحرر من القيود الفكرية للمادية والإلحاد، وستدرك حقيقة الوجود والبعث، وتفهم أسباب انحراف الماديين، وتتصالح مع فطرتك السليمة، وتعود إلى التوحيد الخالص، وتتخلص من عقدة النقص والانبهار بالغرب.

الثمرة الرابعة: انضباط سلوكي ومنهجي

ستكتسب انضباطاً في عبادتك، وفي عملك، وفي وقتك، وفي علاقاتك، وفي مالك، وفي كل شؤون حياتك .ستصبح إنساناً منظماً، وموثوقاً، ومخلصاً، ومتقناً، يعرف كيف يوازن بين حقوق الله وحقوق الناس وحقوق نفسه.

الثمرة الخامسة: عزة إيمانية حقيقية

ستكتسب عزة إيمانية لا تخضع لضغوط المجتمع أو التيارات الفكرية السائدة .ستكون قادراً على مخالفة الناس في سبيل مرضاة الله، دون خوف أو تردد، مع الحرص على الحكمة والرفق .هذه العزة ستجعلك قدوة ومصدر إلهام للآخرين.

الثمرة السادسة: تواضع حقيقي لله

سيقتلع الكتاب جذور الكبر والغرور من نفسك، ويغرس فيها التواضع الحقيقي لله، فتعرف قدرك الحقيقي أمام عظمة الله، وتدرك أنك خلق من تراب، وأن كل ما أوتيت من نعم فهو من فضل الله لا عن استحقاق .هذا التواضع سيجعلك محبوباً عند الله وعند الناس.

الثمرة السابعة: فهم عميق لآيات الله في الآفاق والأنفس

ستتعلم كيف ترى الكون كله بوصفه كتاباً مفتوحاً من آيات الله، فكل ذرة من ذرات الكون تشهد بعظمة خالقها وحكمته .ستتأمل في السماء والأرض والأنفس والمطر والرياح والليل والنهار، وتراها ببصيرة المؤمن، لا بعين الغافل.

الثمرة الثامنة: استعداد حقيقي للقاء الله

ستعيش الحياة كلها كاستعداد للقاء الله، فتعمل الصالحات، وتتوب من السيئات، وتستعد للموت في كل لحظة، وتجعل الآخرة هي همك الأكبر، مع الحرص على واجبات الدنيا بأمانة وإتقان .وهذا الا ستعداد سيمنحك راحة نفسية لا توصف.

الثمرة التاسعة: رؤية حضارية متكاملة

ستكتسب رؤية حضارية شاملة تبني نهضة الأمة على أساس من الوعي والإيمان والعمل والتنمية المتوازنة .وستدرك أن الإسلام ليس مجرد دين للعبادة الفردية، بل هو مشروع حضاري شامل لبناء ا لإنسان والمجتمع والدولة والاقتصاد والثقافة.

الثمرة العاشرة: علاقة متجددة مع القرآن

ستتحول علاقتك مع القرآن من مجرد تلاوة إلى تدبر وتفكر وتطبيق .ستصبح الآيات نبراساً يضيء طريقك في كل جوانب حياتك، ومرجعاً تحكم به أعمالك وأقوالك وأفكارك .ستصبح من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

الثمرة الحادية عشرة: مناعة ضد الفتن

ستكتسب مناعة قوية ضد فتن الشبهات والشهوات، وستكون قادراً على التمييز بين الحق والباطل، وبين النافع والضار، وبين القيم الإلهية والقيم الوضعية .وهذه المناعة ستحميك من الانزلاق في مستنقعات الانحراف والضياع.

الثمرة الثانية عشرة: قيادة روحية لمجتمعك

ستتحول من متلق للهداية إلى قائد روحاني في مجتمعك، تنشر الخير، وتدعو إلى الله، وتصلح بين الناس، وتوجههم إلى الخير، وتكون قدوة حسنة في العمل والسلوك والأخلاق .وستساهم في بناء مجتمع متماسك قائم على التقوى والعمل الصالح.

اقوال مأثورة من الكتاب

يقول المحامي أحمد عبد الرزاق مربوش العامري في كتابه:

"سورة الجاثية جراحة روحية عميقة تستهدف استئصال أورام الكبرياء، وإعادة الوعي والمسؤولية إلى جوهر الإنسان المكرم."

"الحروف المقطعة 'حم' هي صدمة إيجابية للوعي، تهدف إلى كسر الروتين الذهني وإيقاظ العقل من غفلته، وإثارة الفضول المعرفي، وتحضير القلب والروح لتلقي التنزيل الإلهي."

"الشريعة ليست مجرد أحكام وقوانين، بل هي مورد ماء للحياة، يروي ظمأ القلوب، ويهدي العقول إلى سواء السبيل، ويجعل الحياة كلها عبادة لله."

"عبادة الهوى هي أخطر أصنام العصر، لأنها أخفى من غيرها، وأشد تأثيراً في النفس، وأعظم عواقباً في الدنيا والآخرة، لأن صاحبها يعبد ما لا يدرك ضرره إلا بعد فوات الأوان."

"اليقين ليس مجرد علم، بل هو نور يقذف في القلب، يجعلك ترى الغيب كأنه شهادة، وتعيش الموت كأنه لقاء، وتتعامل مع الدنيا كأنها مزرعة للآخرة."

"الحمد لله رب العالمين، هو خاتمة السورة، وهو تاج العبادة، وهو غاية كل مخلوق، ومنتهاه، وهو الا عتراف بأن كل نعمة فمن الله، وكل فضل فمن عنده."

"من استيقن أن الكبرياء لله وحده، استقام له التواضع، وخلصت له العبادة، وتحقق له الفوز المبين، وانكسرت في نفسه كل أوثان الغرور والاستكبار."

الخلاصة

كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الجاثية" هو مشروع نهضوي روحي وفكري متكامل، يهدف إلى استئصال جذور المادية والطغيان والكبر من النفس البشرية، وإعادة الإنسان إلى جوهره المكرم كخليفة لله في الأرض، وإلى وعيه العميق بمسؤوليته الفردية والمجتمعية.

يقدم الكتاب قراءة معاصرة لسورة الجاثية، بأسلوب يجمع بين العمق العلمي والجمال الأدبي، وبين التحليل النفسي والتربوي والحضاري، وبين الأصالة والمعاصرة .وينطلق من رؤية أن السورة ليست مجرد نصوص تتلى، بل هي جراحة روحية، وروشتة إلهية، ومنهج حياة متكامل.

الكتاب موجه لكل مسلم يبحث عن اليقين والطمأنينة والعزة والانضباط، ويسعى إلى فهم أعمق لدينه، ومواجهة تحديات عصره، وبناء شخصيته على أساس من الإيمان والعمل الصالح .وهو يقدم للقارئ أدوات فكرية وإيمانية قوية لمواجهة الشبهات الإلحادية، وتحصين نفسه وأسرته من الا نحرافات، والمساهمة في بناء نهضة إسلامية شاملة.

قراءة هذا الكتاب ليست مجرد اكتساب معلومات، بل هي رحلة تحول روحي عميق نحو الله، ونحو حياة طيبة في الدنيا والآخرة .إنها رحلة تبدأ بالحروف المقطعة "حم" وتنتهي بـ "فَلِلَّهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ * وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ"، وهي رحلة تغير الإنسان من الداخل، فتجعل حياته كلها لله، وموته لله، ولقاءه لله.

"إنها جراحة روحية عميقة تستهدف استئصال أورام الكبرياء، وإعادة الوعي والمسؤولية إلى جوهر الإ نسان المكرم"

نسأل الله أن يبارك في هذا الجهد، وأن ينفع به الكاتب والقارئ، وأن يجعله في ميزان الحسنات، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم. ونسأل الله أن يوفقنا لكل خير، وأن يبارك فيه وأن يجعل هذا الكتاب ذخراً لنا في الدنيا والآخرة. ونسأل الله أن ينفع به المسلمين، وأن يجعله سبباً في زيادة الإيمان و اليقين، وفي تحرير النفوس من عبودية المادة والهوى، وفي العودة إلى الله والاستمساك بمنهجه القويم.

نسأل الله أن يجعل هذا الكتاب نوراً لقلوبنا، وهداية لعقولنا، ودواء لأرواحنا. وأن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، ويزدنا علماً نافعاً وعملا ً صالحاً. وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته. وأن يجعلنا من الموقنين الذين يرون جهنم بأعين قلوبهم، ويستعدون للقائك بأحسن الأعمال. اللهم احشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.
المولف

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمه
تعد ُسورة الجاثية مانيفستو) بيانًا (إلهيًا لمواجهة** "الطغيان المادي" **وتفكيك بنية "الإلحاد الدهري" الذي يطل برأسه في كل زمان ومكان .إنها جراحة روحية عميقة تستهدف استئصال أورام الكبرياء البشري وإعادة الاعتبار لجوهر التكريم الإنساني:** "الوعي والمسؤولية".**
فيما يلي مقدمة منهجية وشاملة حول دور سورة الجاثية في مواجهة المادية المعاصرة وطغيان الهوى:
سورة الجاثية: معركة الوعي في مواجهة المادية المتعجرفة

١/مقدمة في فقه المواجهة: سورة الجاثية وقلعُ جذور المادية

في زمنٍ طغت فيه النظرة المادية على العقول، حتى غدت فلسفةً تُنكر الغيب وتؤلِّه المادة والهوى، تبرز سورة الجاثية كمعجزة قرآنية متكاملة الأركان، لا لمجرد الجدل العقيم، بل للمواجهة المنهجية و الجراحة الروحية العميقة. إن السورة التي نزلت في مجتمع الماديين المتكبرين الذين كانوا يسخرون من دعوة النبي ﷺ قائلين: "نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر"، تقدم اليوم روشتة إلهية لتحرير وعي ا لإنسان المعاصر من أسر المادية المتعجرفة.

إن جوهر رسالة السورة يقوم على مسألة "الوعي"؛ ذلك التكريم الإلهي الذي ميّز الله به الإنسان على سائر المخلوقات، والذي يترتب عليه منطقياً تحمّل المسؤولية الفردية والمجتمعية. لذلك تُسمّى سورة الجاثية بسورة الشريعة والمسؤولية، فهي تضع الإنسان أمام حتمية الخضوع لمنهج الله، ليس خضوع إكراه، بل خضوع انسجام مع حركة الكون كله الخاضع لربه. إنها تفكك الوهم المادي بأن الحياة غاية في ذاتها، لتعلن أن الوجود له غاية خاتمة هي البعث والنشور، حيث يجثو الناس: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

تتجاوز السورة مواجهة الأصنام الحجرية لتشخّص أخطر أصنام العصر: "صنم الأنا"، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾. إنها تكشف أن المادية ليست مجرد أفكار، بل هي مرض روحي قائم على عبادة الشهوات والكبرياء، مما يجعل الكبر حجاباً على القلب يمنع الاستفادة من الأدلة الكونية. ولهذا تقدم السورة جراحة روحية عميقة لاستئصال أورام الغرور، وتزرع مكانها الخشوع و اليقين الراسخ بالآخرة.

وهنا يكمن الحل الإلهي العملي: تدعو السورة الإنسان إلى تفعيل التفكر وتحويل كونه إلى كتاب مفتوح، فالمحتوى الحقيقي العميق ليس في الشاشات والمدخلات البشرية التافهة التي تسلب الوعي، بل في آيات السماء والأرض وما فيهما من دلائل العظمة. إنها تعيد صياغة المفاهيم الجذرية، فتجعل كفاح الإنسان ضد رغباته وهواه ليس مجرد ترف أخلاقي، بل جهادٌ لنزع الأصنام من القلب ليظل الله وحده المهيمن عليه.

وهكذا تبني سورة الجاثية قلعة الإنسان المنيع ضد طغيان الفلسفة المادية القاتلة، وتُخرجه من وهم "الحرية الفكرية" المزعومة - الذي ليس إلا عملا ً من أعمال الكبر - إلى حقيقة الالتزام المسؤول. إنها تحول العقل إلى أداة للعبادة، وتحرره من الضغوط التي تجرده من أنسانيته، ليبقى مدركاً أن العزة و الكرامة في الالتزام بأوامر الله، وأن رفض الخضوع ليس ذكاءً بل هو حمق وجودي يضع الإنسان في مصافٍ أدنى من الحيوان الذي لا وعي له

٢/الربط بين سورة الدخان والجاثيه :-.
ان الربط بين سورة الدخان وسورة الجاثية ليس ترفاً بلاغياً، بل هو مفتاح لفهم المسار البياني و الموضوعي للقرآن في مواجهة المادية والاستكبار .إن خاتمة سورة الدخان هي بمثابة الإعلان عن المواجهة، لتأتي سورة الجاثية بعدها مباشرة فتُنقذ المحاكمة وتقيم الحُجَج وتكشف المآل.

وإليك تفصيل الربط العضوي بين سورة الدخان وسورة الجاثية:

في مواجهة طغيان المادة: من إنذار الدخان إلى محاكمة الجاثية ...استرداد إنسانية الإنسان المهدورة

في عالم أطبقت عليه قبضة الفلسفة المادية، حتى غدا الإنسان يرى نفسه جسداً يسعى في شاشات وأهواء، لا روح له ولا غاية، تنزلت سورتان متعاقبتان تشكلان معاً مساراً إلهياً محكماً: إنذار يعقبه محاكمة .إن سورة الدخان التي خُتمت بقوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾، قد أنهت المشهد بتسليم أمر هؤلاء الماديين المتكبرين إلى الله، وإعلان بأنهم يترقبون ما سيحل بهم، وأن وعد الله آتٍ لا

محالة .ثم تأتي سورة الجاثية مباشرة، لتُجسّد مشهد الترقب وتحوّله إلى محاكمة إلهية كبرى، تُنصب فيها الأدلة القاطعة على وجود الله وحكمته، وتُعرَض فيها قضية الإنسان من أساسها: الوعي الذي كرّمه الله به، والمسؤولية التي تترتب على هذا التكريم.

لقد شخّصت السورة بدقة متناهية المرض الوجودي الذي استشرى في مجتمع الماديين المتكبرين قديماً، والذين ما زالت صورتهم تتكرر في جبابرة العصر الحديث .لقد كانوا يستقبلون آيات الله بالا ستكبار والانصراف "كأَن لَمْ يَسْمَعْهَا"، ويختزلون الحياة في شريطها الدنيوي فقط: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ .هذا النص القرآني، ، ليس مجرد حكاية عن قوم مضوا، بل هو تشريح لفلسفة المادية الإلحادية البحتة التي تُنكر البعث والحساب، وتُلقي بمسؤولية الإنسان في مهب العبث.

لكن السورة لا تقف عند حد التشخيص، بل تنتقل إلى استئصال جذور الداء .إنها تكشف أن العلة ليست فكرية محضة، بل هي علة روحية عميقة تتعلق بتأليه الذات والشهوات .وهنا يبرز أخطر أصنام العصر كما صورته السورة: "صنم الأنا"، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ .إنه استبدال خطير لمركزية الألوهية بمركزية الرغبة، حيث يصبح هوى النفس هو المشرّع الوحيد، وحيث يبرر الإنسان لنفسه الانفلات من كل أمر إلهي بحجج واهية: "هذه طبيعتي"، أو "أنا أتبع قلبي فقط" . وهنا تحوّل السورة المعركة من معركة ضد أصنام الحجر إلى معركة جهاد النفس؛ إنه صراع مُضنٍ لنزع الأصنام الخفية من القلب، لضمان أن يظل الله وحده هو الإله المهيمن على القلب لا تنازعه فيه رغبة عابرة.

ولأن المادية تجعل الإنسان يعيش أسير الشاشات والمدخلات البشرية السخيفة، فاقداً بوصلته ومعزولا ً عن العالم الطبيعي، فإن سورة الجاثية تأتي بأمر إلهي مباشر لتغيير نمط المشاهدة والإدراك .إنها تخبرنا بأن المحتوى العميق ذا المعنى ليس محصوراً في الهواتف الذكية، بل هو مبثوث في كتاب الله المنظور: في السماء والأرض، في المطر والأجساد، في تعاقب الليل والنهار ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ...﴾ .إنها تدعونا إلى تفعيل التفكير الهادف، وتحويل الكون بأكمله إلى دليل على عظمة الخالق، مما يعيد تشكيل إدراكنا للواقع ويجعل منه عبادة، بدلا ً من أن يكون مادة للاستهلاك التافه.

وهنا يتجلى اعجاز السورة البنائية: إنها لا تكتفي بإبطال الفلسفة المادية، بل تبني "قلعة الإنسان" على أسس متينة .إنها تقدم "الوصفة الإلهية العلاجية" التي تتجاوز الجدل العقلي إلى الجراحة الروحية العميقة، فتصف الكِبْرَ بأنه "حجاب على القلب" يمنع من رؤية الحق، وتدعو إلى استئصال أورام الغرور وعبادة الذات، وزرع الخشوع والتواضع المطلق لله في مكانها .إنها تحرر الإنسان من وهم "الحرية الفكرية" التي ما هي في جوهرها إلا ضرب من الكبر، وتضعه أمام حقيقة المنهج الرباني الشامل؛ ولهذا سُمّيت بحق "سورة الشريعة والمسؤولية"، لأن المسلم لا يمكن أن يعيش إلا بوعي كامل بآيات الكتاب، ملتزماً بأوامر الله، مدركاً أن عزته وكرامته في هذا الالتزام وحده.

وهنا يتكشف لنا الرباط الوثيق بين السورتين: إن وعد سورة الدخان الختامي ﴿فَارْتَقِبْ﴾ يتحقق في سورة الجاثية بمواجهة المحشر .فبعد أن تستعرض السورة كل الأدلة الكونية والعقلية، وبعد أن تُفحم المتكبرين وتسحق حججهم، تنتقل إلى المشهد الذي كانوا يترقبونه سخرية واستهزاء، فإذا بهم يرونه حقيقة ماثلة: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .هنا يتجسد الترقب، وهنا تنهار الغطرسة المادية تحت وطأة الحساب.

ثم تُختَم السورة بإعلان الحقيقة المطلقة التي سحقت كل كبرياء: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .هذا هو الرد القاطع على كل متكبر متعجرف! إن السورة التي بدأت بمواجهة الكِبْر البشري، تُنهي المشهد بإرجاع الكبرياء كلها لله وحده .لقد بدأ المشهد في الدخان بتهديد المتكبرين، وانتهى في الجاثية بإثبات أن الكبرياء المطلق لله، وأن ما كانوا يستعجلون به من عذاب قد وقع، وأن ما كانوا يسخرون منه من بعث قد صار حقيقة يذوقون مرارتها .إنها تنقلنا من الخوف العبثي على المستقبل إلى اليقين الجازم بالحساب، ومن غيبوبة الوعي إلى كامل اليقظة والمسؤولية عن كل لحظة نعيشها.

إن سورة الجاثية ليست مجرد نصوص لاهوتية للجدل، بل هي أدوات عملية لتغيير طريقة تفكيرنا اليومي وعاداتنا .إنها تخرج الإنسان من وهم الحقيقة إلى الحقيقة، وتفكك أوهامه، وتمنحه أداة تشخيص دائمة لفحص أمراض الغرور والكبرياء في نفسه، وتسلمه في الوقت ذاته الدواء الناجع: الرهبة والإعجاب والتفكر، لاسترداد إنسانيته المهدورة، والعيش بإنسان ذلك الكائن الواعي المسؤول الذي كرّمه الله على العالمين

.

القسم الاول.

المبحث الأول

أيها القارئ الكريم، ويا أيتها النفس التواقة للحق:

تخيل نفسك واقفاً في محكمة كونية كبرى... القاضي هو الله رب العالمين... وأنت المدعو... و الموضوع: وعيك، مسؤوليتك، ومصيرك الأبدي.

هذه هي سورة الجاثية، التي جاءت بعد إنذار الدخان: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾، لتُنفّذ المحاكمة. وها نحن نقف على عتبتها، فتُفتح الأبواب لا بمقدمة تقليدية، بل بهزّة عنيفة للوعي، بصدمة إيجابية توقظ العقول من سبات المادة وغيابة الهوى:

﴿ حمٓ * تنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ﴾

قف مع نفسك قليلا ً... هاتان الآيتان ليستا مجرد كلمات تُتلى، بل هما "شفرة وجودية" كاملة، وميثاق تأسيسي لبناء إنسان جديد، إنسان يسترد وعيه المهدور، ويواجه طغيان المادة والدهر.

دعني آخذ بيدك، لا لأشرح لك الآيتين شرحاً أكاديمياً بارداً، بل لنغص معاً في أعماقهما، لنستخرجهما من حيز النظر إلى فضاء التطبيق، ولنصنع منهما نبراساً يضيء حياتك اليومية. أنت المقصود بهذا الخطاب... أنت المخاطَب... فهيا بنا نبدأ رحلة التدبر والتحليل، مستمدين العون من العزيز الحكيم.

-أولا ً: تحليل قوله تعالى ﴿ حمٓ ﴾ – الصدمة الإيجابية للوعي

اسمعها جيداً: "حمٓ". حرفان. لا جملة كاملة، ولا معنى قاموسياً مباشراً. لماذا يبدأ الله أعظم كتاب في الوجود بهذا الشكل؟ لماذا لا يبدأ مباشرة بـ "تنزيل الكتاب"؟

الإجابة المذهلة: إنها صدمة وعي إيجابية. إنها هزة وجدانية عنيفة تنتزعك من غفلتك. أنت الآن في حالة تأهب قصوى. كل خلية في دماغك تتنبه: "انتبه! هناك شيء لا يشبه كلام البشر سيُقال".

المحور الأول: ماذا يعني افتتاح السورة بالحروف المقطعة؟ (التحدي والتشويق)

كرجل يخرج من ضوضاء المدينة إلى سكون الصحراء المهيب، فجأة تشعر بالرهبة، وتنتبه لكل صوت، لكل همسة ريح. هذا بالضبط ما تفعله بك "حمٓ":

· التحدي الصارخ: تخيل أن الله عز وجل يضع أمامك - أنت أيها العربي الفصيح وأيها الإنسان المعاصر - نفس المواد الخام التي تتكون منها لغتك وحضارتك ."هذه هي الحروف التي تتحدثون بها، وتتغنون بها، وتتفاخرون ببلاغتها ...فأتوا بمثل هذا القرآن" .إنه تحدٍ كوني يزلزل كبرياءك الفكري، ويُسقط كل دعوى بشرية بأن هذا القرآن من صنع محمد ﷺ .إنه إعلان إلهي بأن هذا الكلام فوق طاقة البشر، وفوق مستوى إدراكهم.
· التشويق المغناطيسي: عندما يبدأ المعلم درسه بصمت مطبق، أو بطرح لغز محير، ماذا يحدث للطلا ب؟ تتجه كل العيون إليه، ويتوقف الهمس، ويتأهب الذهن ."حمٓ" هي المعلم الأكبر، يلفت انتباه فطرتك، يجعلك في حالة ترقب ولهفة: "ماذا بعد هذه الحروف؟ ما هذا السر العظيم الذي تستفتح به؟ ."

المحور الثاني: الإعجاز والتحدي – علو المصدر وفتح آفاق التدبر

أنت الآن في حالة تأهب، فاستمع للحقيقة التي ستغير نظرتك للقرآن إلى الأبد: "حمٓ" ليست مجرد حروف، بل هي دليل إعجاز، وهي المفتاح الذي يفتح أبواب التدبر على مصراعيها.

· البناء الهندسي المعجز: هذا القرآن ليس مجرد كتاب تشريع وأخلاق، بل هو "بناء هندسي" فريد في نظمه وصياغته .تخيل أن أعظم مهندسي العالم اجتمعوا، وأعطوا نفس "الحروف") الطوب والأسمنت(، فبنوا كوخاً متواضعاً، بينما بنى الله بهذه الحروف ذاتها كوناً لغوياً وروحياً كاملا ً لا يُضاهى .هذا هو القرآن ...استخدم حروفك أنت، ليصنع ما لا تستطيع أنت صنعه.
· فتح آفاق التدبر: عندما تستوعب أن القرآن بناء معجز، تتغير طريقة تعاملك معه كلياً .لن تمر على آية مرور الكرام بعد اليوم .ستبحث في كل كلمة، في كل نظم، في كل تقديم وتأخير، عن "النور" الذي يبدد ظلمات حيرتك وشكك .سيصبح تدبرك رحلة استكشاف في عالم من الحكمة، لا مجرد قراءة واجب روتيني.

المحور الثالث: أهمية التشويق في التربية – عندما يكون الله هو المعلم

انظر كيف يربيك الله... إنه المعلم الأعظم. "حمٓ" هي أرقى نموذج للتمهيد التعليمي المثير:

· كسر رتابة التلقي: عقلك البشري صُمم ليتجاهل المألوف، وينتبه للجديد .لو بدأت السورة مباشرة بـ التشريع، لربما تلقفها عقلك كأي نص آخر .لكن البدء بشيء "غير مألوف" يكسر روتين التوقع، ويفرض عليك التركيز .إنها رسالة مبطنة من الله لك: "ما سيأتي بعد هذا التمهيد ليس أمراً عادياً، بل هو ذو شأن عظيم، فلا تفوته".
· إثارة الفضول المعرفي: الغموض النسبي في "حمٓ" يحفز أعظم محرك للتعلم في نفسك: الفضول . أنت الآن تسأل: لماذا "حم" بالذات؟ ما سرها؟ وهذا السؤال بحد ذاته هو بداية رحلة التعلم الحقيقية.

المحور الرابع: الآثار النفسية والإيمانية – ماذا تفعل "حمٓ" بقلبك أنت؟

أنت لست مجرد عقل، بل قلب ونفس. وهذه الحروف تخاطب أعماقك:

· تحجيم كبريائك: هذه الحروف هي أدواتك، تتكلم بها كل يوم .لكنك عاجز تماماً عن صياغة جملة واحدة تضاهي جلال القرآن .هذا الشعور بالعجز يولد في نفسك تواضعاً فكرياً أمام عظمة الخالق، ويكسر "أناك" المتضخمة.
· تدريبك على التسليم الواعي: عقلك لن يدرك كنه هذه الحروف على وجه اليقين .وهنا تتدرب نفسك على "التسليم" لله فيما غاب عنها علمه، فتسلم بها كما سلمت بـ ﴿الم﴾ و ﴿كهيعص﴾ .هذا التسليم يزيد إيمانك بالغيب، ويجعلك راسخاً في اليقين.
· التهيئة الروحية: "حمٓ" هي بمثابة جرس إنذار روحي .إنها تفرغ قلبك من شواغل الدنيا وضجيج المادة، وتجعله وعاءً طاهراً مستعداً لاستقبال "تنزيل الكتاب".

المحور الخامس: الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من "حمٓ" – موجهة إليك مباشرة

والآن، ما الرسائل التي تصلك أنت شخصياً من هذه الافتتاحية العظيمة؟

.1رسالة نفسية: أنت بحاجة ماسة إلى من يهزك من غفلتك، ويخرجك من نمط حياتك الآلي ."حمٓ" تفعل ذلك بك لتوقظ فيك الإحساس بجدة الحياة وجلال المعنى.
.2رسالة تربوية: التغيير الحقيقي يبدأ بلفت الانتباه .لا يمكنك أن تتعلم شيئاً ذا قيمة دون تركيز كامل .الله يطلب منك هنا تركيزك الكامل قبل أن يلقي عليك دروس السورة.
.3رسالة عقلية: هناك حدود للعقل البشري .أنت مدعو لاستخدام عقلك في التدبر) وهذا ما ستفعله السورة(، ولكن عليك أيضاً أن تعترف بأن هناك ما هو فوق طاقتك، فتسلم للعزيز الحكيم.

المحور السادس: آثار هذه الدلالات – هل تستشعر عظمة القرآن الآن؟

بعد هذا الشرح، اسأل نفسك واسألني معك:

· هل تستشعر حقاً أن هذا القرآن معجز بصياغته ونظمه وأحكامه؟
· هل أدركت أن هذا القرآن هو المعجزة الخالدة التي تنير طريقك في زمن المادة والظلام؟
· ما أثر هذا الإحساس على مشاعرك الآن؟ ألا تشعر بهيبة تملأ صدرك، ورغبة جامحة في الغوص في أعماق هذا الكتاب؟
· ألا تشعرك "حمٓ" وحدها، قبل أي تفسير، بعظمة القرآن الكريم؟

المحور السابع: التطبيق العملي – من الوجدان إلى الحياة

كل هذه المشاعر والآثار يجب ألا تظل حبيسة صدرك، بل تترجم فوراً إلى واقع عملي في حياتك وحياة مجتمعك وحضارتك:

· على مستواك الشخصي) الفردي(: الانضباط والالتزام ...نعم! فأنت الذي آمنت بأن هذا الكلام من عند "العزيز الحكيم" الذي تحدى الخلق بحروفه، لن تجد في نفسك حرجاً من تطبيق أحكامه، بل ستشعر بعزة الانتماء لهذا الوحي .ستتحول صلاتك لمعراج، وقراءتك للقرآن لشحن روحي.
· على مستوى المجتمع: سيادة روح الاحتكام للحق .الشريعة التي سترد في السورة) السورة تسمى بسورة الشريعة (ستصبح هي المرجعية التي تحفظ الحقوق وتمنع الهوى، لأنها صادرة ممن تحدى

الخلق بحروفه .المجتمع الذي يؤمن بهذا سيكون مجتمعاً معجزاً في نظامه وتراحمه وعدله.
· على مستوى الحضارة: القرآن يدفع نحو البحث العلمي .السورة ذاتها ستدعوك بعد قليل للنظر في آيات السموات والأرض .الإيمان بعظمة المصدر يدفع الحضارة المسلمة لاستكشاف قوانين الله في الكون) العلم (جنباً إلى جنب مع قوانينه في الوحي) الدين(، فتنهض حضارة تجمع بين الروح والمادة.

خلاصة الأمر الأول:
إن الاستشعار بعظمة القرآن يبدأ من "حمٓ". إنها تزرع في نفسك هيبة "المصدر" (العزيز) وطمأنينة "المنهج" (الحكيم). فأنت أيها المؤمن الذي يدرك أن طريقه ينار بمعجزة لا تفنى، تواجه تقلبات الحياة والدهر بقلب ثابت وعقل متدبر، لأنك تعلم أنك تتكئ على كلام من لا يُغلب.

ثانياً: تحليل قوله تعالى ﴿ تنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ﴾

بعد أن أيقظتك "حمٓ" من سباتك، وملأت قلبك هيبة وترقباً، يأتيك البيان الشافي مباشرة: هذا الذي سمعته، هذا الذي سيثبت فؤادك، هو "تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم".

انظر كيف انتقل الخطاب من التلميح (بالحروف) إلى التصريح المباشر بحقيقة المصدر. هذا ليس كلام بشر، هذا ليس فلسفة، هذا ليس شعراً... هذا "تنزيل" من "الله". فما أبعاد هذه الجملة العظيمة التي تُعد الإعلان الرسمي عن دستور الحياة؟

المحور الأول: المعنى العام ودلالات الألفاظ – تفكيك النص كلمة بكلمة

لنقف عند كل لفظة، فكل حرف هنا له وزن جبل:

.١ماذا يعني "تنزيل الكتاب من الله"؟

· بلاغة الإيجاز المعجزة: الجملة في أصلها النحوي "مبتدأ وخبر") .هذا تنزيلُ الكتابِ من الله .(حُذف "هذا" لأن الأمر في غاية الوضوح والعظمة، وكأن الحدث مهول لا يحتاج تعريفاً .إنه أسلوب "وصل الخبر مباشرة بالقلب دون حواجز".
· دلالة إضافة "تنزيل" إلى "الكتاب": "تنزيل" مصدر يُفيد التوكيد والتقوية، أضافه إلى "الكتاب") وهو المُنزّل .(هذا يضفي على الكتاب فخامة وتعظيماً لا مثيل لهما .إنه ليس مجرد كتاب، بل هو "التنزيل" بذاته.

.٢ماذا يريد الله منك حين يخبرك أن القرآن منزّل من عنده؟
المولى عز وجل يربيك بهذه العبارة على ثلاثة أمور جذرية:

· يريد أن تصل إلى درجة "اليقين": لا مجرد إيمان، بل يقين جازم بأن هذا القرآن وحي من الله، وليس من كلام البشر .يريد أن ينتفي من قلبك كل شك.
· يريد منك استشعار العظمة عند التلاوة: أن تتعامل مع القرآن على أنه كلام الله الموجه إليك شخصياً .عندما تفتح المصحف، تستشعر أن الله يكلمك أنت.
· يريد أن ترى القرآن "منهج حياة": هو يوجه لك هذا الكلام ليزيل عنك الحيرة والهموم، ولينظم حياتك كلها .إنها رسالة شخصية من الخالق إلى مخلوقه الضائع بدونه.

.٣ما الفرق بين أن يكون الكتاب من عند الله، أو من عند غيره؟
الفرق هو الفرق بين الحق المطلق والظن، بين النور والظلام:

· إذا كان من الله: فهو حق لا يأتيه الباطل، مطلق الصدق، شفاء ورحمة، منزه عن الخطأ والنقص و التناقض.
· إذا كان من غير الله) بشر(: فهو ظن، قابل للخطأ والصواب، ناقص، يعتريه الهوى، ولا يصلح أن يكون مرجعاً مطلقاً لجميع شؤون الحياة.

.٤دلالة التصريح بالمصدر "تنزيل" بدلاً من الفعل "نزّلَ":
اختيار لفظ "تنزيل" العظيم بدلاً من "نزل الكتاب" له سر بديع:

· تقوية المعنى وتأكيد وقوعه: المصدر) تنزيل (أثبت وأقوى في الدلالة من الفعل .إنه يدل على حدث متحقق وثابت لا ريب فيه.

· الإشارة إلى الاستمرارية والعظمة: "تنزيل" تشعرك وكأن الحدث الإلهي العظيم) نزول الوحي (مازال يتجدد في قلبك مع كل تلاوة، وهو حدث مهيب يستحق أن يُسمى بـ "التنزيل".

٥.أثر ذلك عليك نفسياً وفكرياً وعقائدياً:
هذا اليقين بأن القرآن "تنزيل من الله" يغير تعاملك مع أوامره ونواهيه تغييراً جذرياً:

· نفسياً: يمنحك طمأنينة مطلقة وسكينة عظيمة .أنت تسير في الحياة ومعك "كتيب التشغيل" من صانع الحياة نفسها.
· فكرياً: يجعلك تذعن عقلياً لكل ما فيه .حتى لو خفيَت عليك حكمة أمر ما، فإن يقينك بال يجعلك متأكداً أن الخير فيه.
· عقائدياً وعملياً: يوجب عليك العمل بأحكامه في جميع شؤون حياتك دون تردد .وصف الكتاب بـ "التنزيل" يعني أنه نزل خصيصاً ليُطبّق، ليخرجك من الظلمات إلى النور، وليس لمجرد سرد تاريخي أو بركة فقط.

٦.قيمة الثقة بالله:
ثقتك بأن هذا "تنزيل" من الله تزرع في قلبك أعظم أنواع الثقة، وتمنحك طمأنينة وجودية لا توصف. فإذا أخبرك الله في هذه السورة أنك مسؤول، وأن هناك بعثاً وحساباً، فثق بهذا لأنه من نفس المصدر الذي أخبرك عن آياته في الكون وفي نفسك. هذه الثقة المتولدة من التعظيم هي سر ثبات المؤمن.

المحور الثاني: المقصود بـ "العزيز الحكيم" وسر اختتام الآية بهما

لماذا ختم الله هذا الإعلان العظيم بهذين الاسمين الجليلين بالذات: "العزيز الحكيم"؟ الأسماء الحسنى في القرآن لا تأتي عشوائياً، بل هي كالجواهر المرصعة في مكانها المناسب تماماً:

١.لماذا "العزيز" و"الحكيم" في سياق التنزيل؟
لاحظ بديع النظم القرآني... إنهما صفتان تمنحانك الأمان الكامل، وتوجبان عليك الامتثال التام:

· العزيز) القوي الغالب الذي لا يُقهر(: اقترانها بالتنزيل يعني أن هذا الكتاب صادر من جهة قادرة على حمايته .إنه "كتاب عزيز"، لا يستطيع أحد تبديله أو تحريفه .ومن يتبعه ويرفع رأسه به، سيكون عزيزاً أيضاً، لا يُغلب ولا يُقهر .من ستخاف وأنت في حماية "العزيز"؟
· الحكيم) الذي يضع كل شيء في موضعه، كامل التدبير(: اقترانها بالتنزيل يعني أن كل ما في هذا القرآن من تشريعات، وأوامر، ونواهٍ، وقصص، وأمثال، مبني على حكمة بالغة تهدف لصلاحك أنت .إنه ليس كتاب أوامر قهرية، بل كتاب حكمة مليء بالعلل والمصالح والغايات النبيلة.

٢.سر الختم بهذين الاسمين: التوازن المعجز بين السلطان والمنطق
بهذين الاسمين، قدم الله لك دستور الحياة بأروع صورة متوازنة:

· ليس مجرد أوامر قهرية: لأنه من "حكيم" .فهو ليس طاغية يأمرك بلا حكمة .كل أمر فيه هو عين الحكمة.
· وليس مجرد نصائح اختيارية: لأنه من "عزيز" .فهو ليس مستشاراً ضعيفاً تقبل نصيحته أو ترفضها . الإعراض عنه استهانة بعزة الله، والتشكيك فيه طعن في حكمته.

إنها رسالة مزدوجة إلى قلبك وعقلك:

· إلى قلبك: أحبب هذا الكتاب فقد صدر من حكيم يريد لك الخير والصلاح.
· إلى عقلك: هيّب هذا الكتاب وأذعن له، فقد صدر من عزيز قوي لا يُرد له أمر.

المحور الثالث: كيف تطبق الآية الثانية في حياتك العملية؟ – من النص إلى الواقع

ما سبق كان تأسيساً نظرياً... لكن كيف ينزل هذا كله إلى حياتك اليومية، إلى عملك، إلى علاقاتك، إلى خلواتك؟

أولاً: كسر حاجز "الانفصال" بين المسجد والحياة
كثيرون يفصلون بين إيمانهم وسلوكهم. الآية تقول لك بوضوح: {تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ}... هذا "كتيب

تشغيل" الإنسان من صانعه. ليس كتاباً تقرأه في المسجد ثم تعود لعالمك تحكمك فيه الأهواء و المصالح.

· الممارسة العملية: عندما تواجه موقفاً يتطلب صدقاً، ويغريك الكذب، تذكر أن "تنزيل الكتاب" يحمل أمر "العزيز" الذي يراقبك، و"الحكيم" الذي يعلم أن الصدق هو عاقبته حميدة لك ولو بعد حين .هنا يتحول الإيمان النظري إلى سلوكٍ ملموس.

ثانياً: ميزان "العزة" مقابل "الهوى"
أكبر عائق أمام التزامك هو هواك. والعلاج في اسم "العزيز":

· المعنى العملي: هواك يدعوك للضعف والذل .لكن ارتباطك بـ "العزيز" يمنحك "عزة نفس" تترفع بها عن الدنايا .أنت لا تتبع الشريعة لأنك ضعيف ومجبور، بل لأنك عزيز باللّه، لا تستعبدك شهوة، ولا يذلك طمع، ولا يكسرك إحباط.

ثالثاً: منطقية التشريع (الحكمة في كل فعل)
الإيمان النظري يضعف إن لم يقتنع العقل. وهنا يأتي دور اسم "الحكيم":

· الربط العملي: كل فعل تقوم به بناءً على هذا الكتاب هو فعل "حكيم" بالضرورة، حتى لو لم تدرك الحكمة من فورك .هذا يمنحك طمأنينة وثقة .إذا أمرك القرآن بالعدل مع من تكره، فأنت تمارس العدل بيقين أنه الخيار الأكثر حكمة واستدامة، حتى لو كان هواك يدفعك للانتقام.

رابعاً: المنهج المتكامل الذي تؤسس له الآيتان:
انظر كيف تبني الآيتان منهجاً حياتياً كاملاً يبدأ من العقل وينتهي بالعمل:

المرحلة دلالتها من الآيتين أثرها في ممارستك العملية
التلقي {تنزيل الكتاب} تحصر مرجعيتك في الوحي. قراراتك لا تخضع لمزاجك الشخصي أو الموضة الفكرية السائدة، بل للقرآن.
التنفيذ {العزيز} تستعلي على ضغوط الواقع وتحديات البيئة الفاسدة. لا تخاف في الله لومة لائم لأنك تستمد عزتك من الأعز.
الأداء {الحكيم} تتقن العمل وتبحث عن المقاصد والغايات في كل عبادة ومعاملة. الحكمة ضالتك، فأنت لا تؤدي الأمور بحذافيرها فقط، بل تفهم روحها.

ثالثاً: المواضيع والقضايا والدروس الكبرى من الآيتين

والآن، لندخل إلى قلب المعاني ونتناول المواضيع الخمسة التي ذكرتها، بتوسع وتفصيل يليق بها:

الموضوع الأول: الربط بين "حمٓ" و"الشريعة" في السورة – تأسيس الانضباط الذاتي الواعي

أنت الآن فهمت "حمٓ" وفهمت "تنزيل الكتاب". السؤال المحوري: كيف يبني الربط بينهما "الانضباط الذاتي" في أعماقك؟

هذا الربط هو جوهر الاستقامة الواعية. حين يدرك الفرد (أنت) أن "الشريعة" التي تنظم حياته ليست مجرد قوانين جافة، بل هي تنزيل من "العزيز الحكيم" الذي افتتح خطابه بحروف تعجز العقول، يتحول الانضباط من مجرد "إطاعة للأوامر" إلى "ارتقاء وتعبد" وإحساس بالتشريف.

.1الانضباط القائم على التعظيم) هيبة المصدر(:
أنت تستشعر عظمة الافتتاحية (الحروف المقطعة)، فيترسخ في ذهنك أن المشرّع هو "العزيز" الذي لا يُغلب. هذا اليقين يولد انضباطاً ذاتياً ينبع من الداخل، لا من الخوف من الرقابة البشرية أو الشرطة. أنت تلتزم بالشريعة في خلواتك لأنك تستحي وتخاف من صاحب "العزة" الذي خاطبك بذلك الإعجاز.

.2الانضباط القائم على القناعة) حكمة المنهج(:
بما أن التنزيل من "الحكيم"، فأنت توقن أن كل تكليف وراءه مصلحة، وكل نهي وراءه مفسدة. هذا الربط يجعلك تنضبط ذاتياً حتى في الأمور التي قد لا يدرك عقلك الحكمة التفصيلية منها فوراً (مثلا ً: تحريم الربا أو بعض ضوابط العلاقات). تنضبط ثقةً منك في حكمة الذي أبهر العقول في فواتح السور.

.3الثبات أمام "الدهر" وتقلباته) مرجعية ثابتة(:
السورة كلها تناقش ادعاءات منكري البعث القائلين ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾. في عالم الدهر المتغير و المضطرب، يوفر لك هذا الربط بين الإعجاز (حم) والتشريع (الشريعة) "مرساة" وجودية تحميك من التخبط الفكري والسلوكي. أنت لديك دستور ثابت في عالم متقلب، وهذا هو سر الانضباط الحقيقي.

.4التوازن بين "العزة" و"الاتباع") العبودية مع الكرامة(:
في السورة دعوة صريحة لاتباع الشريعة: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾. الانضباط هنا ليس ذلا ً، بل هو عين العزة. اتباعك للعزيز الحكيم يرفع من شأنك ويحررك من عبودية الهوى و الناس والمناصب. أنت تتحول من إنسان فاقد الهوية إلى "خليفة الله في أرضه" المنضبط بمنهجه.

التطبيق العملي في شخصيتك:
تتحول من "مستهلك" للأفكار إلى "منتج" للقيم، فتكون دقيقاً في مواعيدك (انضباط)، مخلصاً في عملك (إتقان)، متمسكاً بأخلاقك في الفتن (ثبات). ليس لأن الظروف مواتية، بل لأن دستورك القرآني الذي تستفتحه بـ "حم" مرتبط بآيات معجزة لا تقبل التجزئة. هذا التناغم بين "إعجاز البداية" و "صرامة المنهج" يخلق منك إنساناً متوازناً، يجمع بين دهشة التأمل وقوة التنفيذ.

الموضوع الثاني: كيف ترسم الآيتان منهج حياة كامل بين النظرية والتطبيق؟

تطبيق الآيتين في حياتنا العملية يعني أن نعيش كل يوم، بل كل لحظة، بوعي كامل أن كل كلمة في القرآن هي أمر من "عزيز حكيم" يستوجب الامتثال، وألا نجعل أهواءنا هي التي تحكم تصرفاتنا. والآ يتان تؤسسان لهذا المنهج كما يلي:

.1كسر حاجز الانفصال بين الإيمان والسلوك:
الآية تقول لك: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾. هذا ليس كتاب نصائح للتبرك، بل هو "دليل المستخدم من صانعك. عندما تخرج من صلاة الفجر وتواجه معترك الحياة، أنت تحمل معك هذا التنزيل. فإذا دعاك هواك للغش، تذكرت أنك تحمل "كتيب تشغيل" من الحكيم الذي يعلم أن الغش يفسد بركة الرزق.

.2آلية "العزة" في مواجهة الضغوط اليومية:
الهوى يدعوك للضعف، لكن تذكرك الدائم بأن هذا الكلام من "العزيز" يمنحك كبرياء إيمانياً يجعلك تترفع. عندما يقول لك الجميع: "هكذا تجري الأمور، عليك أن تكذب لتنجح"، تأتيك قوة من "العزيز" تهمس في قلبك: "أنت أعلى من هذا، أنت عزيز بالله".

.3آلية "الحكمة" في اتخاذ القرار:
كلما واجهت خيارين، سل نفسك: أيهما يتوافق مع حكمة الوحي؟ الإيمان بأن المنهج حكيم كله (حتى ما لم تفهمه بعد) يجعلك تأخذ بالقرار الأصعب أحياناً، وأنت مطمئن. هذا ما يميز المؤمن عن غيره؛ مرجعيته ليست مصلحته القريبة، بل حكمة خالقه البعيدة.

.4منهج الحياة المتكامل في جدول عملي:
لنحول ما سبق إلى خطة واضحة تطبقها أنت:

المرحلة الدلالة من الآيتين تطبيقها العملي في حياتك اليومية
.1التلقي} تنزِيلُ الكِتَابِ {أبدأ يومك بعشر دقائق من تدبر هذه الآيات .حصر المرجعية: قبل أي قرار كبير، اسأل: "ماذا يقول الله ورسوله في هذا؟" .لا تجعل "الكل يفعلها" مرجعك.
.2التنفيذ} العَزِيزِ {حين يغريك الحرام، استشعر عزة الله، وقل: "أنا أعز من أن أبيع آخرتي بدنيا غيري" .في الشدائد، ثق أن الله ينصرك بعزته.
.3الأداء} الحَكِيمِ {أتقن عملك، فالحكيم يحب الإتقان .التمس الحكمة من كل شعيرة؛ صم لتتقوى لا لتجوع فقط .صلِّ لتُنهى عن الفحشاء لا لتؤدي حركات فقط.

الثمرة النهائية: بناء الشخصية المنضبطة:
عندما تتحول من اتباع هواك إلى اتباع "تنزيل العزيز الحكيم": ستجد نفسك في الأسرة حكيماً في تعاملك لا تسلطياً ولا متسلطاً عليك. وفي العمل، تراقب "العزيز" لا المدير، فتكون أجود الناس عملا ً. وفي الأزمات، تثق في "حكمة" القدر والتشريع، فيظهر صبرك وتدبيرك الجميل. والنتيجة هي مجتمع منضبط واع، تحكمه القيم، وتقوده الحكمة، لا تحركه الغرائز والشهوات.

الموضوع الثالث: كيف تربّي الآيتان النفس وتغذيان الفكر وتزرعان الطمأنينة؟

الآيتان الأوليان هما "خلاصة مركزة" لعملية تربية شاملة. إنهما يصيغان نفسك وفكرك معاً، بأبعاد وجدانية، وعقلية، وتربوية متداخلة.

أولاً: تربية النفس على الانقياد لله (البعد الوجداني والروحي):
هذا الانقياد ليس إكراهاً، بل استجابة حبٍّ وتعظيم تفيض من قلبك:

· هيبة المصدر تورث الانقياد: لفظ الجلالة "الله" مقترناً بـ "العزيز" يورث نفسك هيبة تجعلك تستصغر كل قوة بشرية .هذا الشعور يكسر كبرياءك الداخلي بلطف، ويجعل نفسك تنقاد طواعية لمن بيده ملكوت كل شيء، لأنه الأعز والأقوى، والانقياد له قوة وتحرر.
· اليقين بالحكمة يورث السكينة: وصف التنزيل بأنه من "الحكيم" يغذي روحك بالطمأنينة .أنت تنقاد لمن تثق في حكمته تماماً .عندما تشعر أن "الأمر" ليس عبثياً بل صادر عن حكمة بالغة، يزول القلق النفسي تجاه التكاليف، وتتحول الطاعة إلى راحة نفسية عظيمة، لا إلى ثقل على القلب.

ثانياً: تغذية الفكر بالتدبر (البعد العقائدي والمنهجي):
الآيتان تخاطبان عقلك لا عاطفتك فقط:

· ربط الوحي بالكون: "تنزيل الكتاب" هنا يخبر عقلك بأن "كتاب الله المسطور") القرآن (هو التوأم لـ "كتاب الله المنظور") الكون .(المصدر واحد) العزيز الحكيم .(فالذي أحكم خلق الكون بقوانين فيزيائية دقيقة، هو الذي أحكم آيات الكتاب بتشريعات روحية واجتماعية محكمة .هذا يدفعك عقلياً للبحث عن التناغم بين آياته في الآفاق وفي الكتاب.
· التحدي المعرفي والتواضع العلمي: "حم" هي دعوة فكرية دائمة لعقلك: اعمل في حدود طاقتك، واعترف أيضاً بعجزك أمام علم الله المحيط .هذا يؤسس فيك منهجية "التواضع الفكري" وأنت في قمة البحث والتدبر.

ثالثاً: زرع الطمأنينة عبر "علو المصدر":
الشعور بالضياع يأتي عندما تظن أنك وحيد في هذا الكون. لكن الآيتين تهمسان لك:

· أنت لست سدى: كلمة "تنزيل" تعني أن الله لم يتركك، بل أرسل إليك "حبلاً موصولاً بالسماء" .
هذا الاتصال يمنحك طمأنينة وجودية ...أنت محاط بعناية مُشرّعة.
· منهجك محفوظ: بما أن الكتاب من "العزيز"، فأنت تطمئن أن هذا المنهج لا يمكن أن يُهزم أو يُطمس، فهو محمي بقوة الله .وبما أنه من "الحكيم"، فهو صالح لك في كل زمان ومكان.

الموضوع الرابع: مفاهيم البناء والتنمية المستدامة من الآية

تضع هاتان الآيتان حجر الأساس لنموذج "التنمية المستدامة بالمفهوم القرآني"، وهي تنمية لا تكتفي بـ المادة، بل تبدأ من صياغة الإنسان (فكراً ونفساً) لتصل إلى بناء الحضارة. كيف؟

1.التنمية الفكرية) منهجية التفكير العلمي(:

· الوحدة المعرفية: الآية تربط بين "تنزيل الكتاب" والأسماء الحسنى، فتُعلمنا أن مصدر المعرفة الدينية)الوحي (ومصدر المعرفة الكونية) العلم (واحد .هذا يمنع الانفصام الفكري، ويجعل بحثك العلمي عبادة وتدبراً.
· قيمة الحكمة في الإنتاج: التنمية الفكرية ليست جمع معلومات، بل الوصول إلى "الحكمة") وضع الشيء في موضعه .(التنمية الحقيقية تستخدم العلم في إعمار الأرض لا تدميرها، اقتداءً بصفة "الحكيم".
· التفكير النقدي ضد الهوى: الآية تدعوك لتحرير عقلك من "سلطة الدهر") المادية البحتة (و"سلطة الهوى"، وربطه بسلطة "الحق المطلق"، مما يحمي فكرك من العبثية.

2.التنمية النفسية) صناعة الإنسان المتوازن(:
لا يمكن بناء حضارة بإنسان مهزوز نفسياً:

· تحقيق العزة النفسية: استشعارك للانتماء لـ "العزيز" يحررك من عقد النقص والتبعية المهينة .هذه العزة هي وقود النهضة، فالمعتز بقيمه يمتلك دافعية إنجاز لا يملكها المنهزم.
· الاستقرار الوجداني) الأمن الروحي(: إدراك أن الكون يديره "الحكيم" يمتص قلقك النفسي الناتج عن

المصائب وتقلبات الدهر .هذا الاستقرار يوفر لك البيئة النفسية الصالحة للإبداع.
· الرقابة الذاتية: الوعي بأن المنهج "منزّل" من الله يخلق فيك وازعاً داخلياً يغنيك عن الرقابة الخارجية، فيرتفع أداؤك وجودة حياتك.

.3التنمية الحضارية) بناء المجتمع القوي الرشيد(:
تتحول المفاهيم إلى واقع حضاري مذهل:

· دولة القانون) الشريعة(: بما أن الكتاب تنزيل من "عزيز حكيم"، فالحضارة التي تنبثق عنه تقوم على سيادة قانون إلهي متسم بالعدل المطلق) الحكمة (والقوة في التطبيق) العزة.(
· التنمية القائمة على القيم: التنمية ليست في كثرة المباني، بل في "علو" المصدر القيمي .إنها "حضارة وحي" غايتها ربط الأرض بالسماء، والمادة بالروح.
· الاستدامة والخلود: وصف القرآن بالمعجزة الخالدة يعطي الحضارة صفة الاستمرارية .هي حضارة لا تشيخ لأن مرجعيتها) العزيز الحكيم (منزهة عن النقص والزوال.

أنت في قلب هذا البناء!
أن تعيش الآية يعني أن تبني نفسك أولا ً، فتصبح فكرك منهجياً (حكيم)، ونفسك عزيزة متحررة، ومجتمعك قوياً منضبطاً، وحضارتك قائدة بالعلم والإيمان.

الموضوع الخامس: المفاهيم الشاملة وبناء الصورة الذهنية الحية

وصلنا إلى الختام، وإليك خلاصة المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية والعملية من الآيتين، مصوغة لتخاطب وجدانك وذهنك معاً، لتبني لك صورة حيّة تنطبع في أعماقك:

تخيل معي هذا المشهد...

أنت واقف على أعتاب كتاب الله. قبل أن يُسمح لك بالدخول، تسمع صوتاً جهورياً يزلزل المكان: "حمٓ". لا تدري ما هي، لكن قلبك خفق، وكل ذرة في كيانك انتبهت. إنها صدمة الوعي الأولى لتُخرِجَك من غفلتك.

ثم يأتيك النداء من عليّين: "هذا الذي سمعته هو تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم". هنا تدرك عظمة ما أنت مقدم عليه.

· المفهوم النفسي: أنت الآن تشعر بالأمان والرهبة معاً ...الأمان لأن المتكلم "حكيم" يريد لك الخير، و الرهبة لأنه "عزيز" لا يُرد له أمر .هذا المزيج يجعلك في قمة الانقياد الواعي والمحب.
· المفهوم الفكري: عقلك الآن في حالة يقظة تامة .تدرك أنك لست أمام نص بشري يحتمل الخطأ، بل أمام "تنزيل" من خالقك .لذلك سيكون تدبرك عميقاً، وبحثك عن الحقيقة جاداً.
· المفهوم التربوي: بدأت تتعلم كيف يربيك الله .لقد استخدم التشويق) حم (ثم البيان) تنزيل الكتاب .(أنت الآن تعلم أن أسلوب الله في القرآن هو نموذجك الأعلى في تربية نفسك وأهلك ومجتمعك.
· المفهوم العملي: تخرج من عند الآيتين وقد صمّمت على أمر واحد: أن تجعل كل حركة في حياتك انعكاساً لعبوديتك لله .ستكون عزيزاً فتنأى عن كل دنية، وحكيماً فتضع كل أمر في موضعه.

هذا هو الكتاب... وهذا هو الله... وأنت هو المخاطب.

أخي، أختي... الآيتان ليستا مجرد نظريات، بل هي خارطة طريق. هي دعوة لك لتبدأ صفحة جديدة مع الله ومع نفسك. إنها تهمس في أذنك: أنت أكرم من أن تعيش للمادة والهوى والتفاهة... أنت إنسان الوعي والمسؤولية... أنت من خُلقت للجنة... عش لله بالله، تنل العزة في الدنيا والآخرة.
المبحث الثاني .

أيها المؤمن، أيها السائر في رحلة استرداد وعيك من قبضة المادة ...قد وقفنا معًا على عتبة سورة الجاثية، وشهدنا الإعلان الإلهي العظيم بأن هذا الذي نتلوه هو) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم(، فتأهب قلبك، واشتعلت جذوة اليقين في صدرك.

والآن، وقد استقرت في نفسك هيبة المصدر، ينتقل بك الخطاب من الوحي المسطور إلى الوحي المنظور .إن الله يفتح لك الآن "السجل الكوني" ويأخذ بيدك في رحلة إيمانية لمشاهدة البراهين المحسوسة التي طالما طالب بها الماديون المتكبرون.

لماذا هذه الآيات الآن؟
لأن سورة الجاثية تواجه المادية المتعجرفة التي لا تؤمن إلا بالمحسوس، والتي تختزل الحياة في معادلات المادة والدهر .يأتي الرد الإلهي مدويًا: "أتطلبون براهين محسوسة؟ ها هي ذي أمام أعينكم ... السماء من فوقكم، والأرض من تحتكم، وأنفسكم بين جنبيكم .إنها آيات ناطقة، ومشاهد واضحة، ودلا ئل قاطعة على إبداع الخالق .لكن ...أنى لكم أن تروها وأبصار قلوبكم مطموسة بغشاوة الشك المادي؟ "

إن هذه الآيات لا تنتفع بها إلا النفس التي آمنت فأبصرت، وصدّقت فأيقنت .إنها خطاب خاص لأهل البصائر، لأولئك الذين جعلوا الإيمان مفتاحًا لفهم أسرار الكون.

فهيا بنا نغوص معًا، واجعل عقلك وقلبك حاضرين، فأنت المخاطب، وأنت المقصود.

تحليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الجاثية:[3

تأمل وقع هذه الآية على سمعك ...إنها ليست جملة خبرية عابرة، بل هي قسم إلهي مضمر) .إنّ (تفيد التوكيد، و)اللام (في "لآيات" هي لام التوكيد والقسَم .وكأن الله يقسم لك قائلا ً: "والله ِ، إن في هذا الكون الفسيح الذي تراه حولك كل يوم، لعلامات واضحات، ودلائل قاطعات، لا تخطئها عين البصيرة ...ولكنها للمؤمنين فقط!".

لاحظ كلمة:) لِّلْمُؤْمِنِينَ .(هنا مكمن السر! لماذا خُصّ المؤمنون بالانتفاع بالآيات الكونية، والسماء والأ رض يراها كل أحد؟
لأن هناك نوعين من الرؤية:

.1رؤية بصرية) حسية(: يشترك فيها المؤمن والكافر .يرى الجميع الشمس والقمر والجبال والبحار بكرة وعشيًا.
.2رؤية بصيرية) استدلالية إيمانية(: وهي أن ترى في هذه المخلوقات دلالة على الخالق، وعبرة تستلهم منها منهج حياتك .وهذه لا يملكها إلا من قذف الله في قلبه نور الإيمان.

أنت أيها المؤمن، حين ترى المطر، ترى آية على رحمة الله وقدرته على إحياء الموتى، فيزداد إيمانك بالبعث والنشور) وهذه هي قضية السورة المركزية! .(أما المادي الذي أعماه الكبر، فيرى مجرد دورة مياه طبيعية، ويفوته الدليل وهو ينظر إليه .الإيمان هو المفتاح الذي يحول "المشهد الطبيعي" إلى "تذكرة روحية" تذكرك بالله والدار الآخرة.

المحور الأول: في السماوات ...كيف قامت بغير عمد وأنت تنظر؟

ارفع بصرك الآن أيها المؤمن! انظر إلى هذه القبة الزرقاء الشامخة فوق رأسك .من رفعها؟ من أمسكها ؟ أين أعمدتها التي تستند إليها؟ لا شيء ...إنها ممسوكة بقدرة "العزيز" الذي لا يعجزه شيء .هذا المشهد المهيب ليس مجرد جمال يريح البصر، بل هو درس إيماني عملي يخاطب قلبك مباشرة:

· دليل القدرة على البعث: الذي أقام هذه الكتلة الهائلة بغير عمد ترى، والذي أجرى فيها الكواكب و النجوم بنظام بديع لا يختل، أيعجز عن أن يعيد ذرة من ترابك إلى الحياة بعد الموت؟ تأمل كيف أن السماء تقول لك بصمتها: "ثق بقدرة ربك، فإن وعد البعث حق".
· التواضع أمام جلال الخالق: قِس هذا الكون الضخم بك أنت! ما أنت في حجمك وجسمك إزاء مجرة واحدة، فكيف بالكون كله؟ هذا القياس الحسي يكسر كبرياءك، ويجعلك تدرك ضآلتك المتناهية، فتسقط عنك أورام الغرور والتعالي، وتقول بلسان حالك: "سبحان من هذا خلقه، فكيف أعصيه وأنا لا شيء؟".

المحور الثاني: في الأرض ...الجبال أوتاد والحكمة شواهد

انزل ببصرك من عنان السماء إلى ما تحت قدميك ...إلى الأرض التي تمشي عليها .انظر إلى الجبال الشامخة الراسيات .لماذا هي هناك؟ الحكمة الإلهية تجيبك مباشرة: لتثبيت الأرض كي لا تميد وتضطرب بكم .تأمل هذه الهندسة الربانية! إنها تعلمك أن للكون "نظامًا" صارمًا وقوانين ثابتة.

· صورة المؤمن الصامد: الجبل في القرآن ليس مجرد حجر، بل هو مدرسة في الصلابة والثبات .أنظر إلى الجبل كيف يواجه الرياح والعواصف، لا تهزه عاصفة، ولا تقتلعه ريح .هذه هي صورتك أنت أيها المؤمن في زمن الفتن! أنت راسخ الإيمان، صامد لا تتأثر برياح الشبهات والماديات، ورسوخك مستمد

من رسوخ عقيدتك ومنهجك الرباني.

المحور الثالث: دواب الأرض ...جامعة الإيمان الكبرى) النملة نموذجًا(

والآن، استعد لأعجب الدروس! انزل من التفكر في الجبال الشامخة إلى أصغر المخلوقات التي تدب على الأرض .إن الله يأمرك أن تتأمل في) مَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ...(الوحوش، والحشرات، والبحار، والأنهار، والطيور، والنمل.
اسمع وتعلّم من النملة ...هذه الحشرة الصغيرة التي لا تكاد تراها بالعين المجردة، جعلها الله لك آية عظمى على يد من كان في قلبه يقين!

· درس الادخار ليوم الحساب) الإيمان بالآخرة(: حَدّق في النملة في حر الصيف، كيف تتعاون مع أخواتها، تحمل الحَبّة وتشق طريقها، وتنقلها بصبر وجلد إلى مخازنها تحت الأرض .لماذا تفعل ذلك؟ لأ ن الله فطرها على أن شتاءً سيأتي لا طعام فيه، ولا تستطيع معه الخروج للعمل .إنها تدخر وقت القدرة ليوم العجز!
ألا تفهم أيها العاقل؟ هذه رسالة مباشرة من الله لك: "كما تدخر النملة القوت في صيفها لشتائها، ادخر أنت الأعمال الصالحة في صيف صحتك وفراغك، ليوم شتاء القبر ويوم القيامة حين تحتاج للحسنة الواحدة، ولا تعمل فيها بعد اليوم!" .أليست هذه آية كافية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؟
· درس التعاون والعمل الجماعي: يا من تقبع وحدك مع شاشتك، وتظن أنك تستطيع مواجهة أمواج المادة وحدك! أنظر إلى خلية النمل ...كيف يتعاون الجميع في بناء المستعمرة؟ لا نملة واحدة تفعل شيئًا وحدها .إنه درس في أهميّة المجتمع، وفي ضرورة أن تكون لبنة في أمة متعاونة على البر و التقوى.
· المؤمن كالشجرة المثمرة) درس العطاء رغم الأذى(: انظر إلى الشجرة المثمرة ...يرميها الصبيان بـ الحجارة، فلا ترد لهم إلا بإسقاط الثمار الشهية .وهذا هو المؤمن الحق! تواجهه الشبهات والإساءات، ف لا يرد إلا بالخلق الحسن والعلم النافع الذي ينفع الخلق .إنه يأخذ دروسه من الشجر، فلا يكون مرآة تعكس الأذى، بل نبعًا يفيض بالخير.
· الفسيلة الصغيرة والصحبة الصالحة) درس الثبات(: تأمل الفسيلة الصغيرة الضعيفة، كيف تستند إلى الشجرة القوية المجاورة كي لا تقتلعها الرياح .إنها تصرخ في وجهك: "لا تستطع أن تثبت وحدك!" .في هذا الزمن العاصف الذي تهب فيه رياح الشك والإلحاد، لا بد لك من صحبة صالحة تكون لك سندًا وعونًا على الثبات على دينك، كما تستند الفسيلة إلى الشجرة القوية .فالزم الصحبة الطيبة، فهي أمر إلهي كوني قبل أن يكون توجيهًا شرعيًا.

المحور الرابع: من انتظام الكون إلى ضرورة المنهج الرباني

يا من يرى هذا الكون الدقيق ...كيف لاحظت أن كل شيء فيه يسير بنظام محكم؟
السماء تجري بحساب .الأرض تدور في فلك دقيق .النملة تعمل بفطرتها في "نظام" تعاوني بديع.
هذا النظام الكوني الذي أقامه "الحكيم" على ناموس الحكمة والدقة، يُلقي في قلبك سؤالا ً حتميًا: من الذي أقام هذا الكون على هذا النحو؟ الله .ولماذا؟ لحكمة.
فهل يعقل أن يتركك الله أنت -أيها الإنسان المكرم المريد المختار- هملا ً وسدى، بلا "نظام" يحكم أخلاقك وتصرفاتك وعلاقاتك؟ الجواب العظيم: لا ...بل لا بد من نظام إلهي يحكم حياتك، كما يحكم النظام الفيزيائي حركة الكواكب .هذا النظام هو "الشريعة" .وهنا يرجع بك الخطاب إلى الآية الثانية:)تنزِيلُ الكِتَابِ .(فالقرآن هو المنهج الذي يجب أن تخضع له، لتتوافق مع حركة الكون الخاضع لله، فتسعد في الدنيا والآخرة.

تحليل قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾] الجاثية:[4

بعد الجولة في الآفاق البعيدة، يعود بك الله إلى أقرب آية إليك ...إلى نفسك أنت ."وفي خلقكم" .يا للهول! أنت نفسك أعظم آية! إنها دعوة لمعرفة النفس، لأن من عرف نفسه عرف ربه .والآن، لاحظ أن الوصف تغير من) للمؤمنين (إلى) لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ .(لماذا؟
لأن ما سنتحدث عنه الآن -من أسرار خلقك أنت- يحتاج إلى مرتبة أعلى من الإيمان، إنه يحتاج إلى "اليقين" الذي لا يخالطه شك ولا ريب .إنه علم اليقين الذي يجعلك ترى ببصيرتك ما وراء المادة.

المحور الأول: أصل الإنسان ...درس سحق الكبرياء

خذ بيدي معي إلى بدايتك ...إلى تلك اللحظة التي كنت فيها "نطفة" .ماء مهين ضعيف، يخرج من

بين الصلب والترائب .هذا هو أصلك! هذه هي حقيقة ذاتك المجردة عن أي زينة أو جاه أو سلطان! الغني، والفقير، والملك، والعامل ...كلنا أصلنا نطفة.

· فقر ذاتي لا ينقطع: هذا التأمل ليس إهانة لك، بل هو تحرير لك من عبودية الكبر والغرور والتعالي على الخلق .أنت فقير إلى الله في أصل جبلتك، ومهما بلغت من الغنى والجاه والسلطان، فأنت فقير إليه .حين تستشعر هذا، تسقط عنك أورام "الأنا" المتضخمة، وتعلم أن كل ما بك من نعمة فهو من فضله، لا من حولك ولا قوتك .فتذل له وحده، وتترفع عن الذل لكل ما سواه .وكما قال أهل اليقين من الرسل:) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا(, فـ"أول اليقين هو اليقين من ربّ، وفي الله شك؟!"، لا شك أبداً.

المحور الثاني: أطوارك في بطن أمك ...سيمفونية الرعاية الإلهية

الآن، لا تقف عند أصل النطفة، بل تأمل رحلة "خلقكم" المذهلة .أنت لم تخرج للحياة فجأة .فكر في نفسك وأنت في بطن أمك، في تلك الظلمات الثلاث) ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة .(من كان يحميك؟ من كان يغذيك؟ من هيأ لك ذلك الملجأ الآمن الذي تطورت فيه من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظام يكسوها لحم، ثم إنسان كامل؟ من صرف لك السمع والبصر والفؤاد؟
إنها رعاية إلهية أحاطت بك وأنت لا تملك من أمرك شيئًا، في وقت لو تُركت فيه لنفسك لهلكت .هذا التأمل يغرس في قلبك بذرة العرفان بالجميل والشكر العميق للخالق الذي تولاك قبل أن تولد .كيف لا تحبه وقد أحاطك بفضله وأنت لا شيئ؟ وكيف تعصاه وقد رعاك قبل أن تعرفه؟

المحور الثالث: جسمك ...المصنع الإلهي المعجز) رسوخ اليقين بالعلم(

·﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾· ...وتأملوا معي ما يحويه هذا الكائن البشري من أجهزة معقدة، مؤتلفة، دقيقة في أداء وظائفها! انظر إلى القلب كيف ينبض ليل نهار دون أن يمل أو يتعب .انظر إلى العين كيف تلتقط الصور وتحولها لإشارات يفهمها المخ في أجزاء من الثانية .انظر إلى الجهاز المناعي وهو يحارب الميكروبات دون أن تشعر .كل جهاز يؤدي دوره بدقة متناهية، في تناغم عجيب مع بقية الأجهزة.
فمن كان في يقين، نظر إلى هذا كله، ففهم العلم "سرّه وباطنه"، وأصاب أحسن الحكم، وثبتت له الحقيقة .لأن نور اليقين الذي قذفه الله في قلبه جعله يدرك أن هذه العظمة المتناهية في الدقة لا يمكن أن تكون صدفة عمياء، بل هي من تدبير العزيز الحكيم .وهذا اليقين هو الذي يبعث في القلب التأثر بتلك الآيات، وبها تحصل الفائدة، فيثبت على الحق ولا يتزعزع.

المحور الرابع: ترياق الشكر وسمّ الجحود

تأمل أيها السائر في درب اليقين:
انشغال الإنسان بشكر الله على هذه النعم، والتفكر في آلائه ليل نهار، هو "ترياق" إلهي يطهر النفس من أمراض التعالي والكبر والغرور .إنه يجعلك ترى أن ما تملكه من قوة ومال وصحة هو عطاء مؤقت، لا يوجب استغناءً ولا كبرًا.
أما الجاحد الذي أعرض عن آيات الله استكبارًا، واغتر بقوته وقال بعنجهية: "نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ"، فإنما يحكم على نفسه بالعذاب الأليم .إنه وإن ملك الدنيا، فهو في حقيقة الأمر فقير، ضعيف، يسير نحو نهايته المحتومة) أوله نطفة وآخره جيفة .(فكن شاكراً منيباً، ترجع إلى الطريق، وتخاف عذاب الحريق، وتكون من المفلحين.

المحور الخامس: التحذير من ظلمات الشك) لماذا لا ينتفع البعض؟(

ولكن، لماذا يرى البعض كل هذه الآيات البينات -في السماوات والأرض وفي أنفسهم- ولا ينتفعون بها؟ لماذا يمرون عليها مرور العابر على الصخر الأصم؟
الجواب القرآني الصريح: إن قلوبهم "عليلة"، وبصائرهم "مطموسة" بغشاوة الشك المادي.
تخيل رجلا ً وقع في ظلمات دامسة، ظلمة بعضها فوق بعض، حتى إنه إذا أخرج يده لم يكد يراها من شدة الظلام! هذا مثل من يعيش في متاهة الشك الفلسفي، والقلق الوجودي، متخبطًا في حيرة واضطراب وتردد .إنه مشغول القلب بالملذات والشهوات العاجلة التي تملأ فراغه الروحي، فلا يرى في الكون جمالا ً ولا حكمة، ولا في نفسه آية ولا عبرة .إنه أعمى وإن كان يبصر، في غيبوبة عن الحقيقة، يحسب أنه على شيء وهو في وهم كبير .فلا تكن مثله! واجعل من اليقين نبراساً تخرج به من الظلمات إلى النور، فهو الذي يبعث في القلوب التأثير بتلك الآيات، وبها وحدها تحصل الفائدة الحقيقية.

تأمل أيها المؤمن العزيز ...لقد أخذتك الآيتان3) - (4في رحلة كبرى: من أقطار السماوات والأرض، إلى

أعماق نفسك وجوارحك .كل هذا ليس لمجرد التسلية الفكرية، بل لبناء يقينك، وتثبيت فؤادك، وإعدادك لحمل أمانة المسؤولية التي هي مدار سورة الجاثية كلها.
فالسماء علمتك التواضع والثقة بقدرة الله على البعث .والجبال علمتك الصلابة والثبات والصحبة الصالحة .والنملة علمتك الادخار للآخرة والتعاون .وخلقك أنت علمك الفقر لله، وسحق الكبر، وضرورة الشكر والامتنان للخالق الذي رعاك نطفة ويرعاك إلى أن تلقاه.

اخرج الآن من رحلتك هذه، وأنت تحمل مفتاحًا جديدًا: اليقين .عش به، وتأمل به، ووجه به كل سلوكك في الحياة، فتكون من الذين قال الله فيهم: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

المبحث الثالث

بعد أن أراك الله الآيات "الساكنة" في السموات والأرض وفي خلقك، ينتقل بك الآن إلى الآيات "المتحركة"، إلى الظواهر التي تتجدد كل لحظة، والتي تلامس حياتك اليومية بشكل مباشر. إنها آيات لا تهدأ ولا تجمد، بل هي في حركة دائبة؛ لتُعلمك أن الحياة كلها مدرسة، وأن ساعات عمرك التي تظنها تمضي عبثًا هي في الحقيقة خزائن للعبر.

لهذا جاءت هذه الآية مسبوقة بحرف العطف "و" لتربط المشهد الجديد بما قبله، وكأنها تقول لك: "لم تنتهِ الجولة بعد... بل انظر الآن إلى ديناميكية الكون من حولك، فالآيات ليست فقط في الأجرام الكبيرة، بل في التفاصيل اليومية التي تألفها حتى كدت تنساها".

تحليل قوله تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: 5]

المعنى العام للآية ودلالة موقعها

انظر إلى بلاغة النظم القرآني: بعد أن ذكر الله الآيات في الأنفس والآفاق، وخصّ بها "المؤمنين" و "الموقنين"، ينتقل بك إلى آيات من نوع آخر... آيات تحتاج إلى "العقل" الصحيح الذي لا يعطله الهوى.

قف معي عند كلمة (يَعْقِلُونَ). لماذا ختمت الآية بها؟
السر البديع أن هذه الآية تتحدث عن ظواهر كونية متحركة تمر بمراحل: الليل يخلف النهار، والمطر ينزل فيحيي الأرض، والرياح تُصرّف. هذه العمليات تحتاج إلى عقل يربط الأسباب بالمسببات، ويدرك السنن، ويستنتج أن من نظم هذا التغير الدؤوب لا بد أن يكون "حكيماً عليماً". فكان الختام بـ "يعقلون" هو غاية التناسب والإعجاز.

والآن، لندخل إلى تفاصيل هذه الآية التي هي "دستور حركي" لمن يريد أن يرى يد الله تعمل في الكون كل لحظة.

الأمر الأول: تحليل المفردات والمشاهد الكونية

١.مشهد اختلاف الليل والنهار

)وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ(:
ما هذا الاختلاف الذي تراه كل يوم فلا تتفكر فيه؟ إنه ليس مجرد تعاقب، بل هو "اختلاف" في الطول والقصر، في الضياء والظلمة، في الحر والبرد. إنه آية عظمى على "التقدير" الإلهي. الأيام و الليالي تتعاقب بدقة فائقة لا تختل، منذ خلق الله السموات والأرض.

· الدلالة الإيمانية: هذا الاختلاف يُذكرك أن الدنيا متقلبة، لا تدوم على حال .ليل بعد نهار، ويسر بعد عسر .إنه يزرع في نفسك الاطمئنان أن الشدة لا تدوم، كما أن الليل لا يطول إلى الأبد، بل يأتي الفجر بإذن الله.
· دليل البعث: أليس الذي يخرج النهار من الليل بقادر على أن يخرج الأحياء من الأموات؟ إن إخراج الضوء الساطع من الظلام الدامس هو محاكاة يومية لعملية البعث والنشور التي تنكرها المادية .أرأيت كيف تحتوي الآية على الرد على ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾؟

٢.مشهد إنزال الرزق من السماء وإحياء الأرض

)وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا(:
تأمل عظمة التعبير هنا! لم يقل "وما أنزل الله من السماء من ماء"، بل قال: "من رزق". لماذا؟

لأن المطر ليس مجرد ماء، بل هو "رزق" شامل. هو سبب حياة كل شيء: به تنبت الحبوب والثمار، وبه تشرب الدواب والأنعام، وبه تُسقى أنت وتمدّ حضارتك. إنه رزق الله الذي يسوقه للخلق.

· المشهد الحي أمام عينيك: تخيل الأرض ميتة ...هامدة ...غبراء ...لا خضرة فيها ولا نضرة .ثم ينزل المطر، فإذا بها تهتز وتربو وتنب .إنها آية مرئية للبعث! فإذا كنت ترى الأرض الميتة تُحيى بالماء، فكيف تشك في أن عظامك وهي رميم ستُحيى بقدرة الله؟ إنه دليل قاطع يخاطب عقلك مباشرة: البعث حقيقة ملموسة تراها في كل موسم مطير.

.٣مشهد تصريف الرياح

)وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ(:
كلمة "تصريف" أبلغ من "هبوب". "التصريف" يعني أن الرياح تأتي بأشكال شتى. رياح باردة، وأخرى حارة، ورياح مبشرة بالمطر، وأخرى عاصفة، ورياح تلقح النبات، ورياح تجري الفلك في البحر بأمره. إنها تأتمر بأمر الله، حاملة أرزاقًا. إنها جند من جنود الله، تأتي بالرحمة تارة، وبالعذاب تارة بأمره. هذا التصريف يدل على "حكمة" المدبر الذي يرسلها بقدر لحكمة يعلمها.

· درس من الرياح: لا تيأس من رحمة الله .فكما أن الرياح تتغير من عاصفة مدمرة إلى نسمة عليلة رخاء، كذلك الأقدار بيد الله يقلبها كيف يشاء .إن مشهد الرياح وهي تصرّف يمنحك يقينًا ديناميكيًا بأن الأمور كلها بيد محرك واحد.

الأمر الثاني: المحاور التحليلية العميقة للآية

المحور الأول: مفاهيم البناء والتنمية المستدامة من الآية

هذه الآية ليست فقط مشاهد تأملية، بل هي تأسيس كامل لنموذج التنمية المستدامة بالمفهوم القرآني، وهي تنمية تبدأ من يقظة العقل والإيمان:

.١التنمية الزمنية) استثمار الوقت(: مشهد) اختلاف الليل والنهار (يعلمك أن الزمن هو رأس مالك الوحيد .إنه يختلف ويتقلب، وما يذهب منه لا يعود .هذا المشهد يبني فيك "وعيًا زمنيًا" يدفعك لا ستثمار كل لحظة في طاعة وعمل صالح، لا أن تذروه الدهر بددًا.

.٢التنمية الاقتصادية والغذائية) الأمن الغذائي(: مشهد) إنزال الرزق من السماء (هو إعلان إلهي أن مصدر الأرزاق بيد الله .إنه يربيك على أن تعمل وتزرع وتجتهد، ولكن بيقين أن الرزق من عنده وحده، مرتبط بشكره: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .إنها تبنى فيك نفسية المتفائل الذي يعمر الأرض لأنه يوقن أن الله ينزل الرزق لمن يسعى.

.٣التنمية الفكرية والعلمية) منهج الاستدلال العقلي(: مشهد) تصريف الرياح (وديناميكية الكون كلها تدعوك لدراسة القوانين التي تحكمها .تصريف الرياح اليوم هو علم الأرصاد والطاقة والملاحة .القرآن يدعوك هنا لدراسة هذه العلوم لتسخيرها لخدمة البشرية، فهي "آيات لقوم يعقلون" .فالذي يعقل الآية لا يقف عندها متأملا ً فقط، بل يدرس قوانينها ليسخرها.

المحور الثاني: بناء الصورة الذهنية الحية والمفاهيم الشاملة

تخيل معي هذا المشهد الحي الذي تبنيه الآية في ذهنك:
أنت تقف الآن على مسرح الحياة، ترى حولك مسرحيتين متزامنتين:

المسرحية الأولى: مسرحية الزمن والدهر (صامتة – مادية).
تخيل ساعة عملاقة، عقاربها تدور بلا توقف. ليل ثم نهار، ليل ثم نهار. الماديون يرونها فقط "دهرًا" يأكل العمر ويطحن البشر. يرونها دورة فيزيائية باردة، لا معنى لها ولا رسالة.

المسرحية الثانية: مسرحية الآيات والأرزاق (حية – إيمانية).
وأنت أيها المؤمن، في اللحظة التي يدخل فيها عقلك وقلبك إلى المشهد، تتبدل الصورة! تسمع الساعة ذاتها وهي تهتف: "البعث حق! كما يتعاقب الليل والنهار، ستُبعث!". ترى المطر لا كدورة مياه، بل كحبل رزق متصل من السماء، ينزل في همسة عبودية ليمسح موت الأرض. ترى الرياح ليست هواء مهملا ً، بل أفواج من الملائكة وجنود من أمر الله، ترسلها قيادة "العزيز الحكيم" لتحمل الرزق وتلقح النبات وتسير السفن. هذه هي الصورة الذهنية التي تزرعها الآية في وجدانك!

فيا من تعيش عصر الشاشات المسطحة التي أفقدتك البعد الثالث (الروح)، تدعوك الآية لتستعيد الصورة الحية في ذهنك، فترى ببصيرتك يد الله وهي تحرك كل شيء من خلف الأسباب.

المحور الثالث: كيف تربّي الآية النفس وتغذي الفكر وتزرع الطمأنينة؟

أولا ً: تربية النفس على الانقياد (البعد الوجداني والروحي):

· الدهشة والرهبة: مشهد إحياء الأرض بعد موتها يزرع في نفسك "الانبهار" بقدرة الله، فالذي يخرج النبات الأخضر من التربة الميتة قادر على كل شيء .هذه الدهشة تطرد الغفلة من قلبك، وتجعلك في حالة خشوع دائم.
· السكينة والثقة بالرزاق: حين ترى المطر، تشعر بأن رزقك ليس بيد مديرك، ولا بيد السوق، بل بيد الله الذي ينزل القطر من السماء .هذا الإحساس يحرر نفسك من "قلق الرزق" الذي يقتل الملايين، ويملؤها طمأنينة وسلامًا داخليًا.

ثانيًا: تغذية الفكر بالتدبر (البعد العقلي):

· الربط بين الوحي والكون: الآية تربط عقلك بين "تنزيل الكتاب") الوحي (وبين "إنزال الرزق") الكون .(كلاهما نزل من السماء لإحياء البشرية: الوحي يحيي القلوب بعد موتها بالجهل، والمطر يحيي الأبدان بعد موتها بالجدب .المصدر واحد، والعزيز الحكيم هو منزل هذا وهذا.
· التفكير المنهجي: تعاقب الليل والنهار، ونزول المطر، وتصريف الرياح، كلها عمليات لها "سنن" وقوانين ثابتة .هذا يعلم عقلك أن للحياة نظامًا، وأن الإيمان ليس فوضى عاطفية، بل دين نظام وانسجام مع نواميس الكون.

المحور الرابع: أبعاد الآية وآفاقها (الوجدانية والعقلية والتربوية)

.١البعد الوجداني) الروحي والنفسي(:

· التخلص من رتابة الألفة: هذه المتغيرات اليومية تكاد لا تشعر بها من شدة الألفة .الآية تعيدك إلى حالة "اليقظة الأولى"، فترى كل شروق وغروب كأنك تراه لأول مرة، فتتعاظم دهشتك بالخالق.
· الإحساس بالعناية الإلهية المستمرة: أنت لست وحدك! الليل والنهار مسخران لك، والمطر رزق يُنزل لأ جلك، والرياح تُصرّف لخدمتك .هذا الشعور العميق بالعناية الإلهية يغمرك بالحب لله.

.٢البعد العقلي) الفكري والمنهجي(:

· تأسيس العقلية الاستدلالية: الآية لا تخاطبك بعاطفة جوفاء، بل تقول لك: "ألا ترى؟ ألا تعقل؟" .إنها تحترم عقلك، وتدعوك لتستخدمه لترى أن هذه المتغيرات لا يمكن أن تكون بلا فاعل حكيم.
· مواجهة الفلسفة المادية: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ رد مباشر على من جعلوا "الدهر" هو علة كل شيء .فالذي يعقل هو الذي يدرك أن "تصريف الرياح" لا يمكن أن يحدث بلا مصرّف، فنفي الصدفة هو جوهر العقل.

.٣البعد التربوي) العملي والسلوكي(:

· تربية الشكر العملي: الرزق ينزل من السماء ...إذن فأنت عبد مُنعَم عليه .والشكر ليس كلمة باللسان فقط، بل صرف للنعمة في طاعة المُنعم.
· تربية الحيوية والنشاط: الكون كله في حركة: الليل يخلف النهار، والمطر يحيي الأرض، والرياح تتصرف .أنت بدورك مدعو أن تكون جزءًا من هذه الحركة الإيجابية؛ أن تعمل، وتتحرك، وتبني، فلا تكن راكدًا ميت الهمة في كون كل شيء فيه يتحرك.

المحور الخامس: الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من الآية

وأنت تقف متأملا ً هذه الآية، تصلك ثلاث رسائل مباشرة من الله عز وجل:

.١الرسالة النفسية: يا عبدي، لا تقلق على رزقك ولا على مستقبلك! أنا الذي أرسل الرياح، وأنزل المطر ، وأخرج النبات .أرأيت كيف أخرج الحياة من الموت؟ هكذا أخرج لك من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا .أنا "الرزاق" وأنت "المرزوق"، فلا تحمل همًا قد تكفلت به عنك .اطمئن.

.٢الرسالة التربوية: كن على يقين أن كل تغير في حياتك - من ليل إلى نهار، ومن شدة إلى رخاء - هو بتقديري وتدبيري .إنني أربيك بهذه المتغيرات، كما أربي الأرض بالمطر .وكما أن الشجرة لا تثبت ولا تحلو ثمارها إلا بتعاقب الفصول والرياح، كذلك أنت لا تزكو نفسك إلا بتعاقب المحن والمنح .ثق في حكمتي.

.٣الرسالة العقلية: استخدم عقلك! لا تمر على هذه المشاهد مرور الغافلين .أنا أكرمتك بالعقل لتربط بين الأسباب والمسببات، ولتستنتج من حركة الرياح أن هناك من يُحركها، ومن دقة تعاقب الليل و النهار أن هناك من يُدبره .العقل هو نافذتك لرؤية عظمتي، فلا تعطلها بغشاوة المادة.

المحور السادس: الدروس التطبيقية – كيف تحول الآية إلى واقع حياة؟

وهنا الأهم: كيف تجعل هذه الآية حية في حياتك العملية، وليس مجرد كلمات تتغنى بها؟

.١في تعاملك مع الوقت) من اختلاف الليل والنهار(:

· التطبيق العملي: اجعل لك "خطة يومية" .كما أن الليل والنهار لهما نظام دقيق، نظّم وقتك .خصص وقتًا للعمل، ووقتًا للراحة، ووقتًا للعبادة لا يُمس .لا تجعل "الدهر" يطحنك وأنت غافل؛ بل اركب قطار الزمن واعمل لآخرتك قبل أن يفوتك الأوان .كن صارمًا في مواعيدك؛ لأن احترام الزمن هو عبادة لله الذي صرّف الليل والنهار.

.٢في طلب الرزق والأمن الاقتصادي) من إنزال الرزق(:

· التطبيق العملي: اعمل واجتهد، ولكن لا تجعل "طلب الرزق" عذرًا لقطع الصلاة أو أكل الحرام .تأمل أن المطر ينزل من السماء، وأنت لا تستطيع أن تنزله .فاربط قلبك بالرزاق لا بالرزق .عندما تزرع أرضك أو تمارس تجارتك، افعل ذلك بنية "عمارة الأرض" وانتظر الرزق الحلال من الله .كن سخيًا وأنفق مما رزقك، فأنت وكيل على رزق الله الذي أنزله.

.٣في مواجهة الفتن وتقلبات الحياة) من تصريف الرياح(:

· التطبيق العملي: الرياح تُصرّف ...مرة بشارة، ومرة عذاب .لا تتفاجأ من تقلبات الناس وتغير الظروف . وكما تتقي ضرر الرياح العاتية وأنت شاكر لنعمة الرياح اللينة، تعامل مع تقلبات الحياة بالمرونة و الحكمة، وكن ثابت الإيمان راسخًا، لا تزعزعك الرياح .والأهم، انظر حولك: من المحتاج الذي تقصفه رياح الفاقة؟ كن له كالريح الرخاء، يسّر عليه، وأعنه، فاليد العليا خير من اليد السفلى.

المحور الخامس

دلاله التعقيب فى الايات (3--5)

تعد الآيات3) -4- (5من سورة الجاثية نموذجاً قرآنياً فريداً في ترتيب الأدلة الكونية وربطها بالحالة النفسية والذهنية للمتلقي .إن دلالة** التعقيب **في هذه الآيات) ختم كل آية بصفة معينة (ترسم خارطة طريق معرفية تبدأ من الإيمان، وتمر باليقين، وتنتهي بالتعقل.

إليك شرح مفصل لكيفية بيان هذه الآيات لدعائم الوصول إلى القصد والحكمة:

.1 آية المؤمنين: الإيمان كبوابة للاستعداد النفسي

يقول تعالى:** "إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ") **الجاثية:.(3

** * الدلالة: **ختمت الآية بصفة "المؤمنين" لأن الإيمان هو الشرط الأول للانتفاع بالآيات المرئية.

** * الدعامة) الخشوع والتطهير(: **الإيمان ليس مجرد تصديق ذهني، بل هو طاقة تبعث في القلب الخشوع .هذا الخشوع يعمل كعملية "تطهير" للقلب من الشرك الخفي، والشهوات، والأهواء التي تطمس البصيرة.

** * النتيجة: **عندما يطهر القلب، يصبح مرآة صالحة لانعكاس عظمة الله المتجلية في خلق السماوات والأرض، فينتقل من مرحلة "النظر" إلى مرحلة "الرؤية بالبصيرة".

.2 آية الموقنين: اليقين كقاذف للنور والعزيمة

يقول تعالى:** "وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ") **الجاثية:.(4

** * الدلالة: **بعد الانتقال من الآفاق) السماوات (إلى النفس) خلقكم(، ختمت الآية بـ "الموقنين".

** * الدعامة) النور والبصيرة(: **اليقين هو أعلى درجات التصديق، وهو الذي يقذف النور في القلب . بهذا النور يبصر الإنسان "الحكمة" الكامنة وراء التفاصيل الدقيقة في الخلق، فلا يرى مجرد كائنات، بل يرى "عِبَراً ودروساً".

** * النتيجة: **اليقين يزود الإنسان بـ** الإرادة والعزيمة**؛ فمن استيقن الحكمة من خلقه، استقام

أمره وأخذ بأحسن الأحكام، وتحولت المعرفة عنده من معلومة إلى "منهج حياة".
3. آية العاقلين: العقل كأداة للتحرر والمجاهدة
يقول تعالى:** "وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ") **الجاثية:.(5
** * الدلالة: **خُتمت هذه الآية بـ "يعقلون" لأن إدراك نظام الحركة) الليل والنهار، الرياح، الرزق (يتطلب ربطاً منطقياً واستنتاجاً عقلياً عميقاً.
** * الدعامة) التحرر والزهد(: **العقل هنا ليس مجرد منطق بارد، بل هو القوة التي تحرر النفس من تسلط الأهواء .عندما يعمل العقل في آيات الله، يدرك حقيقة الفناء) موت الأرض وإحياؤها (وحقيقة البعث، فينشأ عنه:
** * الزهد: **في الدنيا الفانية.
** * الاستعداد: **بالتأهب للموت ومجاهدة النفس.
** * الحركة الإيجابية: **عبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
** * النتيجة النهائية: **العقل يوصل الإنسان إلى "معرفة الخالق" معرفة توجب الحب والتعظيم، فيصبح العبد مخلصاً، مستعيناً، ومتوكلا ً، يرى في كل حركة وسكون في الكون دليلا ً على ربه.
ملخص تراتبية الوصول

الاداه	الغايه من التعقيب	الثمرة العمليه
الإيمان	تطهير الوعاء(القلب)	الخشوع ونبذ الهوى |
اليقين	اضاءة البصيرة	إدراك الحكمة وقوة الإرادة
العقل	ضبط الممارسة والتحرر	العبودية المخلصة والمجاهدة

بهذا الترتيب، تبين الآيات أن الوصول إلى "القصد" من الآيات المرئية) الكون (والمقروءة) القرآن (لا يكون إلا بتكامل هذه القوى الثلاث، لتنتج إنساناً متصلا ً بخالقه، مدركاً لرسالته في الوجود.
خلاصة شاملة: بناء الصورة النهائية للآية في ذهنك

أخي، أختي...
أنت لست في كون صمّاء تحكمه قوانين الطبيعة فقط، كما يزعم الماديون.
أنت في كون حيّ، ناطق، متحرك بأمر الله في كل لحظة... كون يربيك ويعلمك.

عندما يأتي الليل:
فتذكر ظلمة القبر، وسارع بالتوبة.

وعندما يشرق النهار:
فاحمد الله أن جعله بعثًا جديدًا لك، واعمل صالحًا.

وعندما ينزل المطر:
فقل: اللهم صيبًا نافعًا، واعلم أن رزقك بيد الله وحده، فارفع يديك بالسؤال، ويدك بالعمل، وقلبك بـ الثقة.

وعندما تهب الرياح:
فقل: اللهم اجعلها رياح رحمة ولا تجعلها رياح عذاب، وتذكر أنها رسل من الله تحمل بين طياتها أرزاق العباد.

بهذا الشعور الحي، يتحول الكون كله من حولك إلى محراب... وتصبح "آيات لقوم يعقلون" هي وصف حالك أنت.
فتحيا بالله، عاقلا ً متدبرًا، قد تحرر عقلك من خرافة الصدفة والمادة، واستقر في رحاب اليقين بسيد الأكوان.
وهذا هو الهدف الأسمى من جراحة سورة الجاثية الروحية: أن تقتلع من عقلك وقلبك جذور المادية ، وتزرع مكانها عقلًا يعقل، وقلبًا يوقن، ونفسًا تطمئن.
المبحث الرابع

أما بعد، فيا من تنفست عبير "حم"، ويا من تجولت في ملكوت السموات والأرض، ورأيت آيات الله في كل ذرة من كيانك، ويا من أيقنت أن تعاقب الليل والنهار وتصريف الرياح ليس عبثًا، بل آيات لقوم يعقلون، نقف اليوم معًا على مشهد جديد، مشهد تتجلى فيه الحقيقة الكبرى التي كانت تعدّنا لها كل الآيات السابقة... إنه مشهد إعلان ختامي، وتحدي إلهي للعالمين.

بعد أن أرانا الله آياته المبثوثة في الآفاق والأنفس والآفاق الحركية (الليل، والمطر، والرياح)، لم يتركنا في حيرة من أمر هذه الآيات. بل يأتي الخطاب الإلهي ليجمع كل هذه الخيوط الكونية في قبضة واحدة، ويهتف بنا هاتف اليقين: هذه هي آيات الله! إنها آية جامعة، تنظر إلى الوراء لتقول: هذا كله من عند الله، وتنظر إلى الأمام لتقول: أيقنتم الآن أم بقي في قلوبكم شك؟

وهنا تتجلى عظمه السياق القرآني؛ فبعد أن خُتمت الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، يأتي هذا الإعلان العظيم ليخاطب العقل ذاته: إن عقلتم هذه الآيات، فماذا بقي لكم من عذر؟ وإن لم تؤمنوا بها، فبأي كلام بعد كلام الله تؤمنون؟! إنه التحدي الإلهي الذي يزلزل كيان المادي المشكك، ويثبت قلب المؤمن الموقن.

تحليل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نتلوها عَلَيْكَ بِالحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: 6]

المعنى العام للآية ودلالة بلاغتها

هذه الآية هي الخلاصة المركزة لكل ما سبق من أدلة كونية ونفسية، وهي في الوقت نفسه القنبلة البلاغية التي تنسف كل محاولة للهروب من الحقيقة، وكما عبّر سيد قطب رحمه الله: "من لم يؤمن بهذه الآيات فلا رجاء في أن يؤمن بسواها؛ ومن لم توقظه هذه الإشارات الموحية فلن توقظه الصرخات من غير هذا الصوت المستجاب".

لننظر معًا في بلاغة النظم القرآني في هذه الآية على عدة مستويات:

أولا ً: بلاغة الإشارة ﴿تِلْكَ﴾:
استخدم الله اسم الإشارة للبعيد ﴿تِلْكَ﴾ ولم يقل "هذه". لماذا؟ لقد ذكر البيضاوي وغيره من المفسرين أن في هذه الإشارة للبعيد دلالات ثلاثا:

1.الاستقصاء والشمول: الآيات كثيرة ومتنوعة، بعضها في الآفاق) السموات والأرض(، وبعضها في الأنفس) خلقكم(، وبعضها في الظواهر) الليل والنهار(، فجاءت الإشارة للبعيد لتستوعب كل هذه الأنواع المتباعدة.
2.علو الرتبة ورفعة الشأن: هذه الآيات ليست قريبة المنال كأي كلام عادي، بل هي آيات عالية المقام ، بعيدة الغور، تحتاج إلى تأمل عميق للوصول إليها.
3.التعظيم والتفخيم: أسلوب العرب في التعظيم أن يشيروا إلى الشيء العظيم باسم الإشارة للبعيد، تعظيمًا لشأنه وتفخيمًا لقدره.

ثانيًا: سر إضافة الآيات إلى اسم الجلالة ﴿اللهِ﴾:
قوله تعالى: ﴿آيَاتُ اللهِ﴾ فيه إضافة عظيمة. هذه الآيات لم تُنسَب إلى أحد سواه، ولم تُنسَب إلى الطبيعة أو الدهر. إنها "آيات الله" وحده. وفي هذه الإضافة تشريف لهذه الآيات، ورفعة لشأنها، وإعلان بمصدرها الرباني، وأنها ليست ظواهر طبيعية صماء، بل هي رسائل إلهية تحمل توقيع الخالق.

ثالثًا: دلالة ﴿نتلوها﴾:
الفعل "نتلوها" بصيغة المضارع يدل على الاستمرارية والتجدد. هذه الآيات لم تُتلَ مرة وانتهى الأمر، بل هي تُتلى الآن وكل حين، فهي معجزة متجددة لا تنقضي عجائبها. وقد جاء بضمير الجمع (نحن) إشارة إلى عظمة المتكلم سبحانه، وإلى توسط الملائكة في التبليغ، وإلى أن هذه التلاوة محفوفة بعناية خاصة.

رابعًا: معنى ﴿بِالحَقِّ﴾:
وكما فسر الطبري رحمه الله: نخبرك عنها بالحق لا بالباطل، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل، أنها تقربهم إلى الله زلفى. فالحق هنا مقابل الباطل، والحق هو الأمر الثابت الذي لا مرية فيه، وهذا وصف للتلاوة كلها: أنها ملتبسة بالحق من كل وجه، ليس فيها شائبة باطل أو وهم أو خرافة.

خامسًا: الاستفهام التحدي ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾:
هذا الاستفهام ليس استفهامًا حقيقيًا، بل هو استفهام إنكاري تبكيتي مفاده: لا حديث بعد حديث الله يمكن أن يُصدّق إن كذّب حديثه. وقد أشار الرازي رحمه الله إلى أن الآية تبطل قول من يزعم أن التقليد كافٍ، وتبين أنه يجب على المكلف التأمل في دلائل دين الله.

والآن، لنغص في أعماق هذه الآية الكريمة، مستخرجين دررها، ومستلهمين بركاتها...

الأمر الأول: تحليل العناصر البلاغية والتركيبية للآية

المحور الأول: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ﴾ – إعلان المصدر الإلهي

١.دلالات اختيار اسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾:
لماذا اختار الله ﴿تِلْكَ﴾ الدالة على البعيد دون ﴿هَٰذِهِ﴾ الدالة على القريب؟

أ. منزلة الرفعة وعلو الشأن:
إن استخدام اسم الإشارة للبعيد هنا يشير إلى أن هذه الآيات ليست كلامًا عاديًا يمكن أن يُنال بيسر وسهولة. إنها آيات عالية المقام، سامية المعاني، تحتاج إلى تسامٍ في الروح للوصول إليها، وإلى صفاء في النفس لتذوقها. فكأن الله يقول لك: "هذه الآيات العظيمة، الرفيعة القدر، البعيدة المنزلة، لا ينال بركتها إلا من تسامى إليها بقلبه وقالبه، لا من مرّ بها مرور الكرام".

ب. الاستقصاء والشمول:
الآيات السابقة شملت أنواعًا متعددة متباعدة: آيات في السموات (بعيدة)، وآيات في الأرض (قريبة)، وآيات في الأنفس (أقرب)، وآيات في الظواهر الحركية (متغيرة). فجاءت ﴿تِلْكَ﴾ لتشير إلى هذا الكم الهائل المتنوع المتباعد، وكأنها تقول: "كل هذه الآيات، على تباعد أجناسها وأنواعها، هي آيات الله الدالة عليه".

ج. التعظيم والتفخيم:
من أساليب العرب في التعظيم أن يشيروا إلى الشيء الجليل باسم الإشارة للبعيد. فعندما تريد تعظيم شيء، تقول: "ذلك الرجل" بدلا ً من "هذا الرجل". فالله سبحانه يعظم هذه الآيات في نفوسنا بهذه ا لإشارة البعيدة.

٢.دلالات إضافة الآيات إلى ﴿اللهِ﴾:
في هذه الإضافة البسيطة (آيات + الله) تكمن حقائق عظيمة:

أ. التشريف والتكريم:
هذه الآيات لم تُنسَب إلى الطبيعة، ولا إلى الدهر، ولا إلى الصدفة، بل نسبت إلى الله وحده. وهذه الإ ضافة تضفي عليها شرفًا لا يدانيه شرف، وقدسية لا تدانيها قدسية، ومصداقية لا يرقى إليها شك.

ب. إثبات الألوهية والوحدانية:
وهذه هي قضية السورة الكبرى: هذه الآيات هي أدلة وحجج على وحدانية الله. وقد قال الطبري رحمه الله: "هذه الآيات والحجج يا محمد من ربك على خلقه". فكل آية من هذه الآيات تعلن بلسان حالها: "لا إله إلا الله" لمن كان له قلب يعقل.

ج. الرد على الماديين:
هذه الإضافة رد مباشر على الفلسفة المادية التي ترى الكون مجرد مادة صماء. فالله يعلن أن هذه ا لآيات هي "آياته" هي، وليست مجرد ظواهر طبيعية عمياء. إنها رسائل منه، وتوقيع منه، ودلائل عليه.

٣.ماذا يريد المولى منا عندما يخبرنا أن هذه آياته؟
كما سبق في تحليل الآية الأولى، يريد الله منا هنا أيضًا:

· أن نصل إلى درجة اليقين الجازم بأن هذا كله من عنده وحده.
· أن نتعامل مع هذه الآيات الكونية والقرآنية بقلب حاضر يستشعر أنها رسائل شخصية من الخالق إلى المخلوق.
· أن ندرك أنه لا انفصال بين الوحي المسطور والوحي المنظور؛ فالذي أنزل القرآن هو الذي خلق الكون، وكلاهما آيات دالة عليه.

المحور الثاني: ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ – ضمانة الصدق الإلهي

١.معنى التلاوة هنا:

قال الطبري: "نخبرك عنها بالحق لا بالباطل، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل". فالتلاوة هنا بمعنى الإخبار والقص والنقل الأمين. وقد قيل في معناها: الإتيان بالثاني في أثر الأول، أي تتابع الآيات واحدة تلو الأخرى، كل واحدة تشهد للأخرى وتعضدها.

٢.دلالة الفعل المضارع ﴿نتلُو﴾:
استخدام المضارع هنا بدلاً من الماضي (تلونا) له سر بديع:

· الاستمرارية والتجدد: هذه الآيات لا تزال تُتلى، ولا تزال معجزتها متجددة، ولا تزال هدايتها مستمرة.
· إفادة الحال والاستقبال معًا: التلاوة حاصلة الآن) حال نزولها(، وستستمر إلى ما شاء الله) حال الاستقبال.(
· التشويق والاستحضار: يجعل القارئ يعيش الحدث وكأنه يحدث الآن أمامه، فيتفاعل معه قلبًا وقالبًا.

٣.بلاغة ﴿بِالحَقِّ﴾:
كلمة ﴿بِالحَقِّ﴾ حال من فاعل ﴿نتلُو﴾، أو من مفعوله ﴿هَا﴾. ومعناها: نتلوها عليك ملتبسة بالحق، أو محقين في تلاوتها. وفي هذا إعلان إلهي أن كل ما جاء في هذه الآيات هو الحق المحض الذي لا تشوبه شائبة باطل.

وهذا له أثر نفسي عظيم على المؤمن، فهو يوقن أن ما يقرؤه ويسمعه ليس من نسج الخيال، وليس من الأساطير، بل هو الحق الثابت الذي لا يتغير.

٤.الفرق بين أن تُتلى الآيات ﴿بِالحَقِّ﴾ وبين أن تُتلى بغيره:
إذا تليت عليك الآيات بالحق، كما يفعل القرآن:

· فهي تهديك إلى الصراط المستقيم.
· وتورثك اليقين والطمأنينة.
· وتزيدك إيمانًا وخشية.

وإذا تليت عليك بغير الحق (أي بالباطل والخرافات والأساطير):

· فهي توقعك في الحيرة والضلال.
· وتورثك الشك والقلق.
· وتكون سببًا في غفلتك وطغيانك.

ولذلك كان المشركون يتجنبون سماع القرآن، ويقولون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾، لأنهم كانوا يشعرون بأنه حق، وأنه قادر على زلزلة معتقداتهم الباطلة.

المحور الثالث: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ – التحدي الإلهي الأعظم

١.تحليل الاستفهام الإنكاري:
هذا الاستفهام ليس حقيقيًا يطلب الجواب، بل هو استفهام إنكاري تبكيتي. ومعناه: لا حديث بعد حديث الله يمكن أن يُصدّق. وقد قال ابن كثير رحمه الله: "فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها، فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟!".

٢.ماذا وراء هذا التحدي؟
هذا التحدي الإلهي يحمل في طياته رسائل عديدة:

أ. إفحام المكابرين:
هذا التحدي يُفحم كل من يزعم أن هناك مصدرًا آخر للحق بعد الله. فإذا كانت هذه الآيات البينات لا تكفيه، فماذا سيكفيه إذن؟ الجواب: لا شيء! لأنه -كما قال سيد قطب- "من لم يؤمن بهذه الآيات فلا رجاء في أن يؤمن بسواها".

ب. تقريع وتوبيخ:
كما قال الثعالبي رحمه الله: "آية تقريع وتوبيخ، وفيها قوة تهديد". ففيها تقريع لمن أعرض عن هذه الآيات، وتوبيخ لمن استكبر عنها، وتهديد ضمني بأنه إن لم يؤمن بهذا الحديث، فلن يؤمن بغيره، وسيبقى في ضلاله يعمه.

ج. سد باب التعللات:
بهذا التحدي، أغلق الله كل باب للتعلل والتهرب. فلم يعد بإمكان المادي المكابر أن يقول: "لم تأتنا آيات كافية"، لأن الله أتاهم بآيات في السموات والأرض والأنفس والآفاق، ثم تحداهم: إن لم تكفكم هذه، فماذا سيكفيكم؟

.٣دلالة ﴿بَعْدَ اللهِ﴾:
المقصود بـ ﴿بَعْدَ اللهِ﴾ أي: بعد حديث الله (أي القرآن). وسمي القرآن "حديثًا" لأنه يحدث بما كان وبما يكون وبما هو كائن، ولأنه يُتحدث به ويُتناقل. وهذا من بلاغة التعبير القرآني. وقيل: بعد توحيد الله وآياته الدالة عليه.

.٤الفرق بين الحديث والآيات:
قد يتساءل البعض: لماذا عطف ﴿وَآيَاتِهِ﴾ على ﴿اللهِ﴾؟ أليس الحديث (القرآن) هو نفسه من آياته؟
يجيب الماتريدي رحمه الله بأن حديث القرآن يشمل قصصه وأخباره التي تستخرج منها العبر، أما الآ يات فهي الأدلة التي تفصل بين الصحيح والفاسد. فالحديث هنا يشير إلى الوحي، والآيات إلى الأدلة الكونية. والمعنى: فبأي حديث وكلام بعد كلام الله، وبعد آياته الكونية الواضحة، يؤمنون ويصدقون؟!

الأمر الثاني: المحاور التحليلية العميقة للآية

المحور الأول: مفاهيم البناء والتنمية المستدامة من الآية

هذه الآية ليست مجرد إعلان ختامي، بل هي تأسيس كامل لمفاهيم البناء والتنمية:

.١التنمية العقدية) بناء اليقين الراسخ(:
الآية تبني فيك اليقين الجازم بأن الحق منحصر في حديث الله وآياته. وهذا هو أساس التنمية العقدية: أن تصل إلى مرتبة لا تشك فيها، ولا تتزعزع، مهما واجهت من شبهات. إنها تبني في داخلك "مرجعية الحق" التي هي القرآن والكون معًا.

.٢التنمية الفكرية) منهجية التفكير والاستدلال(:
الآية تبنى فيك منهجية التفكير السليم: لا تقبل أي كلام إلا بعد عرضه على الحق (الوحي). إنها تحررك من التبعية الفكرية، وتجعلك صاحب معيار واضح للحكم على الأفكار والتصورات. فكما قال الرازي رحمه الله: هذه الآية تبطل قول من يزعم أن التقليد كافٍ، وتبين ضرورة التأمل في دلائل دين الله.

.٣التنمية النفسية) الاستعلاء بالحق والثقة المطلقة(:
عندما تستقر في نفسك حقيقة أن "الحديث الحق" هو حديث الله وحده، فإنك تتحرر نفسيًا من كل ضغط فكري أو اجتماعي. لا يهمك ما يقوله الناس، ما دمت على يقين أن ما معك هو الحق من عند الله. هذه هي العزة النفسية التي تمنحك إياها الآية.

.٤التنمية الحضارية) بناء أمة الحق(:
أمة توقن بأن الحق منحصر في وحي الله وآياته، هي أمة لا تقبل الذل، ولا ترضى بالتبعية الفكرية، ولا تستورد قيمها من غيرها. هذه الأمة تبني حضارتها على أساس متين من الثقة بالله واليقين بوعده، وتكون هي "الشاهدة على الناس"، لأنها تملك الحق المطلق من عند الخالق الحكيم.

المحور الثاني: بناء الصورة الذهنية الحية والمفاهيم الشاملة

تخيل معي هذا المشهد الحي الذي تبنيه الآية في ذهنك:

أنت واقف في ساحة المحاكمة الإلهية الكبرى التي بدأت بها سورة الجاثية. لقد عرض الله عليك كل الأدلة:

· أرَاك السماء مرفوعة بغير عمد، وسألك: ألا تدل على قدرتي؟
· أرَاك الأرض وما فيها من جبال ودواب، وسألك: ألا تدل على حكمتي؟
· أرَاك نفسك، أصلك من نطفة، وسألك: ألا يدلك هذا على ضعفك وفقري إلي؟

· أرَاك المطر يحيي الأرض بعد موتها، والرياح مصرفة بأمره، والليل والنهار متعاقبان، وسألك: ألا يدل هذا على أن البعث حق؟

والآن، بعد هذا كله، يلتفت إليك القاضي الأعظم (الله رب العالمين) ويسألك سؤالا ً واحدًا، فيه كل معاني التحدي والإفحام: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾؟

اسمع وقع هذا السؤال في أذنك! إنه ليس مجرد استفهام، بل هو مطرقة الحق التي تهوي على رأس الباطل. إنه يقول لك بصريح العبارة: إن كنتَ لم تؤمن بكل هذه الآيات، فبأي شيء إذن ستؤمن؟! هل ستؤمن بالفلسفة المادية التي تقول: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾؟ هل ستؤمن بأكاذيب الإعلام والموضة الفكرية؟ هل ستؤمن بـ "صنم الأنا" وهواك؟

هذا هو المشهد الذهني الحي الذي تبنيه الآية في ذهنك:

· أنت واقف بين يدي الله.
· الأدلة كلها معروضة أمامك.
· السؤال الإلهي يُطرح عليك مباشرة.
· وعليك أنت أن تجيب ...بماذا ستؤمن؟ ومن أي بحر ستغترف؟

ولقد قال القشيري رحمه الله عن هذه الآية: "فمن لا يؤمن بها فبأي حديث يؤمن؟ ومن أي أصل يستمد بعده؟ ومن أي بحر في التحقيق يغترف؟ هيهات! ما بقي للإشكال في هذا مجال".

نعم... هيهات! ما بقي للإشكال في هذا مجال!

المحور الثالث: كيف تربّي الآية النفس وتغذي الفكر وتزرع الطمأنينة؟

أولا ً: تربية النفس على الانقياد لله (البعد الوجداني والروحي):

· هيبة المصدر ورهبته: عندما تسمع قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ﴾، تشعر أنك أمام شيء عظيم، مهيب، مقدس .هذا الشعور يورث في نفسك رهبة من الله، وتعظيمًا لكلامه وآياته، ويجعلك أكثر استعدادًا للا نقياد والخضوع.
· الطمأنينة والثقة المطلقة: عندما تستقر في نفسك حقيقة أن هذا "بالحق"، وأنه ليس فيه شائبة باطل، تشعر بطمأنينة عظيمة .أنت لا تقرأ كلام بشر يحتمل الخطأ والصواب، بل تقرأ كلام الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثانيًا: تغذية الفكر بالتدبر (البعد العقلي والمنهجي):

· تعزيز ملكة النقد والتمييز: الآية تبني فيك ملكة "النقد المعرفي" .فبعد أن عُرضت عليك آيات الله، يأتي السؤال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾؟ هذا السؤال يدفعك لتقيم أي كلام تسمعه، وأي فكرة تعرض عليك، بميزان: هل هو موافق لحديث الله وآياته أم لا؟
· تأسيس "العقلية الاستدلالية": الآية لا تطلب منك أن تؤمن إيمانًا أعمى، بل تدعوك إلى التأمل والا ستدلال .فبعد أن عرضت عليك الأدلة العقلية والكونية) الآيات(، تطرح عليك السؤال لتجيب عنه بعقلك: إن لم تؤمن بهذه، فبماذا ستؤمن؟

ثالثًا: زرع الطمأنينة عبر "يقينية المصدر":

· الأمان الوجودي: أنت لست تائهًا في هذا الكون! هناك "حق" واضح، وهناك "حديث" صادق، وهناك "آيات" بينات .كل هذا يمنحك أمانًا وجوديًا عظيمًا، فأنت تعرف من أين أتيت، وإلى أين تذهب، وكيف تعيش.
· الحماية من التيه الفكري: في زمن كثرت فيه الأفكار والفلسفات والمذاهب، تأتي هذه الآية لتكون لك "مرساة" تثبتك .أنت لا تحتاج إلى أي "حديث" آخر بعد حديث الله، ولا إلى أي "آيات" بعد آياته . هذا هو المنبع الوحيد الذي يرويك ولا تظمأ بعده أبدًا.

المحور الرابع: أبعاد الآية وآفاقها (الوجدانية والعقلية والتربوية)

.١البعد الوجداني) الروحي والنفسي(:

· استنهاض الهمة الإيمانية: عندما تسمع هذا التحدي الإلهي ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾، تشعر بأن همتك ترتفع، وبأن إيمانك يشتعل، وتقول: "أنا لن أؤمن إلا بحديث الله وآياته، ولن أستمع لأ ي كلام يخالفها" .إنها دفعة إيمانية هائلة!
· التخلص من التردد والحيرة: هذه الآية تقطع عليك طريق الحيرة والتردد .فلا مجال للمساومة، ولا خيار للشك .الحق واضح، والباطل واضح .فاختر لنفسك: إما الإيمان بحديث الله وآياته، وإما التيه و الضلال في متاهات الأباطيل.

.٢البعد العقلي) الفكري والمنهجي(:

· نقد المعارف البشرية: الآية تعطيك مفتاحًا لنقد كل المعارف البشرية .فأي علم، أي فلسفة، أي نظرية، تخالف حديث الله وآياته، هي باطلة .أنت لا ترفضها تعصبًا، بل ترفضها لأنك تملك "الحق" الذي يعلو ولا يُعلى عليه.
· مبدأ "كفاية الوحي": الآية تؤسس فيك مبدأ أن الوحي الإلهي كافٍ لهدايتك .أنت لا تحتاج إلى "حديث" بعد حديث الله .هذا لا يعني أن ترفض العلوم النافعة، بل يعني أن مرجعيتك العليا هي الوحي، وأن كل علم لا بد أن يُعرض على ميزانه.

.٣البعد التربوي) العملي والسلوكي(:

· تربية الثبات والرسوخ: هذه الآية تربي فيك الثبات على الحق .فأنت عندما تواجه الشبهات، تعود إلى هذه الآية وتقول: "أنا على يقين بأن هذا حديث الله وآياته، فلماذا ألتفت إلى غيره؟" .هذا هو سر الثبات الذي نراه في سير الصالحين والعلماء العاملين.
· تربية الشجاعة في إعلان الحق: هذه الآية تشحنك بشجاعة عظيمة لمواجهة أهل الباطل .فأنت لا تخشى لومة لائم، لأنك على يقين بأن معك الحق من عند الله .وكما قال الشاعر الذي استشهد به المنار: "إن صح قولكما فلست بخاسر ...أو صح قولي فالخسار عليكما".

المحور الخامس: الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من الآية

وأنت تقف متأملا ً هذه الآية، يخاطبك الله بثلاث رسائل مباشرة:

.١الرسالة النفسية:
يا عبدي... أنا لم أتركك وحيدًا في هذا الكون! أنا أنزلت لك الآيات. أنا أريتك الدلائل. أنا عرضت عليك الحجج. فعلامَ القلق؟ وعلامَ الحيرة؟ وعلامَ الشك؟ هذا هو حديثي الذي لا يأتيه الباطل، وهذه هي آياتي التي لا تُدحض. فاطعن بالشك في كل حديث سوى حديثي، واثبت باليقين على آياتي، تكن من الآمنين المطمئنين.

.٢الرسالة التربوية:
يا عبدي... أنا أربيك بهذا التحدي! أريدك أن تكون قويًا، أن تكون واثقًا، أن تكون قادرًا على التمييز بين الحق والباطل. لا تكن ضعيفًا تتقاذفه الأفكار، ولا متحيرًا توزعه المذاهب. كن عبدًا لله وحده، ولا تكن عبدًا لأي "حديث" أو فلسفة بعد حديث الله وآياته. هذا هو الطريق الوحيد للحرية والكرامة.

.٣الرسالة العقلية:
يا عبدي... استخدم عقلك! أنا لم أطلب منك الإيمان بلا دليل. بل إني عرضت عليك الآيات، ثم سألتك السؤال: إن لم تؤمن بهذه، فبماذا تؤمن؟ هذا السؤال موجّه لعقلك، ففكر، وتدبر، واعقل. إن العقل السليم لا يجد جوابًا على هذا السؤال إلا الإذعان للحق والإيمان به. فكن من أولي الألباب الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

المحور السادس: الدروس التطبيقية – كيف تحول الآية إلى واقع حياة؟

وهنا مربط الفرس، وهنا الثمرة الحقيقية من كل هذا التحليل.

.١في تعاملك مع القرآن) كتاب الله المسطور(:

· التطبيق العملي: اجعل لك وردًا يوميًا من القرآن، واستشعر وأنت تقرؤه أن هذه "آيات الله" تُتلى عليك "بالحق" .اقرأ بخشوع، بتدبر، بشعور أن الله يكلمك أنت .ولا تجعل يومك يمر دون أن "تسمع" حديث الله.
· التطبيق العملي: إذا جاءتك فكرة أو وسوسة تخالف القرآن، تذكر فورًا قوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ

وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ}، واطرحها عنك.

٢.في تعاملك مع الكون) كتاب الله المنظور(:

· التطبيق العملي: انظر إلى السماء، إلى الطير، إلى الشجر، إلى كل ما حولك، واستحضر أن هذه "آيات الله" .لا تمر عليها مرور الغافلين .تأمل، وسبّح، واذكر الله، وقل في نفسك: "هذه آية من آيات ربي".
· التطبيق العملي: إذا حاول أحد أن يفسر لك ظاهرة كونية تفسيرًا ماديًا بحتًا ينفي وجود الله وحكمته، تذكر أن هذه "آيات الله"، وأنها دلائل عليه، لا دلائل على غيبته.

٣.في مواجهة الشبهات الفكرية والفلسفات المادية:

· التطبيق العملي: كلما واجهتك شبهة، أو قرأت فكرة إلحادية، أو سمعت فلسفة مادية، اسأل نفسك السؤال القرآني: "أأترك حديث الله وآياته وأؤمن بهذا؟!" .هذا السؤال وحده كافٍ لتبديد كثير من الشبهات.

٤.في بناء شخصيتك المسلمة المستقلة:

· التطبيق العملي: لا تكن مقلدًا في عقيدتك .كن على يقين .ابحث، واقرأ، وتدبر، واسأل، حتى تصل إلى درجة اليقين التي تجعلك تقف في وجه العالم كله وتقول: "لا حديث بعد حديث الله يستحق أن أؤمن به".

خلاصة شاملة: بناء الصورة النهائية للآية في ذهنك

أخي المؤمن، أختي المؤمنة...

بعد هذه الرحلة مع الآية السادسة من سورة الجاثية، نصل إلى الخلاصة النهائية:

أنت الآن واقف على مفترق طريقين:

· طريق الإيمان: أن تؤمن بحديث الله وآياته، فتهتدي وتستقيم وتطمئن.
· طريق الإعراض: أن ترفض هذه الآيات، فلا يبقى لك إلا التيه والضلال والحيرة.

والسؤال القرآني ما زال يتردد في أذنك: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾؟

أرأيت كيف كانت هذه الآية هي الخلاصة المركزة لكل ما سبقها؟

· الآية1) -(2: ﴿حمٓ تنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾: أثبتت لك أن المصدر هو الله.
· الآية(3) : ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: أرتك الآيات في الآفاق.
· الآية(4) : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: أرتك الآيات في الأنفس.
· الآية(5) : ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾: أرتك الآيات في الظواهر الحركية.
· والآن، الآية (6) تجمع كل هذا، وتضعه في كفة الميزان، ثم تطرح السؤال الفاصل: إن لم تؤمنوا بكل هذا، فبماذا تؤمنون إذن؟!

إنها آية تحمل في طياتها:

· تحديًا للمادي المشكك ...لا جواب له!
· وتثبيتًا للمؤمن الموقن ...يزداد يقينه!
· ودعوة للباحث عن الحق ...أين تبحث والحق أمامك؟!

فاختر لنفسك أيها الكريم... واجعل هذه الآية شعارك في الحياة: لا حديث بعد حديث الله يؤمن به قلبك، ولا آيات بعد آياته توقن بها نفسك. عش بهذا اليقين، ومت عليه، تكن من الفائزين.

القسم الثاني

تبين الايات الاسباب وراء عدم انتفاع الكفار بالقران وبايات الله بان الاسباب تعود لمسائل متعلقه باستقبالهم للحق والقران الكريم وهو ما يستحق معه هؤلاء العذاب

المبحث الأول

أما بعد، فيا من وقف معنا في ساحة المحاكمة الإلهية الكبرى، ويا من سمع التحدي الإلهي المدوي: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ...لقد آن الأوان أن نكشف الستار عن الجواب العملي لهذا السؤال .لقد عرض الله عليك الآيات في الآفاق والأنفس، وتلاها عليك بالحق، وتحداك أن تجد حديثًا بعده يؤمن به ...فلماذا لم يؤمن هؤلاء الماديون؟ لماذا أعرضوا عن كل هذه الأدلة؟

هنا تأتي الآيات7) - (9لتُجيبك، لا بمجرد وصف سطحي، بل بـ "تشريح روحي ونفسي وعقلي" عميق لأسباب انغلاق القلب والعقل عن تلقي الحق .إنها تكشف لك العِلل الخفية، والأورام المستشرية في دواخل النفس، التي تجعل صاحبها يرى النور فيغمض عينيه، ويسمع الحق فيسد أذنيه، ويعرف الدليل فيسخر منه.

إنها آيات تعلمك أن المشكلة ليست في وضوح الأدلة أو كثرتها، بل في حالة المتلقي .إنها تكشف ثلا ثة أسباب جوهرية، كل سبب منها أشد فتكًا بالقلب والعقل من سابقه: (1) حب الشهوات وافتراء الأ كاذيب، (2) الكبر والعناد الذي يعطل العقل، (3) الاستهزاء بالحق واتخاذه مادة للسخرية .وهذه الأ سباب الثلاثة هي التفسير العملي لظاهرة "المادية المتعجرفة" التي تواجهها السورة، والتي تحدثنا عنها طويلا ً في مقدمتنا.

فاستعد أيها القارئ الكريم ...سنقوم الآن بعملية "جراحة روحية" لاستئصال هذه الأمراض من قلوبنا أو لا ً، قبل أن نحاكم بها الآخرين .واجعل نفسك مرآة لهذه الآيات، واسأل نفسك بصدق: هل فيّ شيء من هذه الصفات؟ فهيا نبدأ...
تحليل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الجاثية:[7

المعنى العام وموقع الآية من السياق

بعد أن ساق الله الأدلة تلو الأدلة، وبعد أن تحدى البشرى بأن يأتوا بحديث بعد حديثه يؤمنون به، ينتقل الخطاب الإلهي فجأة إلى التهديد والوعيد .لم يعد الأمر نقاشًا أو عرضًا للأدلة فحسب، بل صدر الحكم، وحان وقت تنفيذ العقوبة على من قابل هذه الأدلة بالجحود والصدود.

﴿وَيْلٌ﴾: كلمة "ويل" في القرآن هي وعيد شديد، وهي كلمة عذاب وهلاك .يقول ابن كثير: "الويل: الهلا ك والدمار" .ويقول الزمخشري: "الويل: كلمة تستعمل في مقام الوعيد والتهديد، وتدل على أن صاحبها قد استوجب أشد العذاب" .إنها ليست مجرد خبر، بل هي "وعد إلهي حتمي" بالهلاك لكل من اتصف بهذه الصفات.

فتأمل معي ...من هو هذا الشخص الذي استحق هذا الوعيد الشديد، وكل هذه الآيات البينات أمامه؟!

المحور الأول: تحليل ﴿أَفَّاكٍ﴾ – الكذب المتعمد على الله والحق

.١معنى "الأفاك" في اللغة والقرآن:

· في اللغة: الأفاك هو الكثير الافتراء والكذب .وهو صيغة مبالغة) فعّال (تدل على الاحتراف والتكرار والتعمد .فليس مجرد كاذب مرة أو مرتين، بل هو "محترف كذب".
· في التفسير: قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الأفاك: الكذاب" .وقال مقاتل: "الكذاب في قوله" .فالأ فاك هو الذي يفتري الكذب ويختلقه اختلاقًا، ويتقوله على الله بغير علم.

.٢لماذا كان "الافتراء" هو الصفة الأولى التي تستحق الويل؟

لقد وقف هؤلاء الماديون أمام آيات الله البينات في السموات والأرض وفي أنفسهم ...وهذه الآيات كلها تعلن بلسان حالها: "لا إله إلا الله، وهو الحق المبين" .فماذا كان ردهم؟ لم يقولوا: "لا ندري" فقط، بل افتروا على الله الكذب! قالوا عن القرآن: "أساطير الأولين"، وقالوا عن البعث: "نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر"، وقالوا عن الملائكة: "بنات الله" .إنهم لم يكتفوا بالكفر، بل أضافوا إليه الافتراء على الحق وتشويهه بالأكاذيب.

.٣العلاقة بين "الأفك" والمادية المعاصرة:

واليوم، نجد أن الفلسفة المادية التي تواجهها سورة الجاثية تمارس "الأفك" نفسه ولكن بلغة عصرية: "الكون خلق نفسه"، "الإنسان مجرد جينات وهرمونات"، "الدين وهم من أوهام العقل البدائي"، "الأخلاق نسبية ولا وجود لحق مطلق" .أليس هذا كله افتراء على الحقيقة التي أعلنها الله في آياته؟!

المحور الثاني: تحليل ﴿أثِيم﴾ – كثرة ارتكاب المعاصي والآثام

١.معنى "أثيم" في اللغة والقرآن:

· في اللغة: الأثيم هو الكثير ارتكاب الإثم، وهو صيغة مبالغة) فعيل (تدل على تمكن الوصف في صاحبه ورسوخه فيه.
· في التفسير: قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "أثيم: ذو إثم، يعني بربه، مفتر عليه الكذب" .وقد قيل: الأفاك في قوله، والأثيم في فعله.

٢.الربط بين "الأفاك" و"الأثيم" – وحدة القول والفعل في الشر:

لاحظ بديع النظم القرآني! لقد جمع الله بين "الأفاك" و"الأثيم" في وصف واحد .لماذا؟
لأن هناك تلازمًا عضويًا بين الكذب على الله) الأفاك (وارتكاب المعاصي والشهوات) الأثيم .(إن الذي يحب الشهوات والملذات والمعاصي، لا بد أن "يفتري" الأكاذيب ليبرر لنفسه عصيانه وهروبه من المسؤولية! فالمادي الذي يريد أن يعيش بلا قيود أخلاقية، يحتاج أولا ً أن "يقتل" فكرة وجود إله يحاسبه، فيفترى نظريات وأكاذيب تنفي وجود الله، أو تنفي البعث) وهي قضية السورة المركزية.(

٣.حب المعاصي يولد كراهية ما أنزل الله:

وهنا نصل إلى السر العميق الذي كشفته لنا مفاهيم الايه الكريمة وهو : "إن حب الشهوات والملذات والمعاصي يولد لدى هذا الشخص إرادة تنصرف إلى اقتراف الآثام، وهذا يدل على أنه يكره ما أنزل الله".
لماذا يكره ما أنزل الله؟ لأنه يقيده ويضبط حركته وشهواته ورغباته! فالقرآن يأمره بالعفاف، وهو يريد الفجور .يأمره بالصدق والأمانة، وهو يريد الكسب الحرام .يأمره بالتواضع، وهو يريد الكبر والعلو في الأرض .لذلك يقع في "التناقض العملي": لا يمكنه أن يؤمن بالقرآن وهو مصر على شهواته، فيلجأ إلى "الأفك" ليوجد مبررًا فكريًا لعصيانه!
إنها عملية "تزييف الوعي" التي تحدثنا عنها: يطمس الإنسان بصيرته بالأكاذيب حتى لا يرى الحق، فيستطيع أن يمارس إثمه بسلام نفسي!

المحور الثالث: معنى "ويل" وما يترتب عليها من آثار

١.لماذا استحق هذا الشخص الويل والهلاك وحبوط العمل؟

لأنه اجتمعت فيه صفتان مهلكتان:

· الأفك) الانحراف الفكري(: كذب على الله، وافترى على الحق، وروج الأباطيل، فكان سببًا في ضلال نفسه وغيره.
· الأثيم) الانحراف السلوكي(: أصر على المعاصي والشهوات، وجعل هواه إلهه من دون الله.

فاستحق بذلك:

· الوعيد بالويل: وهو كلمة هلاك ودمار وعذاب.
· حبوط العمل: فعمله غير مقبول لأنه لم يُبنَ على أساس صحيح من الإيمان.
· سخط الله: لأنه كره ما أنزل الله وأعرض عنه.

تحليل قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثمّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كأَن لّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾] الجاثية:[8

المعنى العام وموقع الآية

بعد أن وصف الله صفات هذا الشخص) أفاك أثيم(، ينتقل هنا إلى وصف "سلوكه" الحي وهو يتلقى آيات الله! إنه مشهد حي، ترى فيه الآيات تتلى على هذا الشخص، وترى رد فعله المباشر .وهنا تكتشف العِلة الثانية) بعد الافتراء وحب المعاصي(: الكبر والإصرار والعناد الذي يعطل العقل.

تحليل ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾

.١فرق دقيق بين "السماع" و"الاستماع" و"الإنصات":

القرآن هنا يقول: ﴿يَسْمَعُ﴾، ولم يقل: "يستمع" أو "ينصت" .وهذا له دلالة بالغة:

· السماع: هو مجرد وصول الصوت إلى الأذن، وقد يكون بغير قصد ولا إرادة.
· الاستماع: هو الإصغاء بقصد الفهم، وهو أرقى من مجرد السماع.
· الإنصات: هو أعلى درجات الاستماع، مع السكون والتركيز التام.

فالمشرك المذكور في الآية "يسمع" فقط! الصوت يصل إلى أذنيه، لكنه لا "يستمع" ولا "ينصت" .إنها عملية "سماع ميت"، لا حياة فيها، لأن القلب مغلق، والعقل معطل، والنية غير موجودة.

.٢دلالة ﴿آيَاتِ اللهِ﴾ هنا:

لاحظ أن الآية تتحدث عن سماع "آيات الله"، وهذا يشمل:

· الآيات المتلوة) القرآن(: يُقرأ عليه فيرفضه.
· الآيات الكونية: تمر أمامه في كل لحظة) الشمس، القمر، المطر، الرياح، خلقه هو نفسه (وهو لا يتفكر فيها.
فهو يسمع بآذانه، ولكن لا يصل شيء إلى قلبه!

المحور الثاني: تحليل ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ – العناد بعد العلم

.١معنى "الإصرار" وخطورته:

"الإصرار" على الشيء هو الثبات عليه والاستمرار فيه وعدم الرجوع عنه .وهنا يخبرنا الله أن هذا الشخص "يصر" على كفره وعناده مع استمرار سماعه للآيات! إنه ليس جاهلا ً بسيطًا، بل هو "مصر" أي عالم بالحق ومعاند له.

.٢الفرق بين الجهل البسيط والجحود المعاند:

· الجاهل البسيط: لم تصله الدعوة، أو لم يفهم الأدلة بعد .هذا يُرجى له الهداية.
· المعاند المصر: سمع وفهم وأدرك، ولكنه أبى واستكبر .هذا هو الذي قال الله فيه: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾.

المحور الثالث: تحليل ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ – الكبر حجاب القلب والعقل

.١معنى "مستكبرًا" ودلالة صيغة "مستفعل":

· مستكبرًا: أي طالبًا للكبر، متعمدًا له، متكلفًا إياه .وهو حال من الفاعل في ﴿يُصِرُّ﴾.
· والمعنى: أن الإصرار على الكفر صادر عن استكبار، وأن هذا الاستكبار هو الذي منعه من قبول الحق.

.٢كيف يعطل الكبر العقل ومدارك العلم؟

وهنا نصل إلى جوهر العلة الثانية كما كشفتها الايه : "الكبر يعطل العقل ومدارك العلم".

كيف ذلك؟

· العقل السليم يبحث عن الحقيقة بتجرد، ويذعن لها حين يجدها.
· أما العقل "المستكبر" فيبحث عن الحقيقة بشرط: ألا تتعارض مع هواه ومكانته وكبريائه!
· لذلك، عندما يسمع المستكبر آيات الله، لا يُعمل عقله فيها، بل يرفضها فورًا لأن قبولها يعني: أن يتخلى عن كبريائه، وأن يعترف بأنه كان مخطئًا، وأن يذعن لمن هو أعلى منه .وهذا ما لا يطيقه المتكبر!

وهكذا، يقف الكبر عائقًا ومانعًا له من السماع الحقيقي، فيعطل مداركه التي زوده الله بها!

المحور الرابع: تحليل ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ – تعطيل تام لوظيفة السمع

.١بلاغة التشبيه وأثره النفسي:

هذا تشبيه بليغ جدًا! فهو يسمع حقيقةً) الصوت يصل إلى أذنيه(، ولكنه في واقعه وتأثره وانتفاعه "كأن لم يسمعها"! لماذا؟
لأن السماع الحقيقي هو سماع القلب والعقل، لا سماع الأذن فقط .أذنه تسمع، ولكن قلبه غافل، وعقله معطل، وكبره يحجب عنه الفهم.

.٢علامات من "يسمع وكأنه لم يسمع":

· لا يتغير سلوكه بعد سماع القرآن.
· لا يتأثر قلبه بآيات الوعد والوعيد.
· لا يتدبر المعاني ولا يبحث عن الهدى.
· يجادل بالباطل بعد ما سمع الحق.
هذا هو حال من قال الله فيهم: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾.

المحور الخامس: تحليل ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ – التهكم الإلهي

.١لماذا قال: "بشره" مع أن السياق وعيد؟

هذا من بديع البلاغة القرآنية! "البشارة" في الأصل تكون بالخبر السار .لكنها هنا مستعملة على سبيل "التهكم والسخرية" من هذا المتكبر! فهو يستحق التبشير، ولكن بأي شيء؟ بالعذاب الأليم!

.٢أثر هذا الأسلوب في النفس:

· في نفس المشرك: هو يظن نفسه في أمان، ويظن أنه بموقفه المتكبر قد حصل على العزة والكرامة . فيأتيه الخطاب: "بشره!" ليقول له: ما تنتظره من خير هو هذا! إنها صدمة نفسية مدوية!
· في نفس المؤمن: يشعر بالعزة والثقة بأن الله يستهزئ بالمستهزئين، ويسخر من المتكبرين.

-تحليل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾] الجاثية:[9

المعنى العام وموقع الآية

وهنا نصل إلى العلة الثالثة، وهي الأخطر على الإطلاق! بعد أن كان "يسمع") الآية(8 ، ارتقى إلى أن "يعلم") الآية(9 ! فماذا فعل بعلمه؟ لم ينتفع به، بل اتخذه مادة للسخرية والاستهزاء .إنه الدرك الأسفل من الانحطاط الروحي والفكري: أن تبلغك الحقيقة واضحة جلية، فلا تكتفي برفضها، بل تجعل منها أضحوكة!

المحور الأول: تحليل ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾

.١الفرق بين "سمع" في الآية السابقة و"علم" في هذه الآية:

· سمع: مجرد وصول الصوت، أو العلم الإجمالي.
· علم: هنا بمعنى الفهم والإدراك والمعرفة التفصيلية .هو أعلى من السماع.

فكأن هذا الشخص تدرج في موقفه من الحق:

.1أولا ً: سمع الآيات) وصول الصوت.(
.2ثانيًا: رفضها استكبارًا) تعطيل العقل.(
.3ثالثًا) وهنا الطامة(: إذا وصل إلى درجة "العلم" بها، أي فهمها وعرف حقيقتها، اتخذها هزوًا وسخرية!

.٢دلالة ﴿شَيْئًا﴾:) التقليل والتهويل معًا(

· التقليل: أي ولو كان الذي علمه قليلا ً يسيرًا، فإنه يسارع إلى الاستهزاء به.
· التهويل: أي أن استهزاءه ليس موجهًا لشيء واحد، بل يمتد لكل ما يعلمه من الآيات.

المحور الثاني: تحليل ﴿اتخَذهَا هُزُوًا﴾ – صنم السخرية

١.معنى "اتخذ" ودلالتها:

"اتخذ" تدل على الصنع والتعمد والجعل .فهو لم يسخر منها مرة واحدة عرضًا، بل "اتخذها" أي جعلها مادة دائمة للهزو واللعب والسخرية! إنها صفة لازمة له.

٢.معنى "هزوا":

الهزو هو السخرية والاستخفاف والتهكم .وهذا هو أشد أنواع مقابلة الحق: لا بالرفض المجرد، ولا بـ الجدال، بل بالاستخفاف الذي يهين الحق وأهله!

٣.صورة من حياة المشركين:

كان كبراء قريش يفعلون ذلك مع النبي ﷺ ومع القرآن .يسمعون الآيات، ويعلمون أنها حق، ولكنهم في مجالسهم يتخذونها مادة للضحك والتنكيت! يقول بعضهم لبعض: "اسمعوا ما يقول محمد!" ثم يضحكون، ويحرفون الكلم عن مواضعه ساخرين.

٤.الاستهزاء بالآيات في عصرنا الحديث:

واليوم، نجد هذه الظاهرة بادية للعيان في أوساط الماديين والملحدين والمستهزئين بالدين:

· رسوم كاريكاتيرية تسخر من الأنبياء والرسالات والبعث والنشور.
· برامج تلفزيونية وإعلامية تتخذ من النصوص الدينية مادة للتنكيت.
· مقاطع على وسائل التواصل تستهزئ بأهل الإيمان وتصفهم بالتخلف والرجعية.

كل هؤلاء يمارسون "اتخذها هزوًا" في صورة عصرية متجددة .وهو ما يجب الحذر منه أشد الحذر.

المحور الثالث: فهم دقيق للعلاقة بين العلم والاستهزاء

١.لماذا يستهزئ وقد "علم"؟

هذا سؤال محوري! لماذا لا يكتفي بالرفض؟ لماذا يلجأ تحديدًا إلى "السخرية"؟
الجواب النفسي العميق: لأنه يريد أن ينتقم من الحق الذي يهدد كبرياءه وشهواته!
فالحق يقف في وجهه، يذكره بـالله والمسؤولية والبعث .وهذا يزعجه ويعكر عليه صفو حياته المادية .ولأنه لا يستطيع دحض الحق عقليًا، يلجأ إلى "الاستهزاء" كآلية دفاعية نفسية .بالسخرية، يصغّر الحق في عينيه وعيون أتباعه، فيرتاح ضميره المعذب!

٢.الاستهزاء دليل العجز عن المواجهة الفكرية:

عندما يعجز الإنسان عن مواجهة الفكرة بالحجة والبرهان، يلجأ إلى السخرية من الفكرة وأهلها .وهذا ما يفعله كثير من العلمانيين والماديين اليوم: لا يردون على حجج الإيمان بالعلم والعقل، بل يلجأون إلى السخرية من المؤمنين ووصفهم بالتخلف!

المحور الرابع: تحليل ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ – عدل الجزاء

١.لماذا كان العذاب "مهينًا" تحديدًا؟

وهنا تتجلى عدالة الله المطلقة: الجزاء من جنس العمل!

· هم "استهزأوا" بالحق، واستخفوا بآيات الله، واحتقروا أهل الإيمان.
· فكان جزاؤهم: "عذاب مهين" يذلهم ويهينهم، كما أهانوا الحق!

لقد كانوا يطلبون "الكبرياء" و"العزة" بالاستهزاء بالدين .فجاءهم في المقابل: "الإهانة" والذل يوم القيامة .إن كبرياءهم الزائفة ستتحول إلى هوان وذل.

٢.الفرق بين "العذاب الأليم") الآية (8 و"العذاب المهين") الآية(9 :

· العذاب الأليم: عذاب موجع مؤلم، وهو مناسب لمن "سمع وأصر مستكبرًا") الآية(8 ، لأنه آلم نفسه بتعطيل مداركه وتعذيب فطرته بالعناد.
· العذاب المهين: عذاب فيه إذلال وإهانة مع الألم، وهو مناسب لمن "علم واتخذها هزوًا") الآية .(9 فكما أهان الحق، أهانه الله .وكما استهزأ، استهزأ الله به .إنها المقابلة العادلة!

المحاور التحليلية الشاملة للآيات7) -(9

المحور الأول: مفاهيم البناء والتنمية من الآيات

.١التنمية العقدية) بناء الإيمان الصحيح(:

الآيات تبني فيك الإيمان بأن الله عادل حكيم، لا يظلم الناس شيئًا، وأن جزاءه واقع لا محالة .وهذا يزرع في قلبك "الرهبة" من مقابلة آياته بالاستكبار أو السخرية.

.٢التنمية النفسية) صناعة الشخصية المتواضعة(:

هذه الآيات تبنى فيك "التواضع للحق" .عندما ترى عاقبة "المستكبرين" و"المستهزئين"، تشعر بأن الكبر هو المهلكة العظمى، وأن التواضع والانقياد للحق هو سبيل النجاة .إنها تزرع فيك الخوف من أن تكون "أفاكًا أثيمًا"، فتحاسب نفسك كل لحظة.

.٣التنمية الفكرية) منهجية تلقي الحق(:

الآيات تعلمك كيف "تتعامل" مع الحق حين تسمعه أو تعلمه:

· لا تكن كمن "يسمع وكأنه لم يسمع"، بل "استمع وأنصت".
· لا تكن كمن "يعلم فيتخذ هزوًا"، بل "تعلم فاخشع واعمل".
إنها تؤسس فيك منهجية "الجدية في استقبال الحق"، التي هي دليل الحرص على الهداية والشعور بالمسؤولية.

.٤التنمية الاجتماعية) حماية المجتمع من الأمراض الروحية(:

عندما تنتشر صفات "الأفاك" و"الأثيم" و"المستهزئ" في مجتمع، فإنه ينهار! الآيات تحذر المجتمع من هؤلاء، وتدعو إلى تطهير الصفوف منهم، وعدم اتخاذهم أصدقاء أو قادة، لأنهم سبب الفساد والضلال.

المحور الثاني: بناء الصورة الذهنية الحية والمفاهيم الشاملة

تخيل معي هذا المشهد الحي الذي تبنيه الآيات في ذهنك:

أنت تجلس في مجلس ...والتالي يتلو آيات الله بخشوع: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.
وفي ركن من المجلس، يجلس "الأفاك الأثيم"...
انظر إليه وهو يسمع هذه الآيات التي تذكره بالله، التي تذكره بالمسؤولية، التي تذكره بيوم الحساب!
هو لا يريد أن يسمع هذا! عقله يرفض أن يتدبر! قلبه مقفل!
ولكن الصوت يصل إلى أذنيه رغمًا عنه ...ها هو "يسمع"!

فماذا يفعل؟
أولا ً: يرفضها استكبارًا، يجلس في كرسيه منتفخًا، مزهوًا بنفسه، يقول بلسان حاله: "أنا أكبر من أن أتبع هذا الكلام!".
ثانيًا: لكي يريح ضميره المعذب، يلتفت إلى جلسائه بعد التالي، يغمز بعينه، ويسخر: "هل سمعتم هذا الكلام؟!" .ويتخذ من الآيات نكتة، ويجعل من نفسه وفلسفته المادية سيدًا على الحق!
والمشهد ينتهي، والتالي يقرأ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ .والجواب عمليًا أمامنا في هذا الرجل: لا يؤمنون بشيء!

هذا هو المشهد الذهني الحي الذي يعرضه الله أمامك .اسأل نفسك الآن: أين أنت من هذا المشهد؟ هل أنت التالي بإخلاص؟ أم أنت المستمع بقلب حاضر؟ أم أن في داخلك خصلة خفية من خصال "ا

لأفاك الأثيم"؟

المحور الثالث: كيف تربي هذه الآيات النفس وتغذي الفكر؟

أولا ً: تربية النفس) البعد الوجداني والروحي(:

· الخوف من الويل: عندما تسمع: ﴿وَيْلٌ لِكلّ أفّاكٍ أثِيم﴾، تشعر بقشعريرة في بدنك، وتسارع إلى تطهير نفسك من الكذب والإثم.
· الخشية من العذاب الأليم والمهين: التهديد بالعذاب الموجع والمذل يدفعك إلى محاسبة نفسك على كبريائها وسخريتها الخفية.
· تنمية الجدية في استقبال الحق: الآيات تغرس فيك الشعور بأن أمر الدين جد لا هزل فيه، مما يجعلك أكثر انضباطًا وحرصًا.

ثانيًا: تغذية الفكر) البعد العقلي والمنهجي(:

· فهم أسباب الضلال: الآيات تمنحك "أداة تشخيص" لتعرف لماذا يضل الناس .فبدلا ً من أن تتعجب من ضلالهم، تعرف أن الأسباب هي: حب المعاصي، الكبر، والسخرية .وهذا الفهم يجعلك أكثر وعيًا بطبيعة الصراع بين الحق والباطل.
· تحصين العقل: عندما تعلم أن الكبر "يعطل العقل"، فإنك تسعى جاهدًا لتطهير عقلك من كل كبرياء، ليكون مستعدًا لتلقي الحق وقبوله.

المحور الرابع: أبعاد الآيات وآفاقها) الوجدانية والعقلية والتربوية(

.١البعد الوجداني:

· تنمية مشاعر الكراهية للباطل وأهله: الآيات تزرع في قلبك كراهية "الأفاكين" و"المستهزئين"، وهذه الكراهية في الله هي من الإيمان.
· الاستعاذة من هذه الصفات: تشعر بحاجة دائمة للدعاء: "اللّهم جنبني الكذب والإثم والكبر والسخرية من آياتك".

.٢البعد العقلي:

· تحليل سلوك الخصوم: الآيات تعطيك منهجًا في تحليل سلوك خصوم الدين .لا تنظر إليهم فقط كمخالفين، بل حلل دوافعهم: هل هي الشهوات) أثيم(؟ هل هي الأكاذيب) أفاك(؟ هل هو الكبر)مستكبر(؟ هل هو الاستهزاء) هزو(؟ هذا الفهم يمكنك من محاورتهم ومعرفة مداخل نفوسهم.
· الحذر من تعطيل العقل: تتعلم من الآية (8) خطورة أن يكون كبرك سببًا في تعطيل عقلك عن رؤية الحق.

.٣البعد التربوي:

· تربية النفس على الجدية: كما ذكرت المذكرة: "الشعور بالمسؤولية يؤدي إلى الجدية في التنفيذ ويولد الإرادة والعزيمة" .هذه الآيات تذكرك بالمسؤولية) أنك ستحاسب على سماعك وعلمك(، مما يجعلك جادًا في طلب الحق والعمل به.
· تربية اللسان: تتعلم خطورة السخرية والاستهزاء بالدين، فتحفظ لسانك، وتعلم خطورة "التنكيت" بالآ يات أو النصوص الشرعية.

المحور الخامس: الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من الآيات

.١الرسالة النفسية:

يا عبدي ...إياك أن تجتمع فيك خصلتان: الافتراء على الحق، والإصرار على المعاصي! فإن اجتمعتا فيك، فاستيقن بالهلاك! طهر قلبك من حب الشهوات التي تدفعك لكراهية ما أنزلت، وطهر لسانك من الكذب عليّ.

.٢الرسالة التربوية:

يا عبدي ...إذا سمعت آياتي، فلا تكن كمن يسمع بأذنه وقلبه غافل .أنصت، وتدبر، واخشع .وإياك و الكبر! فإن الكبر حجاب كثيف يمنع نور الوحي من الوصول إلى قلبك .كبرك لا يضرني شيئًا، بل يضرك أنت، ويجعلك "كأن لم تسمع".

.٣الرسالة العقلية:

يا عبدي ...لقد زودتك بعقل تدرك به الحق، فلا تعطله بالكبر والعناد! وإذا علمت شيئًا من الحق، فلا تجعله مادة للسخرية والتسلية! إن فعلت ذلك، فأنت أحمق الناس، لأنك تسخر من الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينقذك!

المحور السادس: الدروس التطبيقية – كيف تحول هذه الآيات إلى واقع حياة؟

.١في تطهير النفس من الكذب والإثم:

· التطبيق العملي: راجع نفسك كل مساء: هل كذبت اليوم؟ هل افتريت على أحد؟ هل ارتكبت إثمًا خفيًا؟ تب إلى الله فورًا، ولا تكن "أفاكًا أثيمًا".

.٢في التعامل مع آيات الله عند سماعها:

· التطبيق العملي: إذا سمعت القرآن، أو حضرت درس علم، أو قرأت آية كونية، فاستمع بقلبك لا بأذنك فقط، وتفكر، واخشع .ولا تكن "كأن لم تسمعها".

.٣في تطهير القلب من الكبر:

· التطبيق العملي: إذا وجدت في نفسك ترددًا في قبول الحق لأنه صدر من شخص أقل منك، أو لأنه يخالف هواك، فاعلم أن هذا هو "الكبر" الذي حذرتك منه الآية .كسر هذا الكبر فورًا بالقبول والانقياد.

.٤في حفظ اللسان من السخرية بالدين:

· التطبيق العملي: لا تشارك أبدًا في نكتة تسخر من الدين أو القرآن أو السنة أو أهل الصلاح .وحذر غيرك من هذا الفعل الخطير، واذكر له هذه الآية: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

خلاصة شاملة: جراحة روحية عميقة

أيها المؤمن العزيز...

لقد قمنا للتو، عبر هذه الآيات الثلاث، بجراحة روحية عميقة لك، نعم لك أنت!
لقد كشفنا عن الأورام الخبيثة التي تمنع القلب من الانتفاع بالآيات:

.1الورم الأول) الآية(7 : حب المعاصي والافتراء .الذي يجعل الإنسان يكره ما أنزل الله لأنه يقيد شهواته، فيلجأ إلى الكذب والتبريرات الواهية.
.2الورم الثاني) الآية(8 : الكبر والإصرار .الذي يعطل العقل عن الفهم، ويجعل الإنسان يسمع الحق "كأن لم يسمعه".
.3الورم الثالث) الآية(9 : السخرية والاستهزاء .الذي هو أشد أنواع مقابلة الحق، ويجعل صاحبه مستحقًا للإهانة يوم القيامة.

وهذه الجراحة لم تكن فقط لتشخيص أمراض الكافرين، بل لتسأل نفسك أنت:

· هل فيّ شيء من "الأفك"؟ هل أبرر معاصيي بأكاذيب أقنعت بها نفسي؟
· هل فيّ شيء من "الإصرار مستكبرًا"؟ هل أسمع الحق ثم أعرض عنه لأنه لا يعجبني؟
· هل فيّ شيء من "اتخاذ آيات الله هزوًا"؟ هل أسخر من بعض الأحكام أو أستهزئ بالمتدينين؟

بهذا السؤال الذاتي الصادق، تتحول هذه الآيات من مجرد نصوص للإدانة، إلى مرآة صافية ترى فيها حقيقة نفسك.
وإن وجدت في نفسك شيئًا من هذه الصفات، فبادر إلى التوبة، واستأصل هذه الأورام قبل أن تستفحل فتهلكك.

واجعل هذه الآيات درسًا لك في الجدية في استقبال الحق، وفي التواضع لله وآياته، وفي حفظ اللسان عن السخرية والاستهزاء .وعندها فقط، ستكون من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، لأنك ستكون مؤمنًا حقًا، تنتفع بالآيات، وتخرج من دائرة "الويل" إلى رحاب "الهدى".

المبحث الثاني

بعد أن شخّص الله أمراض الكفار الروحية والعقلية في الآيات (7-9)، ينتقل بنا الآن إلى عرض "مصيرهم" في الدنيا والآخرة، وإلى إعلان حقيقة ما كان يجب أن يكون لهم لو اهتدوا. إنه مشهد يجمع بين الظاهر والباطن، بين ما هو "من ورائهم" وما هو "بين أيديهم". إنه مشهد يريك أن المشكلة ليست في قلة الأدلة، بل في "فقدان الإيمان باليوم الآخر" الذي يجعل الإنسان يعيش وكأنه لن يحاسب، فينطلق في الشهوات والمعاصي بلا رادع.

هيا بنا نقف على هاتين الآيتين العظيمتين، ونجعلهما مرآة لقلوبنا، ونسأل أنفسنا: أين نحن من جهنم؟ أين نحن من الهدى؟

تحليل قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: 10]

المعنى العام للآية وموقعها في السياق

بعد أن كشف الله عن أوصاف المعرضين الذميمة (أفاك أثيم، يسمع ثم يصر مستكبرًا، يعلم فيتخذها هزوًا)، وبعد أن توعدهم بـ "الويل" و"العذاب الأليم" و"العذاب المهين"، يأتي الخطاب في هذه الآية ليكمل الصورة من زاويتين متقابلتين:

الزاوية الأولى: يكشف عن "المصير" الذي ينتظرهم وهو قريب منهم لدرجة أنه "من ورائهم"، لكنهم لا يرونه لفساد بصائرهم.

الزاوية الثانية: ينسف كل ما اعتمدوا عليه في الدنيا من أموال وسلطان وأولياء، ويعلن عجزها التام عن نصرتهم أو حمايتهم.

وهذا الربط البديع بين "من ورائهم جهنم" وبين أوصافهم السابقة يكشف لنا عن السبب الجذري لكل انحرافاتهم: عدم الإيمان باليوم الآخر! فهم لو آمنوا بأن جهنم "من ورائهم" تنتظرهم، لما تجرأوا على ا لافتراء، ولا على الاستكبار، ولا على الاستهزاء بآيات الله.

الأمر الأول: تحليل عناصر الآية البلاغية والتركيبية

المحور الأول: تحليل قوله تعالى ﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ – المصير المحتوم الذي لا يرونه

.١معنى "وراء" ودلالاتها المتعددة:
"وراء" في اللغة تأتي لمعنيين متقابلين: "خلف" و"أمام" .وقد تكلم المفسرون عن معناها هنا:

· المعنى الراجح عند كثير من المفسرين) كابن كثير والطبري(: وراء بمعنى "أمام" .أي: من أمامهم جهنم، أي يتقدمون إليها ويصيرون إليها .فجهنم "أمامهم" أي هي التي يتوجهون إليها، فهم يسيرون نحوها سيرًا حثيثًا وهم غافلون.
· المعنى الثاني) عند بعض المفسرين(: وراء بمعنى "خلف" .وهذا له دلالة نفسية عميقة جدًا سنفصل فيها بعد قليل.

.٢لماذا عبر بـ "وراء" بدل "أمام"؟ – الكشف عن غفلتهم:
وهنا السر البلاغي العظيم إنه سبحانه يقول: ﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي من "خلفهم"!

فكيف تكون جهنم خلفهم وهم سائرون إليها؟

الجواب: لأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر! فهم لا يرون جهنم، ولا يستشعرون وجودها، ولا يلتفتون إليها، ولا يستعدون لها! إنهم مشغولون بملذات الدنيا وشهواتها بين أيديهم، أما جهنم فهي "وراءهم" أي أنهم أعطوها ظهورهم! نسوها، غفلوا عنها، لم يولوها أي اهتمام!

يا لها من صورة بليغة! جهنم هناك، قريبة منهم، خلفهم تمامًا، لو التفتوا لرأوها بأبصار بصائرهم لو كانوا يؤمنون بالغيب! لكنهم يعيشون في غفلة المادة، فلا يرون إلا ما بين أيديهم من شهوات وأموال وملذات.

.٣المؤمن يرى جهنم، والكافر لا يراها:
وهنا نصل إلى الفرق العظيم الذي أشارت إليه مذكرتكم بين المؤمن والكافر في رؤية جهنم:

· المؤمن: إيمانه باليوم الآخر يجعله "يتجاوز" الدنيا وينظر إلى ما بعدها .إنه يعيش في الدنيا بجسده ، ولكن قلبه معلق بالآخرة .ولذلك فهو "يرى" جهنم ببصيرته! بل من كمال يقينه أنه يكاد يتخيل صوت زفيرها تحت جدران أذنه من شدة خوفه! وهذا ما ورد عن السلف الصالح رضي الله عنهم؛ كان أحدهم إذا سمع آية فيها ذكر النار، يرتجف ويبكي كأنه يراها رأي العين .إنه "الإيمان بالغيب" الذي ينقله من حيز المحسوس إلى حيز المتيقن.
· الكافر) المادي(: لا يؤمن باليوم الآخر، فلذلك "لا يرى" جهنم .هي وراءه، خلفه، وهو معرض عنها، مشغول بشهواته التي بين يديه .إنه كمن يسير في طريق وفي نهايته حفرة عميقة، لكنه غافل ينظر إلى ما في يده من متاع زائل، لا يلتفت إلى النهاية.

المحور الثاني: تحليل قوله تعالى ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ – ضياع الأموال والمناصب

.١معنى "ما كسبوا":
يشمل كل ما جمعوه في الدنيا من مال، وجاه، وسلطان، وأولاد، وأعوان، وعقارات، وشركات. كل ما تعبوا في جمعه وظنوا أنه سينفعهم ويقيهم ويحقق لهم السعادة الأبدية.

.٢معنى "لا يغني عنهم شيئًا":
أي لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئًا، ولا يجزئ عنهم، ولا يقوم مقامهم. إنه صفر في ميزان النجاة. : "فهم لن يجدوا المكاسب التي جمعوها في الدنيا، لا المال ولا الجاه ولا السلطان". إنهم جاؤوا يوم القيامة صفرًا من كل خير، وحملوا أوزارهم على ظهورهم.

المحور الثالث: تحليل قوله تعالى ﴿وَلَا مَا اتخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ﴾ – خذلان الأولياء

.١من هم الأولياء؟
الأولياء هنا تشمل كل من والوه ونصروه وأطاعوه من دون الله: الأصنام، الآلهة المزعومة، الكبراء، السادة، الحلفاء، الأتباع، وحتى الأفكار والفلسفات التي والوها من دون الله.

.٢معنى "اتخذوا":
لم يكونوا أولياء حقيقة، بل هم "اتخذوهم" أولياء! أي نصبوا لهم الولاية افتراءً وزورًا. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَاتخَذُوا مِن دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: 81-82].

.٣هؤلاء لن ينصروهم ولن يحموهم:
يعني أنه : "لن يقف مدافعًا عنهم من أعطوهم الولاية، فهم لن يحموهم من نار جهنم ولن ينصروهم". إن الأولياء الذين طلبوا منهم العزة والكرامة والحماية، سيخذلونهم أحوج ما يكونون إليهم! بل سيكونون أعداء لهم يوم القيامة. إنها خيبة الأمل الكبرى!

تأمل مشهد الخذلان:
مات الملياردير الذي جمع ثروته من الربا والحرام، وظن أن ماله سيحميه من كل سوء... فإذا به في قبره، لا مال ولا بنون، وإذا بجهنم من ورائه تقترب. مات الدكتاتور الذي ظن أن جيشه وأتباعه أولياؤه... فإذا به وحيدًا، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا. أين ذهب كل ذلك؟! ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ﴾.

المحور الرابع: تحليل قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ – الجزاء الموافق للجريمة

.١لماذا وصف العذاب هنا بـ "عظيم"؟
بعد أن وصف العذاب في الآيات السابقة بـ: "ويل"، و"أليم"، و"مهين"، يصفه هنا بـ "عظيم". وذلك لأ ن الجريمة هنا تضاعفت: لم يكتفوا بالافتراء والكبر والسخرية، بل أضافوا إليها "عدم الإيمان باليوم الآ خر" الذي هو أساس كل انحرافهم، و"التعلق بالأموال والأولياء من دون الله". فكان الجزاء "عذابًا

عظيمًا" يتناسب مع عظم جريمتهم.

.٢العظمة هنا للتهويل والتفخيم:
فيه ترهيب شديد، وتخويف للقلوب، وتنبيه للغافلين. إن العذاب ليس فقط "أليمًا" (يوجع) و"مهينًا" (يذل)، بل هو أيضًا "عظيم" في كمه وكيفه ومدته، عظيم في أهواله وشدائده، عظيم لا يتصوره عقل.

تحليل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية: 11]

المعنى العام للآية وارتباطها بما قبلها

بعد أن صور الله المصير المفزع للمعرضين (جهنم من ورائهم، لا يغنيهم مال ولا أولياء)، يأتي الخطاب هنا ليعقد مقارنة صارخة بين "الهدى" الذي بين أيديهم و"الرجز" الذي ينتظرهم.

· ﴿هَٰذَا هُدًى﴾: هذا القرآن، هذه الآيات، هذا البيان، هذا التنزيل، هذا كله "هدى" .أي دلالة واضحة، وإرشاد تام، وطريق مستقيم، وحماية من الضلال .إنه النور الذي لو اتبعوه لأوصلهم إلى بر الأمان.
· ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: لكنهم -بدل أن يهتدوا- كفروا! كفروا بآياته المسطورة والمتلوة، وكفروا بآياته المنظورة في الأنفس والآفاق .فماذا كانت النتيجة؟ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.

فالآية إذن ترسم لوحة مزدوجة:

· على اليمين: "هذا هدى" – نور، أمان، نجاة، سعادة.
· على اليسار: "الذين كفروا ...لهم عذاب من رجز أليم" – ظلام، هلاك، شقاء، ألم.

والمشهد يقول: لقد أعطيناكم الهدى الذي يحميكم من كل هذا، فإن أعرضتم عنه، فأنتم المسؤولون عن مصيركم!

الأمر الثاني: تحليل عناصر الآية

المحور الأول: تحليل قوله تعالى ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ – الإعلان القرآني العظيم

.١الإشارة ب- "هذا":
اسم الإشارة "هذا" للقريب. والمراد به: هذا القرآن، هذا التنزيل، هذه الآيات التي تتلى عليكم. إنه قريب منكم، بين أيديكم، واضح جلي. ليس بعيدًا عن متناولكم، ولا غامضًا لا تفهمونه. بل هو "هدى" مبين.

.٢تنكير "هدى" للتعظيم:
"هدى" جاءت نكرة، والتنكير هنا للتعظيم والتفخيم .أي: هذا هدى عظيم، هدى لا يدانيه هدى، هدى كامل شامل.

.٣دلالة "هدى":
الهدى هو الدلالة على الطريق الموصل إلى المقصد مع اللطف والإرشاد. وهذا القرآن هدى في كل شيء: في العقائد، في العبادات، في المعاملات، في الأخلاق، في أسرار النفس، في دقائق الكون. إنه الدليل الذي لا يضل من اتبعه، والنور الذي لا يظلم من سار فيه.

.٤الحماية الإلهية:
: "فالله أنزل القرآن حماية للناس من الضلال، وبالتالي فمن يعرض عنه فهو يرفض اتباعه، ويكره طريق الهداية، ويحب طريق الضلال، ويرفض الحماية التي منحها الرب لعباده".
نعم! إنه "حماية" إلهية! تأمل هذه الكلمة... أنت تسير في أرض مليئة بالألغام (الشبهات، الشهوات، الفتن). القرآن هو "خريطة الأمان" التي تحميك من هذه الألغام. فمن طرح الخريطة جانبًا، فقد اختار الهلاك بقدميه!

المحور الثاني: تحليل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ – رفض الهدى

.١التعبير ب- "ربهم":
لم يقل: "والذين كفروا بآيات الله"، بل قال: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾. وفي إضافة "رب" إلى ضميرهم "هم" لطيفة

عظيمة:

· تذكير لهم بربوبيته لهم: هو الذي رباهم بنعمه منذ كانوا نطفًا في بطون أمهاتهم .أفبعد كل هذه التربية والرعاية يكفرون بآياته؟!
· إظهار لشدة جحودهم: إنهم يكفرون بآيات "ربهم" الذي خلقهم ورزقهم ودبر أمورهم .إنها قمة الجحود والنكران!
· تحريك للوجدان: لعلهم يتذكرون فضله عليهم فيرجعوا.

.٢معنى "كفروا":
الكفر هنا ليس مجرد عدم تصديق، بل هو جحود وستر للحق. إنهم ستروا آيات الله وأعرضوا عنها مع علمهم بها!

.٣الكفر بالآيات يشمل:

· الكفر بآيات القرآن) المتلوة.(
· الكفر بآيات الكون) المنظورة.(
· الكفر بآيات النفس) المرئية في خلقهم.(

كما مر معنا في السورة: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقّ﴾.

المحور الثالث: تحليل قوله تعالى ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ – نتيجة الكفر بالهدى

.١معنى "رجز":
الرجز في أصل اللغة: العذاب المضطرب، أو العذاب الذي يضطرب له الإنسان ويقلق ويفزع. وقيل: هو أشد العذاب وأفظعه. وقيل: هو العذاب الذي يقشعر منه الجلد. كما يقال: رجُز البعير إذا ارتعد واضطرب في مشيته.

.٢لماذا "من رجز"؟
التنوين في "رجز" (وجاءت منونة في قراءة حفص) يدل على التهويل والتفخيم. إنه ليس مجرد عذاب، بل هو "عذاب من رجز"، أي من جنس الرجز، أو بعض من الرجز.

.٣معنى "أليم":
أي موجع، مؤلم، شديد الإيلام. فلا هو عذاب هين، ولا هو عذاب ينقطع، بل هو أليم دائم.

.٤الربط بين "الكفر بالآيات" و"الرجز الأليم":
الذي يكفر بآيات الله، يجعل حياته الدنيا في "رجز" (ضيق، قلق، اضطراب، حيرة). ثم يكون له في الآ خرة "الرجز الأليم". إنه الجزاء المناسب: كما رفضوا الهدى الذي يريح النفس ويطمئن القلب، ابتُلوا بـ الرجز الذي يضطرب له الكيان! وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124].

الأمر الثالث: المحاور التحليلية الشاملة للآيتين

المحور الأول: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

.١التنمية الإيمانية) بناء الإيمان باليوم الآخر(:
الآيتان تبنيان في قلب المؤمن "اليقين الجازم باليوم الآخر". إن استحضار جهنم وأنها قد تكون "من ورائنا" يجعلنا نعيش كل لحظة باستعداد للقاء الله. وهذا هو أساس الاستقامة والجدية في الحياة.

.٢التنمية النفسية) التحرر من قيود المادة(:
عندما يؤمن الإنسان بأن المال والجاه والأولياء لا يغنون عنه شيئًا، يتحرر من "التعلق المرضي" بهم. يصبح المال في يده لا في قلبه. يصبح الجاه وسيلة لا غاية. يصبح الأولياء إخوة في الله لا أربابًا من دونه. إنها حرية نفسية عظيمة!

.٣التنمية الفكرية) فهم العواقب(:
الآيتان تبنيان في العقل منهجية "النظر إلى العواقب". لا تنظر إلى اللذة الحاضرة فقط، بل انظر إلى ما وراءها. المادي ينظر إلى ما بين يديه (لذة آنية)، فيغفل عما وراءه (جهنم). أما المؤمن العاقل

فينظر إلى العاقبة، فيترك لذة يوم ليوم أعظم، ويترك شهوة ساعة لسعادة أبدية.

.٤التنمية الاجتماعية) الحماية من الجريمة والفساد(:
لان : "عدم الإيمان باليوم الآخر يجعل الإنسان لا يشعر بالمسؤولية عن أعماله، فيقترف الجرائم والآ ثام". بناء المجتمع الآمن يبدأ من الإيمان باليوم الآخر! فالإنسان الذي يوقن بأنه "سيحاسب" على كل صغيرة وكبيرة، لا يمكن أن يكون مجرمًا ولا فاسدًا ولا ظالمًا. إنه رادع ذاتي أقوى من كل قوانين الأ رض.

التطبيق العملي لبناء المجتمع:
للقضاء على الجريمة والفساد، لا يكفي سن القوانين وحدها، بل يجب "بناء الإيمان باليوم الآخر" في قلوب الناس. فمن يوقن بأنه سيقف بين يدي الله، لا يمكن أن يسرق ولا أن يزني ولا أن يقتل ولا أن يرتشي ولا أن يغش ولا أن يظلم. هذه هي التنمية الحقيقية.

المحور الثاني: بناء الصورة الذهنية الحية والمفاهيم الشاملة

تخيل معي هذا المشهد الحي الذي تبنيه الآيتان في ذهنك:

تخيل إنسانًا... يسير في طريق طويل. أمامه... متع دنيوية لامعة: أموال تلمع، وشهوات تغري، وجاه وسلطان يزينان. إنه مشغول بها تمامًا، عينه لا ترى غيرها. يلهث وراءها، يسعى لجمعها، يكد ويسهر من أجلها.

وهو في خضم انشغاله هذا... لا يلتفت... ولا يشعر... بأن وراء ظهره (من ورائه)... هوة سحيقة... نار تتأجج... جهنم تنتظر! إنها تقترب منه خطوة خطوة، وهو غافل لا يشعر!

وفجأة... توقفت الملذات. انقضى الأجل. التفت... فإذا هو على حافة الهاوية! صرخ: "أموالي... أنقذوني!"، فلا مال ينفع ولا جاه يشفع. صرخ: "أوليائي... احموني!"، فلا وليّ يغني ولا نصير يدفع. فسقط... سقط في جهنم، سقط "العذاب العظيم".

ثم تنتقل الكاميرا لتريك مشهدًا آخر:
في الزاوية الأخرى، ترى مؤمنًا. أمامه نفس المتع، لكنه لا ينشغل بها عن غايته. يرى ببصيرة إيمانه أن "الهدى" أمامه (القرآن) يرشده إلى الطريق الآمن.. يرى "جهنم" خلف الكافرين فيحذرها ويبتعد عن طريقها. إنه يأخذ من الدنيا ما يكفيه، ويجعل الآخرة هي الهدف الأسمى. إنه يعيش "بالهدى" فينجو من "الرجز". هذه هي الصورة الذهنية! في أي الفريقين تحب أن تكون؟
المحور الثالث: كيف تربّي الآيتان النفس وتغذي الفكر وتزرع الطمأنينة؟

أولا ً: تربية النفس (البعد الوجداني والروحي):

· الخوف من جهنم: استحضار أن جهنم "من ورائنا" يورث في القلب خوفًا دافعًا إلى العمل الصالح و التوبة والاستقامة.
· الزهد في الدنيا: العلم بأن المال والجاه لا يغنيان شيئًا، يحرر النفس من التعلق بها، ويجعلها زاهدة فيها، راغبة فيما عند الله.
· الشعور بالمسؤولية: الإيمان باليوم الآخر يجعل الإنسان يشعر بمسؤوليته عن كل تصرف، فيستحي من الله أن يراه حيث نهاه.

ثانيًا: تغذية الفكر (البعد العقلي والمنهجي):

· الربط بين السبب والنتيجة: الآيات تربط بين "الكفر بالآيات" و"العذاب من رجز أليم" .هذا يغذي العقل بمنهجية السببية في الجزاء الإلهي.
· فهم قيمة "الهدى": حين ترى أن مقابل ترك الهدى هو الرجز الأليم، تدرك قيمة الهدى وعظمته، وتحرص عليه أشد الحرص.

ثالثًا: زرع الطمأنينة:
أنت أيها المؤمن... لا تخف! لأنك مع "الهدى". القرآن بين يديك، يرشدك ويحميك. أنت لست تائهًا في الدنيا، بل عندك خريطة الطريق. وهذا يمنحك طمأنينة لا توصف. {هَٰذَا هُدًى} كلمة واحدة تملأ قلبك أمانًا وسكينة.

المحور الرابع: أبعاد الآيتين وآفاقهما (الوجدانية والعقلية والتربوية)

.١البعد الوجداني) الروحي والنفسي(:

· توليد مشاعر الخوف والرجاء: الخوف من "من ورائهم جهنم"، والرجاء في "هذا هدى" للمؤمنين.
· تطهير النفس من التعلق بغير الله: اليقين بأن المال والأولياء لا يغنيان شيئًا يطهر القلب من الشرك الخفي والتعلق بغير الله.

.٢البعد العقلي) الفكري والمنهجي(:

· تحليل أسباب الانحراف: الآيات تجعل العقل يربط بين انعدام الإيمان باليوم الآخر وبين الانغماس في المعاصي .وهذا يعطي مفتاحًا لفهم سلوك المنحرفين.
· بيان حكمة التشريع: العقل يدرك أن الإيمان باليوم الآخر ليس مجرد فكرة نظرية، بل هو ضرورة عملية لاستقامة الحياة.

.٣البعد التربوي) العملي والسلوكي(:

· تربية النفس على المراقبة: استحضار جهنم وما بعدها يربي فيك المراقبة الدائمة لله.
· تربية النفس على الزهد والشجاعة: العلم بأن المال لا ينفع يجعلك شجاعًا في الحق، لا تخاف من ذي سلطان، ولا تطمع في غني بباطل.

المحور الخامس: الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من الآيتين

.١الرسالة النفسية:
يا عبدي... إن جهنم قريبة من الغافلين، تحيط بهم، وهي وراءهم لا يرونها. فلا تكن غافلا ً عن آخرتك بدنياك! لا تجعل شهواتك بين عينيك حتى تنسى ما وراءك! تذكر أن كل ما تجمعه من متاع الدنيا لن يغني عنك شيئًا إذا نزل بك عذابي. أعتق نفسك من النار بتقواي!

.٢الرسالة التربوية:
يا عبدي... لقد أعطيتك "الهدى" (القرآن). إنه حمايتك من الضلال، وطريقك إلى الأمان. فاتبعه، ولا تكفر بآيات ربك الذي رباك بنعمه. فإن كفرت، فقد عرضت نفسك لـ "رجز أليم". إنها مسؤوليتك أنت... والقرآن أمامك... فاختر طريقك!

.٣الرسالة العقلية:
يا صاحب العقل... فكر! كيف يليق بعاقل أن يغتر بمال زائل أو جاه مدبر، وينسى جهنم التي أمامه؟ كيف يليق بعاقل أن يرفض "الهدى" الواضح، ويختار طواعية "الرجز الأليم"؟ إن العقل السليم لا يختار الدنيا الفانية على الآخرة الباقية!

المحور السادس: الدروس التطبيقية – كيف تحول الآيتين إلى واقع حياة؟

.١استحضار جهنم في كل حين:

· التطبيق العملي: اجعل لك ساعة كل يوم) ولو خمس دقائق (تتأمل فيها في وصف جهنم، وتستحضر أنها قد تكون "من ورائك" .هذا الاستحضار سيكون لك خير رادع عن المعاصي، وأعظم دافع للطاعات.

.٢التحرر من وهم المال والجاه والسلطان:

· التطبيق العملي: إذا مالت نفسك إلى الحرام من أجل المال، أو تملقت لذي سلطان من أجل الجاه، أو خفت من صاحب نفوذ، فتذكر فورًا: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ .لن ينفعك مالك ولا جاهك عند الله إلا ما كان لله.

.٣اختيار الأولياء الصالحين:

· التطبيق العملي: اتخذ أولياءك من المؤمنين الصالحين الذين ينفعونك يوم القيامة، لا من أهل الدنيا الذين يضرونك .اجعل صحبتك لله، ووال لله، وعاد لله.

٤.التمسك بالقرآن هدى:

· التطبيق العملي: اجعل لك وردًا يوميًا من القرآن بتدبر، واستشعر أن هذا هو "الهدى" الذي يحميك من الضلال .إذا شعرت بالحيرة في أمر ما، فافتح المصحف وابحث عن الهدى فيه.

٥.الشعور الدائم بالمسؤولية:

· التطبيق العملي: قبل أن تقدم على أي فعل، قف قليلا ً واسأل نفسك: "هل سأحاسب على هذا الفعل يوم القيامة؟ هل سينفعني هذا المال الذي سأكسبه إن كان حرامًا يوم لا ينفع مال ولا بنون؟" . هذا السؤال البسيط سيحميك من كثير من الذنوب.
خلاصة شاملة: بين الهدى والرجز

أيها المؤمن العزيز...

لقد أرانا الله في هاتين الآيتين مصير المعرضين عن الهدى، وكشف لنا أن جذر كل انحرافاتهم هو فقدان الإيمان باليوم الآخر. إنهم يعيشون غارقين في شهوات الدنيا، لا يرون "ما وراءهم"، ولا يلتفتون إلى جهنم التي تنتظرهم.

إنه المشهد الكامل الذي تبنيه السورة:

· في البداية: عرض الأدلة) الآيات في السموات والأرض والأنفس.(
· في الوسط: تشخيص الأمراض) الأفاك، الأثيم، المستكبر، المستهزئ.(
· في النهاية: إعلان المصير) جهنم من ورائهم، لا يغنيهم مال ولا أولياء، لهم عذاب عظيم ورجز أليم.(

وأنت أيها المؤمن:
إن سورة الجاثية لم تأتِ فقط لتصف حال الكافرين... بل لتسألك أنت: أين أنت من الهدى؟ أتؤمن بـ اليوم الآخر حقا حتى ترى جهنم ببصيرتك من ورائك، فتستعد لها؟ أم أنك غافل مشغول بما بين يديك من دنيا فانية؟
القسم الثالث
بعد أن أرانا الله في الآيات السابقة مصير المعرضين، وعاقبة من يكفر بآياته، وجهنم التي تنتظرهم، وأموالهم وأولياؤهم التي لا تغني عنهم شيئًا... ينتقل بنا الخطاب القرآني فجأة إلى مشهد يفيض رحمة وامتنانًا. إنه سبحانه يعدد علينا نعمه، ويذكرنا بفضله، وكأنه يدعونا إلى "التفكر" الهادئ في آ لائه، عسى أن نصحو من غفلتنا قبل فوات الأوان.
ف الآيتين اللتين نقف عليهما اليوم12) - (13هما "رسالة حب" من الخالق إلى مخلوقه الضعيف ... إنهما تذكير للإنسان بأن كل ما حوله - من أصغر ذرة إلى أعظم مجرة - قد سُخّر له، وأُعدّ لأجله، وهيئ ليتمكن من الحياة، ويقوم بواجب الخلافة وعمارة الأرض .وليس ذلك عبثًا، بل لهدف أسمى هو "شكره" وعبادته.

وهاتان الآيتان تفتحان لنا بابًا جديدًا في فهم "الوعي" الذي هو جوهر السورة: إن الوعي ليس فقط إدراك المسؤولية) كما رأينا في الآيات الأولى(، بل هو أيضًا "إدراك النعمة" التي توجب الشكر .فالإنسان الواعي هو الذي يرى يد الله في كل نعمة، فيشكر، ويعبد، ويستقيم .والإنسان الغافل هو الذي يأكل ويتمتع كالأنعام، ثم يجحد ويكفر.

فهيا بنا نستمع إلى نداء الله وهو يعدد علينا نعمه، ولنجعل من هذا الاستماع عبادة، ومن هذا الفهم شكرًا، ومن هذا الشكر طريقًا إلى المزيد: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.
تحليل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾] الجاثية:[12

المعنى العام للآية وموقعها في السياق

بعد أن كشف القرآن في الآيات السابقة عن أوصاف المعرضين ومصيرهم، يأتي الخطاب هنا ليبين "البديل": إن الله لم يخلقكم للعذاب، ولم ينزل الآيات لتكون سببًا في هلاككم، بل إنه سبحانه قد أحاطكم بنعمه ظاهرة وباطنة، وسخر لكم هذا الكون ليكون ميدانًا لشكره وعمارة أرضه.

لاحظ كيف بدأت الآية: ﴿اللَّهُ﴾ .اسم الجلالة وحده، مرفوعًا على الابتداء، وكأنه عنوان عريض يلفت انتباهك: "انظر! إنه الله الذي تعرفه، الذي فطرك، الذي رزقك ...هو الذي سخر لك البحر!" .إنها لمسة بـ

لاغية تجعلك تقرأ الآية وأنت في حالة من اليقظة والانتباه.

الأمر الأول: تحليل عناصر الآية البلاغية والتركيبية

المحور الأول: تحليل قوله تعالى ﴿اللهُ الذي سَخَرَ لَكُمُ البَحْرَ﴾ – المُنعِم وطبيعة النعمة

١.الفتة بلاغية في الاسم الكريم "الله":
البدء باسم الجلالة "الله" دون غيره من الأسماء الحسنى له سر: فهو الاسم الجامع لكل صفات الكمال والجلال والجمال .والمعنى: إن الذي سخر لكم البحر هو "الله" المستحق للعبادة وحده، المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص .فلا يصح أن تنسبوا هذا التسخير للطبيعة أو للصدفة أو لأنفسكم، بل لله وحده!

٢.معنى "سخر":
التسخير هو التذليل والتهيئة .لم يخلق الله البحر وحشًا عاتيًا لا يُقهر، بل "سخره" أي جعله منقادًا لكم، مستجيبًا لاحتياجاتكم، خادمًا لمصالحكم .إن البحر الهائل الذي يبتلع السفن بقدرة، هو نفسه الذي "سُخر" ليجري فيه الفلك! إنه بأمر الله بين حالتين: حالة تسخير للإنسان، وحالة انتقام إن أراد الله.

٣.معنى "لكم":
اللام هنا للانتفاع والاختصاص .أي: سخره لأجلكم، لمنفعتكم .إنه خطاب لجميع البشر) المؤمن والكافر(، فالبحر مسخر للكل .إنه فيض من رحمة الله يشمل حتى من يكفر به! فكيف لا يستحي الكافر من هذا الكرم؟!

المحور الثاني: تحليل قوله تعالى ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ – نظام الرحلات البحرية بإرادة الله

١.معنى "الفلك":
الفلك هي السفينة .وقد يستعمل اللفظ للمفرد والجمع .وهي آية من آيات الله في البحر: كيف يحمل هذا الجسم الثقيل) السفينة (على سطح الماء فلا يغرق؟! إنها معجزة فيزيائية أودعها الله في الكون.

٢.معنى "بأمره":
"بأمره" في اللغة تحتمل معنيين:

· أمره الكوني القدري: وهو القوانين التي خلقها الله لتجري السفن) الرياح، كثافة الماء، الطفو .(فالرياح التي تحمل السفن، والأمواج التي تدفعها، كلها تجري "بأمره" سبحانه .وكما أشارت مذكرتكم: " الله هو الذي هيأ للبشر البحر بتهيئة الرياح لتحمل السفن التي تحمل البضائع والناس من منطقة إلى أخرى" .إنها منظومة متكاملة: الريح تحمل السفينة، والماء يحملها، والسماء تمطر، والأرض تنبت ...كلها "بأمره"!
· أمره الشرعي: وهو الإذن للبشر في ركوب البحر .فالله أذن لكم في هذا التسخير، فلا حرج عليكم في الانتفاع به.

المحور الثالث: تحليل قوله تعالى ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ – الغاية الاقتصادية والمعاشية

١.معنى "تبتغوا":
الابتغاء هو الطلب والسعي .والإنسان مأمور بالسعي والعمل، لا بالكسل والقعود .فالبحر مسخر، و السفينة جاهزة، ولكن لا بد أن "تبتغوا" أي تخرجوا وتسعوا وتعملوا .إنها سنة الأسباب التي لا تتعارض مع التوكل على الله.

٢.معنى "من فضله":
"من" هنا للتبعيض، أي: شيئًا من فضله .وهو إشارة إلى أن ما يحصله الإنسان من رزق هو مجرد "بعض" من فضل الله الذي لا ينفد .كما أنه إشعار بأن هذا الرزق هو "فضل" من الله، أي عطاء بلا مقابل، وليس استحقاقًا من الإنسان .إنه تذكير للغني بأن غناه من فضل الله لا من ذكائه فقط! وتذكير للفقير بأن الغنى بيد الله وحده.

٣.دلالة التعبير بـ "فضله":
لم يقل: "ولتبتغوا رزقًا"، بل قال: "من فضله" .لأن "الفضل" يشمل كل ما يزيد عن الحاجة الضرورية . فليس الرزق مقتصرًا على الطعام والشراب، بل يشمل التجارة، والمال، والعلم، وكل ما يزيد من سعة الحياة .إنه إعلان بأن الله "كريم" يحب أن يرى أثر فضله على عباده.

المحور الرابع: تحليل قوله تعالى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ – الغاية العظمى من النعمة

١.معنى "لعل":
"لعل" للترجي والتوقع .والمعنى: "ولتشكروا"، وأتى بـ "لعل" ليفيد أن التسخير والابتغاء قد جُعلا ليوصلاكم إلى الشكر .وكأن الشكر هو "الغاية المنشودة" التي يرجوها الله منكم، وهو "النتيجة الطبيعية" التي ينبغي أن تصلوا إليها بعد كل هذه النعم.

٢.معنى "تشكرون":
الشكر في اللغة هو الاعتراف بالنعمة للمنعم، والثناء عليه بها، وصرفها في طاعته .وليس الشكر مجرد كلمة باللسان) الحمد لله(، بل هو:

· شكر القلب: بالاعتراف بأن النعمة من الله وحده، ومحبته عليها.
· شكر اللسان: بالثناء والحمد والدعاء.
· شكر الجوارح: بصرف النعمة في طاعة الله وعدم استعمالها في معصيته.

٣.لماذا كان الشكر هو الغاية؟
كما أشارت مذكرتكم: "فالواجب هو شكر الله ...فهؤلاء) الشاكرون (يدركون أن الله هو الذي أنعم عليهم ، ويثبتون التوحيد لله بالمعرفة وبالأسماء والصفات والألوهية، وبالتوحيد في القصد والطلب وبالعبادة لله وحده لا شريك له" .فالشكر هو الطريق إلى كمال التوحيد! إنك عندما تشكر الله على نعمة، فأنت تشهد أنه وحده هو المنعم، وأنه المستحق للعبادة .وهكذا يقودك الشكر إلى التوحيد الخالص!

المحور الخامس: الناس أمام النعم ثلاثة أصناف) فهم دقيق(

وهنا نصل إلى التحليل العميق الذي أشارت إليه مذكرتكم لموقف الناس من النعمة، وهو تحليل قرآنية نفسية واجتماعية غاية في الأهمية:

الصنف الأول: الشاكرون.
وهم الذين "يدركون أن الله هو الذي أنعم عليهم بتلك النعم" .هؤلاء:

· عرفوا الله بأسمائه وصفاته، وأثبتوا له الألوهية.
· وحدوه في القصد والطلب والعبادة.
· نظروا إلى النعمة فرأوا فيها "جمال الله وجلاله"، فأوجبت لهم الشكر.
· هؤلاء هم الذين تنفعهم الآيات والكون والحياة؛ لأنهم استعملوا النعمة في الوصول إلى المنعم.

الصنف الثاني: الغافلون.
هم الذين يأكلون ويتمتعون ولا يتفكرون .هم ليسوا منكرين باللسان، لكنهم غافلون عن المنعم، ساهون عن شكره .وهؤلاء في خطر عظيم، لأن الغفلة قد تؤدي بهم إلى الجحود.

الصنف الثالث: الجاحدون) الكفار للنعم.(
وهم الذين "لا تنفعهم رؤية النعم ومشاهدتها، فهم لا يشكرون الله على نعمه، بل ينسبونها إلى أنفسهم أو للطبيعة" .كما قالت المذكرة: "فهؤلاء كفار للنعم" .إنهم يرون النعمة، ويتمتعون بها، ولكنهم يفسرونها بالمادية: "هذا من عندي"، "هذه قدرتي"، "هذه الطبيعة" .فهؤلاء لم ينتفعوا بالنعم، بل زادتهم كفرًا وبعدًا عن الله.

تحليل قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾] الجاثية:[13

المعنى العام للآية وعلاقتها بما سبق

بعد أن ذكر الله نعمة "البحر" بخصوصها) نموذجًا مصغرًا(، يأتي الآن ليعمم النعمة ويفتح أمامك آفاق الكون كله: إن البحر ليس وحده هو المسخر لكم ...بل كل شيء! ما في السموات من شمس وقمر ونجوم وكواكب ...وما في الأرض من جبال ووديان وأنهار ومعادن ونبات وحيوان ...جميعًا، دون استثناء، قد سُخر لكم! وسُخر "منه" أي من تلقاء نفسه، تفضلًا وإحسانًا من غير أن يطلبكم أحد.

ثم تختم الآية بالحقيقة التي أشبعت بها السورة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ووحدها لفظة "يتفكرون" هي المفتاح لكل ما سبق،...

الأمر الثاني: تحليل عناصر الآية الثانية

المحور الأول: تحليل قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ – النعمة المطلقة

١.عظمة النعمة وشمولها:
لقد ذكر الله في الآية السابقة نعمة "تسخير البحر" .وهنا يرتقي الخطاب ليعلن أن البحر ليس إلا مثالًا واحدًا من بحر نعمه! فكل ما في السموات) الشمس تمدكم بالدفء والطاقة، القمر ينير ليلكم، النجوم تهديكم في الظلمات، السماء سقف محفوظ (مسخر لكم ...وكل ما في الأرض) الهواء تتنفسونه، الماء تشربونه، الدواب تركبونها وتأكلون منها، النباتات، المعادن، النار، كل شيء (مسخر لكم .وكما في الآية ا لأخرى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾] لقمان:.[20

٢.سر كلمة "جميعًا":
التأكيد ب- "جميعًا" يعني أن هذا التسخير شامل لا استثناء فيه، وكامل لا نقص فيه .فهو تسخير كلي ، تام، عام .والأهم أنه ينفي أن يكون أي جزء من الكون مسخرًا لغيركم من مخلوقات الأرض، أو أن يكون مسخرًا عليكم! بل هو لكم ولمصلحتكم .إنها خصوصية الإنسان في هذا الكون، وهو ما يستدعي أن يسأل الإنسان نفسه: من أنا حتى يسخر الله لي كل هذا؟ وما واجبي تجاه هذا التكريم؟

٣.دلالة "لكم":
تكررت اللام الدالة على الانتفاع والاختصاص في الآيتين .إنه خطاب للإنسان: هذا كله لك! أفلا تشعر بقيمتك عند الله؟ أفلا تشعر بضخامة واجبك في شكر هذا الإله العظيم؟

المحور الثاني: تحليل قوله تعالى ﴿مِّنْهُ﴾ – إخلاص العطاء لله وحده

١.معنى "منه":
أي أنه سخره تفضلا ً وإحسانًا منه وحده، من غير واسطة، ومن غير أن يطلب منكم مقابلًا .إنها "هبة محضة" من الله .كما تقول: "هذا العطاء مني"، فلا تطلب عليه جزاء ولا شكورًا.

٢.الأثر النفسي ل- "منه":
هذه الكلمة تجعلك تستحي من الله! هو الذي أعطاك كل شيء "منه" تفضلًا، وأنت تقابل ذلك بالغفلة أو الجحود؟! ألا يستحق منك هذا المنعم أن تحبه، وتشكره، وتسجد له؟

المحور الثالث: تحليل قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ – مفتاح الانتفاع

١.التعبير ب- "ذلك":
بعد أن ساق كل هذه النعم) تسخير البحر، تسخير السماوات والأرض جميعًا(، أشار إليها ب- "ذلك")اسم إشارة للمفرد المذكر .(فكأن هذه النعم كلها -على كثرتها وتنوعها- هي بمثابة "أمر واحد" عظيم: إنه "تسخير الكون للإنسان" .وهذا كقوله: "ذلك الكتاب" مع أنه آيات وسور ...فهو شيء واحد في عظمته ومصدره.

٢.العبرة المستفادة:
إشارة واحدة "ذلك" تجمع شتات النعم في حزمة واحدة، لترينا أن المتأمل لا ينظر إلى النعم متفرقة)بحر، ثم شمس، ثم هواء (فيتشتت ذهنه، بل ينظر إلى "المنعم" الواحد الذي سخر له هذا كله في وحدة واحدة .وبذلك يتوحد توجّه القلب إلى الله وحده لا شريك له.

٣."لقوم يتفكرون":
لماذا خص الله "المتفكرين" بالانتفاع بهذه الآيات؟ لأن التفكر غير النظر:

· النظر: بالعين، يراه كل أحد.
· التفكر: بالعقل والقلب، وهو ربط النعمة بالمنعم، وربط الأسباب بالمسببات، وربط الدنيا بالآخرة.

الأمر الثالث: المحاور التحليلية الشاملة للآيتين

المحور الأول: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

في هاتين الآيتين دستور كامل للبناء والتنمية الحضارية المستدامة:

١.التنمية الاقتصادية) من تسخير البحر(:
الآية (12) تؤسس لمبدأ "التنمية الاقتصادية" بالعمل وابتغاء الرزق: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾. إنها تحث على التجارة والملاحة والصناعة والبحث عن مصادر الرزق. فالبحر مسخر، ولكن لا بد من بناء السفن، ودراسة الرياح، وفهم أسرار الملاحة. إنها دعوة إلى "العلم" الذي يسخر الطبيعة لخدمة الإنسان.

٢.التنمية العلمية والفكرية) من التفكر(:
الآية (13) تؤسس لـ "التنمية الفكرية" عبر التفكر. إنها تطلب منك أن تنظر إلى السماوات والأرض نظرة عقل متأمل، لا نظرة عين غافلة! فالتقدم العلمي والتكنولوجي هو في جوهره "تفكر في آيات الله وتسخير لها". وهكذا يتحول العلم إلى عبادة، لا إلى إلحاد ومادية!

٣.التنمية الروحية والأخلاقية) من الشكر(:
الغاية العظمى من كل هذا التسخير هي "الشكر". وهذا أخطر أنواع التنمية! فالمجتمع الذي تسوده روح الشكر، هو مجتمع طيب، متعاون، متواضع، بعيد عن الكبر والجحود. فالشكر يبني "أخلاق الا متنان" التي هي أساس الصحة النفسية والاجتماعية.

٤.بناء الإنسان الواعي) الخليفة في الأرض(:
الآيتان معًا تهدفان إلى بناء "الإنسان الخليفة" الذي فهم أن الله هيأ له أسباب الحياة في الأرض، ليس للهو والعبث، بل للقيام بواجب الخلافة وعمارة الأرض وفق منهج الله. إن الوعي بهذه الغاية هو ما يحول "الاستمتاع بالنعمة" إلى "عبادة لله".

المحور الثاني: بناء الصورة الذهنية الحية والمفاهيم الشاملة

تخيل معي هذا المشهد الحي الذي تبنيه الآيتان في ذهنك:

أنت تقف على شاطئ بحر عظيم ...تسمع هدير الأمواج، وترى اتساع الماء الذي لا يدرك طرفه. وفجأة ، تتغير زاوية رؤيتك: ترى هذا البحر الهائل وكأنه "خادم" رقيق، قد هيئ لك لتجري فيه الفلك. ترى السفينة تشق عباب الماء، وتحمل الناس والبضائع من قارة إلى قارة ...إن الرياح التي تدفع السفينة ليست مجرد ظاهرة فيزيائية، بل هي "أمر الله" يرسلها لخدمتك.

ترفع بصرك إلى السماء ...الشمس تسطع، لا لذاتها، بل لتنضج زرعك، وتدفئ أرضك، وتدير عجلة الحياة لأجلك. القمر ...قد جُعل نورًا في ظلام الليل. النجوم ...زينة وهداية. كلها تقول بلسان حالها: "نحن مسخرات لابن آدم بأمر ربنا!".

ثم تنظر إلى الأرض من تحتك ...الجبال تثبتها، الأنهار ترويها، النباتات تغذيك، والدواب تحملك. كلها في حالة "تسخير" صامت لك.

ثم يأتيك صوت من أعماق قلبك، من وحي الآية: "من سخر لك كل هذا؟"
فيجيب العقل والقلب معًا: "الله ...منه وحده ...تفضلا ً وإحسانًا ...وما واجبك أنت؟ أن تشكرا!"

هذا هو المشهد الحي! أنت لست في كون مادي صامت، بل في قصر عظيم، بناه لك ملك الملوك، ووضعك فيه لتكون خليفته، وأسبغ عليك نعمه، وطلب منك أن "تشكر" و"تتفكر". فإن فعلت، فأنت "الإ نسان" الذي كرمه الله. وإن غفلت وجحدت، فأنت "الغافل" أو "الجاحد" الذي صار أدنى من البهيمة.

المحور الثالث: كيف تربّي الآيتان النفس وتغذي الفكر وتزرع الطمأنينة؟

أولا ً: تربية النفس) البعد الوجداني والروحي(:

· تنمية الحب لله: إن تعداد النعم يورث في القلب حبًا عميقًا للمنعم. أنت ترى البحر وقد سُخر لك، فتحب الله الذي سخر لك هذا العملاق. أنت ترى الشمس وقد أُسرجت لك، فتحب الله الذي أضاء لك الطريق. هذا الحب هو المحرك الأعظم للطاعة.
· تنمية الحياء من الله: عندما تدرك أن الله فعل كل هذا لك "منه"، تستحي من أن تعصيه. كيف

تبارزه بالمعصية وقد سخر لك السماوات والأرض؟!
· طهارة النفس وتحررها من الشهوات: التفكر في عظمة الله - كما أشارت مذكرتكم - يجعل الدنيا بأكملها تصغر في عينك، فتتطهر النفس من شهواتها، وتشتاق إلى مقام القرب من الله، وتذوق حلاوة ا لإيمان .وهذا هو "النور الإلهي" الذي يقذفه الله في قلوب المتفكرين.

ثانيًا: تغذية الفكر) البعد العقلي والمنهجي(:

· تنمية العقل بالتفكر: التفكر هو "إحياء للعقل" .ولكن أي تفكر؟ ليس التفكر الذي يقف عند حدود الظواهر المادية، بل الذي ينفذ إلى ما وراءها، فيصل إلى صفات الخالق: حكمته، قدرته، رحمته، جلاله، جماله، إبداعه .وهذا هو ما يرقى بالعقل البشري من "عقل أداة" إلى "عقل عابد".
· منهجية ربط النعم بالمنعِم: العقل يتدرب على ألا يفرح بالنعمة لذاتها، بل بالمنعِم الذي أرسلها .وهذه أعلى مراتب الذكاء العاطفي والروحي.
· فلسفة "تسخير الكون": العقل يدرك أن مكانة الإنسان في هذا الكون عظيمة؛ كل شيء مسخر له . وهذه المكانة ليست للكبر والعلو في الأرض، بل للشكر والمسؤولية .إنها فلسفة وجودية كاملة مضادة للفلسفة المادية التي تجعل الإنسان مجرد حيوان متطور.

المحور الرابع: أبعاد الآيتين وآفاقهما) الوجدانية والعقلية والتربوية(

.١البعد الوجداني) الروحي والنفسي(:

· الإحساس بمعية الله ورعايته: تشعر أن الله معك في كل لحظة، يحيطك برعايته ويسخر لك ما في الكون .هذا يمنحك دفئًا روحيًا وأمانًا نفسيًا.
· السكينة والرضا: أنت تعلم أن رزقك بيد الله، وقد سخر لك أسبابه .لذلك لا تقلق على رزقك، ولا تحسد غيرك على ما عنده .إنها طمأنينة لا توصف.
· الامتنان : وهو أعلى مراتب الصحة النفسية .الشكر الدائم يجعلك ترى الإيجابيات في حياتك، فتكون أسعد الناس.

.٢البعد العقلي) الفكري والمنهجي(:

· التفكر المنهجي: الآية تدعوك إلى "التفكر"، وهو عملية عقلية راقية، لا ينالها الغافلون ولا الجاحدون.
· الوصول إلى حقائق الوجود: وكما ورد في مذكرتكم: "إحياء العقل يكون بالعلم بحقائق الخالق وعظمته وصفاته وصنعه وإبداعه، بالفكر الذي يوصلك إلى النفوذ إلى أسرار الخلق التي تدل على خ الق عليم حكيم، له كمال الجلال والجمال والإبداع" .إنه مشروع فكري وروحي متكامل!

.٣البعد التربوي) العملي والسلوكي(:

· تربية الشكر العملي: لا تكتفِ بقول "الحمد لله"، بل ترجم الشكر إلى عمل بطاعة الله وعمارة أرضه ونفع خلقه.
· تربية المسؤولية: حين تدرك أن الكون كله مسخر لك، تدرك أنك مسؤول عنه وعن استخدامه .لا تفسد في الأرض بعد إصلاحها، ولا تهدر الموارد، ولا تظلم الحيوان.

المحور الخامس: الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من الآيتين

.١الرسالة النفسية:
يا عبدي ...أنا خلقتك ضعيفًا ...فلم أتركك وحدك في هذا الكون الفسيح! سخرت لك البحر لتركبه، و السماوات لتظلك، والأرض لتستقر عليها، والدواب لتحملك ...كل هذا "مني" تفضلا ً ورحمة .فعلام الحزن؟ وعلام القلق؟ وعلام الخوف من المستقبل؟ استرح في كنفي، وتزود لآخرتك، واشكرني على نعمتي، أزدك من فضلي.

.٢الرسالة التربوية:
يا عبدي ...أنا أربيك بهذه النعم! أريدك أن تكون "شاكرًا" لا "جاحدًا"، وأن تكون "متفكرًا" لا "غافلا ً" . انظر حولك ...كل شيء مسخر لك .هذه قيمتك عندي! فلا تحط من قدر نفسك بالسجود لغيري، ولا ب الانغماس في الشهوات .كن خليفتي في الأرض، واعمرها بشريعتي، واشكرني بالطاعة والعبادة.

.٣الرسالة العقلية:
يا صاحب العقل ...تفكر! إن تسخير كل هذا الكون لإنسان ضعيف لا يمكن أن يكون عبثًا! إن له

لحكمة بالغة .ومن تفكر في هذه النعم، عرف الله حق المعرفة، وأحبّه بكل قلبه .ومن عرف الله، صغرت الدنيا في عينيه، وعظمت الآخرة في قلبه .هذه هي الحكمة التي لا يدركها إلا "قوم يتفكرون"!

المحور السادس: الدروس التطبيقية – كيف تحول الآيتين إلى واقع حياة؟

١.تدريب يومي على "رؤية النعم" والتلذذ بها:

· التطبيق العملي: كل صباح، توقف لحظة وتأمل شيئًا واحدًا مسخرًا لك: الهواء في رئتيك، الماء الجاري، ضوء الشمس .قل بقلبك: "اللهم هذا منك، فلك الحمد" .هذا التمرين البسيط يغير حياتك.

٢.تحويل التفكر إلى عبادة دائمة:

· التطبيق العملي: في طريقك إلى العمل، انظر إلى السماء، إلى الشجر، إلى الطير، وتفكر في عظمة من خلقها وسخرها لك .بهذا تتحول لحظات الانتظار والفراغ إلى "حياة للعقل" و"غذاء للروح".

٣.الشكر العملي:

· التطبيق العملي: لا تجعل شكرك لفظيًا فقط .إذا أعطاك الله مالًا، فأنفق في الخير .إذا أعطاك صحة، فاستعن بها على الطاعة .إذا أعطاك علمًا، فعلمه الناس .هذا هو الشكر الذي يزيد النعم.

٤.التخلص من الجحود والكبر:

· التطبيق العملي: إذا حدثتك نفسك يومًا أن ما أنت فيه من نعمة هو "بذكائك" أو "بجهدك" فقط، فقل لها: "بل هو من فضل الله" .لا تنسب النعمة لنفسك، وكن من "الشاكرين" لا من "الجاحدين".

٥.التعامل مع البحر والسفن والطبيعة بوعي جديد:

· التطبيق العملي: عندما ترى البحر أو تركب سفينة، تذكر أن هذا "آية" سخرها الله لك .اقرأ هذه الآ ية، واستشعر عظمة المنعم .لا تمر على البحر كأنه مشهد سياحي فقط، بل اجعل منه "مدرسة إيمانية" كما أراد الله.

خلاصة شاملة: من النعمة إلى المنعم ...ومن التفكر إلى الشكر

أيها المؤمن العزيز...

لقد اصطحبتك هاتان الآيتان الكريمتان في رحلة كونية بدأت من "البحر" المسخر، وانتهت إلى "كل ما في السماوات والأرض" .وكل شيء يصرخ بلسان حاله: "إنني مسخر لك أيها الإنسان! فلا تغفل عن المنعم الذي سخرني لك!".

إن الآيتين تهدفان إلى غرس "الوعي بالنعمة" في قلبك؛ فأنت لا تعيش في كون صامت، بل في قصر بناه لك كريم، وجعل كل ما فيه في خدمتك .والغاية من كل هذا التسخير هي أن "تتفكر" و"تشكر" . فإن تفكرت، عرفت الله، فأحببته ووحدته .وإن شكرت، زادك من فضله، وأدخلك جنته.

فكن أخي، أختي ...من "الشاكرين" لا من "الغافلين"، ومن "المتفكرين" لا من "الجاحدين" .وانظر إلى البحر، إلى السماء، إلى كل شيء حولك بنور هذه الآيات، تعش في الدنيا بقلب مطمئن، وتذق حلاوة ا لإيمان، وتصل إلى مقام النعيم الأبدي.

القسم الرابع

المبحث الأول

بعد أن بين الله للمؤمنين عظمته في تسخير الكون، وبعد أن كشف عن أمراض المعرضين (الأفاك الأ ثيم، المستكبر، المستهزئ)، يأتي الخطاب الإلهي المباشر للمؤمنين ليربيهم على الخلق الذي يليق بمقامهم. إنه سبحانه يوجههم إلى "كيفية التعامل" مع أولئك الذين استحقوا الويل والعذاب! وكأنه يقول للمؤمنين: "لقد رأيتم عللهم، وعرفتم مصيرهم، أما أنتم فعليكم أن تترفعوا عن الانزلاق إلى مستواهم. عاملوهم بالعفو، وداووا أمراضهم بالصفح، وتذكروا أن حسابهم ليس بيدكم بل بيدي".

إن هاتين الآيتين تمثلان "دستورًا أخلاقيًا" للمؤمن في تعامله مع المخالفين، و"منهجًا علاجيًا" للطبيب الروحي الذي يريد أن يداوي أدواء المجتمع. إنهما تزرعان في النفس المؤمنة "العزة بالله" و"الغنى الروحي" الذي يجعلها تترفع عن مقابلة الإساءة بمثلها، وتتطلع إلى الجزاء الأوفى عند الله. فهيا بنا نقف على هذه المعاني العميقة، ونجعلها مرآة لتهذيب نفوسنا، ودواء لأدوائنا.

تحليل قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: 14]

المعنى العام للآية وموقعها في السياق

هذه الآية تمثل "وصية إلهية" للمؤمنين في كيفية التعامل مع المخالفين المعاندين. بعد أن كشف الله عن صفات أولئك الأفاكين الأثيمين، وأعلن عن مصيرهم (جهنم من ورائهم، لا يغنيهم مال ولا أولياء)، يأتي التوجيه للمؤمنين: لا تشغلوا أنفسكم بالانتقام منهم، ولا تنشغلوا بالرد عليهم، بل اتركوهم لله، واعفوا عنهم، وصونوا أوقاتكم وطاقاتكم لما هو أنفع وأعظم.

لاحظ جمال التعبير: ﴿قل﴾. لم يوجه الخطاب مباشرة للمؤمنين، بل أمر النبي ﷺ أن يقول لهم ذلك. وهذا فيه تشريف للنبي ﷺ بكونه الواسطة في تبليغ هذا التوجيه، وفيه إشعار للمؤمنين بأن هذا الأمر مهم حتى إن الله يأمر نبيه بتبليغه خطابًا.

الأمر الأول: تحليل عناصر الآية البلاغية والتركيبية

المحور الأول: تحليل قوله تعالى ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ – الخطاب الخاص بعد العام

١.لماذا خص المؤمنين بالخطاب هنا؟
بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن صفات المعرضين (الأفاك، الأثيم، المستكبر، المستهزئ)، وعن مصيرهم (جهنم من ورائهم)، يأتي التوجيه للمؤمنين بألا ينشغلوا بهم، بل يتركوهم لله. فكأنه يقول: يا أيها المؤمنون، إنكم على الحق، وإنهم على الباطل. وقد قامت عليهم الحجة، وشُخّصت أمراضهم، وأُعلن مصيرهم. فلا حاجة بكم إلى الانتقام منهم أو الانشغال بهم. إنهم مرضى، وأنتم الأطباء، فعاملوهم بالعفو والصفح.

المحور الثاني: تحليل قوله تعالى ﴿يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ – فلسفة العفو ومناطه

١.معنى "يغفروا":
الغفر هو الستر والتغطية. وغفران الذنب يعني تجاوزه وعدم المؤاخذة عليه. وفي هذا التوجيه أمر للمؤمنين بأن يتجاوزوا عن إساءات هؤلاء، ويصفحوا عن أذاهم، ولا يقابلوهم بمثل ما يفعلون. وهذا لا يعني إقرارهم على باطلهم، بل يعني عدم الانتقام الشخصي منهم، وترك حسابهم لله.

٢.لماذا نص على ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾؟
وهنا مربط الفرس في الآية: إنه يصفهم بأنهم "لا يرجون أيام الله". ومعنى "أيام الله" هو أيام الجزاء والحساب والبعث والنشور، وما أعده الله للمؤمنين من نعيم، وللكافرين من عذاب.

فهم "لا يرجون أيام الله"، أي لا يؤمنون بالبعث ولا يتوقعون حسابًا ولا جزاءً. وهذه هي العلة الأولى في أمراضهم كلها! إن عدم إيمانهم باليوم الآخر هو الذي جعلهم ينطلقون في الشهوات والمعاصي بلا رادع، وهو الذي جعلهم يكرهون ما أنزل الله، وهو الذي جعلهم يستهزؤون بآيات الله.

٣.الربط بين "عدم رجاء أيام الله" وضرورة "العفو عنهم":
وهنا تتجلى الحكمة الإلهية في التوجيه بالعفو عنهم: إنهم مرضى، مصابون في أصل إيمانهم. إنهم "لا يرجون أيام الله"، أي أنهم لا يتوقعون ثوابًا ولا عقابًا، فهم في حقيقة الأمر "محرومون" من أعظم باعث على الخير، وأعظم رادع عن الشر. فكيف تنتقم من إنسان مصاب بهذا العمى الروحي؟ إنه يستحق الشفقة لا الانتقام! إنه فقير إلى رحمة الله، فجدير بكم أن ترحموه، وتعاملوه بالعفو.

المحور الثالث: تحليل قوله تعالى ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ – تفويض الأمر لله

١.معنى "ليجزي قومًا":
اللام هنا للتعليل. أي: اغفروا لهم، واتركوهم، ولا تشتغلوا بالانتقام منهم، لأن الله سيتولى جزاءهم بنفسه. فـ "ليجزي قومًا" أي ليجزي الله هؤلاء المسيئين بما كانوا يكسبون من الآثام والذنوب. وفي

قراءة أخرى (لنجزي) بنون الجمع للتعظيم.

.٢دلالة هذا التعليل:
فيه طمأنة للمؤمنين بأن الله لا يغفل عن إساءات المسيئين. فعدم انتقامكم منهم ليس ضعفًا، بل هو تفويض للقوي العزيز الذي لا يظلم أحدًا. وهو قادر على أن ينتقم لكم منهم، وأن يجزيهم بما يستحقون. فاتركوهم لله، وكفوا أيديكم وألسنتكم عن الانتقام الشخصي، وثقوا في عدل الله.

.٣الفرق بين العفو عن النفس وعدم الإنكار للحق:
العفو هنا عفو "شخصي"، فلا تطالب بحقك الشخصي، ولا تنتقم لنفسك. أما الحق العام، وحق الدين، فلم تؤمر بالسكوت عنه، بل ببيانه والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة. فالآية تأمر بضبط النفس، لا بالسكوت عن الباطل.

تحليل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: 15]

المعنى العام والارتباط بما قبلها

بعد أن أمر الله المؤمنين بالعفو عن المسيئين، يأتي هنا ليزرع في قلوبهم الطمأنينة واليقين، وليبين لهم "المبدأ العام" الذي يحكم الجزاء: كل إنسان محاسب على عمله وحده. إن أحسنت، فلنفسك. وإن أسأت، فعليها. هذا المبدأ العظيم يحرر المؤمن من الانشغال بحساب الآخرين، ويدفعه إلى التركيز على صلاح نفسه وتزكيتها. فهو يعلم أن "الرصيد الحقيقي" الذي يسعى إليه هو العمل الصالح الذي ينفعه عند الله، لا الانتقام من المسيئين ولا الانتصار للنفس.

الأمر الثاني: تحليل عناصر الآية الثانية

المحور الأول: تحليل قوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ – تحرير الدافع للعمل

.١معنى "عمل صالحًا":
العمل الصالح هو ما جمع شرطين: أن يكون خالصًا لله، وأن يكون موافقًا لشريعته. وهذا يشمل كل أعمال البر: من صلاة وصيام وصدقة وبر وعفو وصبر وكظم غيظ وإحسان.

.٢معنى "فلنفسه":
أي أن ثواب هذا العمل عائد على العامل نفسه، والله غني عن العالمين. أنت حين تعفو، تربح أنت قبل أن يربح غيرك. أنت حين تصبر، تزكو نفسك أنت. وهذا المعنى يعمق في نفس المؤمن "الإخلاص "؛ فهو لا يعمل العمل ليمدحه الناس، ولا لينتقم من أحد، بل ليزكي نفسه وينال ثواب الله.

المحور الثاني: تحليل قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ – عدالة الجزاء

.١معنى "أساء":
الإساءة تشمل كل قول أو فعل محرم، ويدخل فيها العدوان على المؤمنين، والاستهزاء، والكفر، و الجحود.

.٢معنى "فعليها":
أي أن عقوبة الإساءة واقعة على المسيء نفسه، لا تتعداه إلى غيره إن شاء الله، ما لم يتب. وهذا عدل من الله، وتطمين للمؤمنين الذين أمروا بالعفو عن المسيئين: إن إساءتهم لن تضركم شيئًا في الآ خرة، بل ستضرهم هم. فلا تخافوا من فوات حقكم، ولا تحزنوا على ما نالكم منهم.

المحور الثالث: تحليل قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ – التذكير بالمآل

.١معنى "ترجعون":
أي المرجع والمصير إلى الله وحده، لا إلى غيره. فإليه تحشرون، وإليه تردون، وهو الذي يحكم بينكم بالعدل. هذه الجملة هي "الضمانة الإلهية" التي تجعل المؤمن يطمئن ويسلم الأمر لله.

.٢أثر هذا التذكير في نفس المؤمن:

· يزرع الطمأنينة: أنت لست بحاجة للانتقام، لأن الله سينتقم لك أو يعفو عنهم.

· يزرع التقوى: تذكر أنك سترجع إلى الله، فتعمل صالحًا وتتجنب الإساءة.
· يزرع الأمل: تذكر أنك سترجع إلى الله، فتشتاق إلى لقائه، وتعمل لما يرضيه.

الأمر الثالث: المحاور التحليلية الشاملة للآيتين

المحور الأول: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

.١تنمية الخلق الإيماني الرفيع) العفو والصبر(:
الآيتان تبنيان في نفس المؤمن قمة الأخلاق: العفو عن المسيء، والصبر على الأذى، وكظم الغيظ، و الترفع عن الانتقام. هذه الأخلاق هي التي تجعل المؤمن "عزيزًا" حقًا، لأنها تدل على غناه النفسي و الروحي.

.٢تنمية الذكاء العاطفي والروحي:
حين يأمر الله المؤمنين بالعفو، فهو يربيهم على "الذكاء العاطفي": أن يضبطوا انفعالاتهم، وألا يجعلوا الغضب يستبد بهم، وأن ينظروا إلى المسيء نظرة تحليلية (مريض يحتاج علاجًا، جاهل يحتاج حلمًا، محروم يحتاج رحمة).

.٣تنمية المجتمع المتسامح) الحفاظ على النسيج الاجتماعي(:
في مجتمع يضم مؤمنين ومنافقين وكفارًا، كما في المدينة المنورة، أو في أي مجتمع معاصر، هذه الآ ية تحافظ على "النسيج الاجتماعي" من التمزق. فالاقتصاص والانتقام يولدان الكراهية والاقتتال الأ هلي، أما العفو والتسامح فيحفظان الأمن والسلام الاجتماعي. إنها سياسة شرعية راقية لبناء مجتمع متماسك.

.٤تنمية روح الإخلاص والعمل للآخرة:
الآية (15) تبني في المؤمن "الإخلاص". فأنت حين تعلم أن {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ}، فإنك تعمل العمل لوجه الله، لا لثناء الناس ولا للانتقام منهم. وهذا هو أساس قبول الأعمال عند الله.

المحور الثاني: بناء الصورة الذهنية الحية والمفاهيم الشاملة

تخيل معي هذا المشهد الحي الذي تبنيه الآيتان في ذهنك:

أنت تسير في طريق... وإذا برجل قد آذاه جمع من السفهاء. رموه بالحجارة، سبوه، استهزؤوا به. الرجل توقف... هل يلتقط حجرًا ليرد؟ هل يسب كما سبوا؟ هل ينفجر غضبًا؟

لا. بل سمع صوتًا من السماء: {قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا}. سمع توجيه ربه: "اعفُ عنهم". نظر إليهم... فرأى في أعينهم مرضًا، رأى في قلوبهم فراغًا، رأى في عقولهم غفلة. أدرك أنهم "لا يرجون أيام الله"، أي لا يؤمنون بالآخرة. فقال في نفسه: "مساكين! إنهم لا يدرون ماذا يفعلون بأنفسهم! إن إساءتهم ترتد عليهم، وهي دليل على شقائهم لا على قوتهم. أنا الغني بربي، وهم الفقراء المحرومون. سأعفو عنهم، وأوكل أمري إلى الله".

ثم تذكر قول ربه: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ}... فابتسم، وقال: "عفوي هذا ليس لهم، بل لنفسي. أريد ثواب الله. أريد أن أزكي نفسي. أريد أن أرتقي في مراتب الكمال".

ثم تذكر: {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}... فاطمأن قلبه، وسكن غضبه، وأيقن أن الله سيجزيه على صبره، وسيجزي المسيئين على إساءتهم. فمضى في طريقه... شامخًا بروحه، عزيزًا بإيمانه، طبيبًا لا يردي المرضى، بل يداويهم بالحلم والعفو.

هذا هو المشهد الحي! أنت أيها المؤمن، في كل يوم تتعرض لإساءات، من زميل، من قريب، من غريب، من جاهل، من متكبر... فهل تقابلها بالغضب والانتقام، فتنزل إلى مستواهم، وتتحول من طبيب إلى مريض آخر؟ أم تقابلها بالعفو والصبر، فترتفع إلى مقام "العزيز بالله"؟ اختر موقعك في هذا المشهد.

المحور الثالث: كيف تربّي الآيتان النفس وتغذي الفكر وتزرع الطمأنينة؟

أولا ً: تربية النفس (البعد الوجداني والروحي):

· تطهير النفس من الحقد والغل: العفو يغسل القلب من أدران الحقد والغل، فيصبح القلب صافيًا نقيًا، مستعدًا لاستقبال نور الله.
· اكتساب عزة النفس: أنت حين تعفو، تشعر بأنك "أعلى" من المسيء، وأنه لم يستطع أن ينزل بك إلى مستواه .إنها عزة إيمانية لا يدانيها شيء.
· الشوق إلى الجنة: حين تسمع: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾، تشتاق إلى ثواب الله في الجنة، فتعمل الصالحات بصبر ورضا.

ثانيًا: تغذية الفكر (البعد العقلي والمنهجي):

· فهم دوافع المسيئين: الآية تغذي عقلك بتحليل نفسي واجتماعي للمسيئين: إنهم "لا يرجون أيام الله "، فهم محرومون من باعث الخير ورادع الشر .هذا الفهم يجعلك تنظر إليهم بعين التحليل لا بعين الا نتقام.
· منهجية حساب الربح والخسارة: الآية تعلمك أن تحسب الأمور بميزان الآخرة: ما الذي سأربحه إن انتقمت؟ لحظة تشفٍّ، ثم ماذا؟ أما إن عفوت، فأربح ثواب الله .فأيهما أربح؟ إنه تفكير عقلاني سليم.
· فهم مقاصد الشريعة في التعايش: الآية تؤسس لفقه "التعايش" مع المخالفين، والحفاظ على السلم ا لأهلي، ودرء الفتن والاقتتال .إنه فكر سياسي واجتماعي راق.

المحور الرابع: أبعاد الآيتين وآفاقهما (الوجدانية والعقلية والتربوية)

.١البعد الوجداني) الروحي والنفسي(:

· السكينة والطمأنينة: تفويض الأمر لله يريح قلبك من هم الانتقام.
· الرضا والغنى: العفو يشعرك بالغنى النفسي، فأنت لست محتاجًا للانتقام لتشفي غيظك.
· الرجاء في ثواب الله: الإيمان بأن} مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ {يملأ قلبك رجاء في رحمة الله وثوابه، فتصبر وتحتسب.

.٢البعد العقلي) الفكري والمنهجي(:

· تحليل سلوك المخالفين: الآيتان تمنحانك "منظارًا" لتحليل سلوك المسيئين، وعدم أخذ إساءتهم على محمل شخصي.
· فقه الأولويات: أن تشتغل بإصلاح نفسك وتزكيتها أولى من الانشغال بالانتقام من الآخرين.

.٣البعد التربوي) العملي والسلوكي(:

· تربية القادة والمصلحين: القائد الناجح هو الذي يعفو ويصفح، ويكون طبيبًا يداوي أمراض مجتمعه.
· تربية الأسرة والمجتمع: إذا ساد العفو في الأسرة، ساد الحب .وإذا ساد في المجتمع، ساد السلام.

المحور الخامس: الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من الآيتين

.١الرسالة النفسية:
يا عبدي المؤمن... إن إساءة المسيء إليك لا تضرك في دينك ولا في آخرتك ما لم تشغل نفسك بها. أنت الغني بإيمانك، وهو الفقير بجحوده. أنت الطبيب، وهو المريض. فارحمه، واعفُ عنه، وداوِهِ بحلمك. ولا تجعل الانتقام يشغل بالك، فإن الله قد تكفل بحسابه. اطمئن، واعمل صالحًا، وارضَ بما قدره الله لك.

.٢الرسالة التربوية:
يا عبدي... أنا أربيك بالعفو! أريدك أن تكون عزيزًا لا ينزل بك الغضب إلى دركات السفهاء. أريدك أن تكون حكيمًا تنظر إلى عواقب الأمور. أريدك أن تكون طبيبًا لداء الجهل، لا جلادًا للمرضى. أريدك أن تبني مجتمعًا يسوده السلام، لا التمزق والاقتتال. كن قدوة في خلقك، وداعية إلى الله بسيرتك.

.٣الرسالة العقلية:
يا صاحب العقل... تدبر! أيحسن بك أن تترك الاشتغال بإصلاح نفسك، وتنشغل بالانتقام من غيرك؟ أيحسن بك أن تختار لنفسك الانتقام الفاني، وتترك ثواب الله الباقي؟ إن العقل السليم هو الذي يحسب الأمور بميزان الآخرة، ويختار ما يبقى على ما يفنى.

المحور السادس: الدروس التطبيقية – كيف تحول الآيتين إلى واقع حياة؟

١.تدريب النفس على العفو اليومي:

· في البيت: إذا أخطأ أحد أفراد أسرتك، فتذكر هذه الآية، واعفُ عنه .ولا تؤاخذه بكل صغيرة وكبيرة.
· في العمل: إذا أساء إليك زميل أو مدير، فاعفُ ولا ترد الإساءة بمثلها.

٢.تحويل الإساءة إلى فرصة للثواب:

· التطبيق العملي: كلما تعرضت لإساءة، قل في نفسك: "هذه فرصة لأكسب ثواب العفو .هذه فرصة لأ رفع درجتي عند الله" .بهذا تتحول الإساءة من نقمة إلى نعمة.

٣.التعامل مع المسيء كطبيب مع المريض:

· التطبيق العملي: حين يسيء إليك أحد، لا تأخذها بشكل شخصي، بل حلل حاله: لماذا يفعل هكذا؟ ما الذي ينقصه من الإيمان والعلم؟ ثم حاول أن تداويه بحكمة ورفق.

٤.الاشتغال بتزكية النفس:

· التطبيق العملي: إذا وجدت نفسك منشغلا ً بعيوب الآخرين، فقل لنفسك:} مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ{، وانشغل بعيوبك أنت، واجتهد في إصلاحها وتزكية نفسك.

خلاصة شاملة: من العفو إلى الجنة

أيها المؤمن العزيز...

لقد وضعت سورة الجاثية بين يديك خارطة طريق كاملة لاسترداد وعيك، والترفع عن سفاسف الأمور، وتزكية نفسك، وبناء مجتمعك. واليوم تقف على وصية إلهية عظيمة: اعفُ عمن أساء إليك.

إن العفو ليس ضعفًا، بل هو القوة الحقيقية. إنه ليس هروبًا، بل هو مواجهة من نوع آخر: مواجهة بـ الحلم، وعلاج بالرحمة. إن الذي ينتقم قد يطفئ لحظة غضب، لكن الذي يعفو يبني لنفسه قصرًا في الجنة. إن الذي يسب من سبه قد صار مثله، أما الذي يمسك لسانه ويقول: "سلام"، فقد صار أعلى منه وأعظم.

أيها المؤمن، أنت "طبيب" في مستشفى الحياة. حولك مرضى القلب، الذين لا يرجون أيام الله. فهل يليق بالطبيب أن يضرب المريض لأن مرضه آذاه؟ أم يليق به أن يداويه ويصبر عليه؟ أنت تحمل الدواء: دواء الإيمان، ودواء الخلق، ودواء الرحمة. فلا تلق بالدواء، وكن طبيبًا حكيمًا، تطلب الأجر من الله، وتنتظر الجزاء في الدار الآخرة.

·{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ}· ...تذكر هذا دائمًا .كل لحظة صبر، كل كلمة عفو، كل كظم غيظ، كل ابتسامة لمسيء ...هي في رصيدك عند الله .وهي التي ستنقذك يوم لا ينفع مال ولا بنون .وهي التي سترفعك درجات في جنات النعيم.

و·{ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}·... وهناك، عند الله، ينكشف كل شيء. يرى المسيء جزاءه، ويرى المحسن ثوابه. هنالك تفرح بعفوك، وتسعد بصبرك، وتذوق حلاوة ما قدمت يداك.

فاربأ بنفسك عن الانتقام، وتخلق بأخلاق القرآن، وكن من عباد الله الذين وصفهم بقوله: ·{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}·، وانتظر الجزاء الأوفى من ربك الكريم.

القسم الخامس

المبحث الأول

بعد أن أمر الله المؤمنين أن يعفوا عن الذين لا يرجون أيام الله، وألا ينشغلوا بالانتقام الشخصي منهم، ينتقل الخطاب القرآني فجأة إلى الحديث عن "بني إسرائيل"، ليكشف لنا عن نموذج تاريخي حي، نموذج لأمة كانت تحمل رسالة الله وقيادة البشرية، ثم ...سُلبت منها هذه القيادة! وتنتقل إلى أمة أخرى.

لماذا هذا الانتقال؟ ما العلاقة بين العفو عن المسيئين، وبين قصة بني إسرائيل؟
العلاقة عميقة جدًا: إن الله يريد أن يربينا على أن "القيادة" و"التمكين" لا يدومان إلا بـ "العدل" و"الالتزام بمنهج الله" .إن الذين أُمرنا أن نعفو عنهم قد نراهم اليوم في مواقع قوة وسلطان، لكن العبرة بالمنهج الذي يحكم، لا بالأشخاص الذين يسودون .إن أردتم أن تبقى قيادتكم للعالم، فالتزموا بمنهج الله، ولا تنحرفوا كما انحرف بنو إسرائيل فتسلب منكم النعمة!

فهيا بنا نتدبر هاتين الآيتين اللتين تشكلان "محاضرة في فلسفة التاريخ" و"درسًا في سنن الله في الحضارات"، لعلنا نعي ما يجب علينا تجاه ديننا وأمتنا.

المعنى العام للآيتين وعلاقتهما بالسياق

هاتان الآيتان تمثلان نقلة نوعية في خطاب سورة الجاثية: من الحديث عن "الأفراد") المعرضين، المستكبرين، المؤمنين (إلى الحديث عن "الأمة" ومصيرها .ومن الحديث عن "الأخلاق الشخصية") العفو، الصبر (إلى الحديث عن "أسس القيادة الحضارية") العدل، الالتزام بمنهج الله.(

إن الآيتين تقصان علينا خبر "بني إسرائيل" باختصار معجز: لقد آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة، ورزقهم من الطيبات، وفضلهم على العالمين ...فماذا فعلوا؟ اختلفوا! وبغى بعضهم على بعض! فماذا كانت النتيجة؟ انتزعت منهم القيادة، وانتقلت إلى أمة أخرى) أمة محمد ﷺ .(وفي هذا تحذير رهيب لنا: أن نسلك سبيلهم، فنُسلَب كما سُلبوا!

تحليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾] الجاثية:[16

الأمر الأول: تحليل عناصر الآية البلاغية والتركيبية

المحور الأول: تحليل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ – الافتتاح المؤكد

.١دلالة "الواو":
الواو للعطف .وهي تعطف قصة بني إسرائيل على ما سبق من توجيهات للمؤمنين بالعفو .وهذا العطف يشي بعلاقة خفية: كأن الله يقول لنا: "يا أيها المؤمنون، إنكم اليوم تحملون راية الحق، كما حملها بنو إسرائيل من قبلكم .وقد أمرتكم بالعفو وعدم الانتقام .لكن هذا لا يعني أن تتخلوا عن المنهج الذي أنعمت به عليكم! فانظروا إلى من كان قبلكم، كيف ضيعوا المنهج، وكيف سلبت منهم القيادة، فكونوا على حذر!".

.٢دلالة "لقد" و"آتينا":
اللام موطئة للقسم، و"قد" للتحقيق .والمعنى: "والله لقد آتينا..." .إنه قسم إلهي! وفي هذا تهويل للأمر، وتأكيد على عظم النعمة التي أعطاها الله لهم .و"آتينا" تفيد التمكين الكامل .لم يعطهم شيئًا يسيرًا، بل "آتاهم" أي أعطاهم ومنحهم ومكنهم.

المحور الثاني: تحليل النعم الأربع – أركان القيادة الحضارية

عدد الله هنا أربع نعم كبرى، هي أركان القيادة والتمكين لأي أمة:

.١﴿الْكِتَابَ﴾) التوراة(:
وهو أصل النعم كلها .لقد أنزل الله عليهم التوراة، فيها "حكم الله" و"شرعه" .إنها المنهج الرباني الذي يضبط الحياة، وينظم العلاقات، ويحقق العدل .وما لم تكن هناك "شريعة منزلة" تحكم، فإن الأمم تظل تتخبط في أهوائها .فالكتاب هو "النور"، و"الفرقان"، وهو الذي يميز بين الحق والباطل.

.٢﴿وَالْحُكْمَ﴾:
الحكم هو "الفهم" و"الفصل في الأمور" و"الحكمة" .وقد فسره المفسرون على وجوه:

· العلم والفقه: أي أعطيناهم فهم الكتاب ومعرفة أحكامه.
· فصل الخصومات: أي جعلناهم حكامًا بين الناس بالحق.
· الحكمة: أي معرفة حقائق الأمور ووضعها في نصابها.
فهو إذن: العلم، والفهم، وسلطة القضاء والحكم بين الناس.

.٣.{وَالنُبُوّة}:
أي جعلنا فيهم الأنبياء .فمن ذريتهم كثر الأنبياء والرسل) موسى، هارون، داود، سليمان، زكريا، يحيى، عيسى عليهم السلام .(وفي هذا تزكية روحية، واتصال دائم بالسماء.

.٤.{وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَيِّبَات}:
أي من الحلال المستلذ من المآكل والمشارب .وهذا يشمل المن والسلوى الذي أنزله الله عليهم في التيه، وخيرات الأرض المقدسة التي وعدهم بها.

خلاصة هذه النعم الأربعة:
لو تأملت، لوجدت أن هذه النعم تشكل "دولة مكتملة الأركان":

· الكتاب: دستورها وقانونها.
· الحكم: نظامها القضائي ومؤسساتها العلمية.
· النبوة: قيادتها الروحية والأخلاقية.
· الطيبات: قوتها الاقتصادية ورفاهيتها.

فهذه هي "القيادة الحضارية" بكل معانيها! وقد آتاها الله لبني إسرائيل في زمانهم! فماذا فعلوا بها؟

المحور الثالث: تحليل قوله تعالى ·{وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى العَالَمِينَ}· – ذروة النعمة

.١معنى التفضيل:
أي جعلناهم أفضل من عالمي زمانهم .وهذا التفضيل ليس لعصبية عنصرية، بل هو تفضيل "بالوحي" و "بالاستجابة لله" .فلما كانوا على الحق، فضلهم الله .ولما انحرفوا، سلبهم هذا التفضيل.

.٢دلالة هذا التفضيل:
إنه دليل على أن "التفضيل" الإلهي للأمم مرهون بـ "الالتزام بالمنهج" .ما دامت الأمة على الكتاب و الحكم، فهي مفضلة .فإذا تركت الكتاب وانحرفت عن الحكم، سقط تفضيلها، وحل محلها غيرها.

المحور الرابع: ما يستفاد من هذه الآية قبل الدخول في الآية التالية

قبل أن نعرف ماذا فعل بنو إسرائيل، لنتأمل:
لقد أعطاهم الله كل ما تحتاجه أمة لتقود العالم: دستور) الكتاب(، وعلم وقضاء) الحكم(، وقادة روحيون) النبوة(، واقتصاد قوي) الطيبات .(فهل حافظوا على هذه النعم؟ هل شكروها؟ هل استمروا في قيادة البشرية إلى الله؟

الجواب في الآية التالية ...وهو جواب مرعب، يجب أن يهز كياننا، فنحن اليوم) أمة الإسلام (نحمل الكتاب والحكمة والنبوة المحمدية، ورزقنا الله من الطيبات .فهل سنفعل كما فعل بنو إسرائيل؟

تحليل قوله تعالى: ·{وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}·] الجاثية:[17

الأمر الثاني: تحليل عناصر الآية البلاغية والتركيبية

المحور الأول: تحليل قوله تعالى ·{وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ}· – إزالة العذر بالجهل

.١معنى "بينات من الأمر":
ال- "بينات" هي الأدلة الواضحة، والحجج القاطعة، والشرائع المفصلة .و"من الأمر" أي من أمر الدين و الشريعة .فهم لم يكونوا في شك من أمرهم، ولم يكن دينهم غامضًا عليهم! لقد آتاهم الله كل شيء واضحًا جليًا، لا لبس فيه ولا غموض.

.٢لماذا هذا التأكيد على وضوح الأدلة؟
لقطع كل معذرة! حتى لا يقول قائل: "إنما انحرفوا لأنهم لم يفهموا، أو لأن الشريعة لم تكن واضحة" . كلا! بل} مَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ .{لقد علموا الحق، وفهموه، ودرسوه ...ثم تركوه عمدًا!

المحور الثاني: تحليل قوله تعالى ·{فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ}· – تشخيص الداء

.١معنى "اختلفوا":
الاختلاف هنا ليس اختلاف تنوع في الفروع، بل هو "اختلاف تضاد" يؤدي إلى الانقسام والعداوة و البغضاء .إنه الخلاف الذي يفرق الأمة، ويشتت شملها، ويجعلها أحزابًا وشيعًا.

.٢معنى "من بعد ما جاءهم العلم":
وهنا الطامة الكبرى! هم اختلفوا "بعد" أن علموا الحق! لم يجهلوا، بل علموا ثم تركوا .لم يختلفوا عن شك، بل عن بغي.

المحور الثالث: تحليل قوله تعالى ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ – السبب الحقيقي للانحراف

هذه الكلمة هي "جوهرة الآية" و"مفتاح فهم ما حدث"!

.١معنى "بغيًا":
البغي في اللغة: الظلم، وتجاوز الحد، والاستطالة على الغير، والحسد، والتنافس المذموم .والبغي هنا يشمل عدة أمراض اجتمعت في قلوبهم:

- الحسد: حسد بعضهم بعضًا على ما آتاهم الله من فضله.
- حب الرئاسة والسلطة: الحرص على الدنيا والجاه والمناصب.
- العداوة والتنازع: الذي يؤدي إلى الاقتتال والتناحر.
- كراهية الحق: إذا تعارض مع أهوائهم ورغباتهم.
- شهوة الانتقام: التي تحل محل العدل الإلهي.

.٢دلالة البغي:
لاحظ أن الله لم يقل: "جهلا ً بينهم"، ولا "شكًا بينهم"، ولا "نسيانًا بينهم" .بل قال: "بغيًا" .إنه مرض قلبي، لا مرض عقلي .إنه انحراف إرادي، لا نقص معرفي .لقد عرفوا الحق، لكنهم "تعمدوا" تركه، لأن الحق اصطدم بمصالحهم ورغباتهم وشهواتهم وأهوائهم .وهنا مربط الفرس: إن البغي هو الذي يولد كل أنواع الانحرافات التي تحدثنا عنها سابقًا) الأفاك، الأثيم، المستكبر، المستهزئ .(فالبغي هو أم هذه الأ مراض كلها!

المحور الرابع: تحليل قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ – تفويض الأمر إلى الله

.١القضاء الإلهي:
أي أن الله سيفصل بينهم يوم القيامة، ويحكم بين المختلفين بالعدل .وهذا فيه:

- وعد للمظلومين بالإنصاف.
- ووعيد للظالمين بالعقاب.
- وتسكين لقلوب المؤمنين: فالله سيقضي بين المختلفين.

.٢لماذا أخر القضاء إلى يوم القيامة؟
لأن الله يمهل ولا يهمل .وقد يكون في تأخير القضاء رحمة) لعلهم يتوبون(، وقد يكون استدراجًا)ليزدادوا إثمًا .(والمهم أن الحساب الختامي عند الله، وهو وحده الذي سيفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه.

الأمر الثالث: المحاور التحليلية الشاملة للآيتين

المحور الأول: مفاهيم البناء والتنمية من الآيتين

.١تنمية فقه التمكين وسنن الحضارات) لن تسلُب القيادة(:
الآيتان تعطياننا قانونًا تاريخيًا: "من أُعطي المنهج، ثم انحرف عنه بغيًا، سُلبت منه القيادة" .هذا القانون هو أساس "التنمية الحضارية" في المنظور القرآني .فالتنمية ليست فقط اقتصادًا وتكنولوجيا، بل هي قبل ذلك "التزام بمنهج الله") الكتاب (و"إقامة للعدل") الحكم (و"تزكية للنفس") البعد عن البغي .(فإن فُقدت الأمة هذه الأسس، انهارت مهما بلغت من تقدم مادي.

.٢تنمية العدالة المؤسسية) لا للاستبداد(:
البغي الذي وقع فيه بنو إسرائيل يشمل "الاستبداد" و"عدم إقامة العدل" .وهذه الآية تحذر كل قائد،

وكل صاحب سلطان، وكل عالم، وكل غني: إياك والبغي! إياك أن تستخدم سلطتك أو علمك أو مالك لقهر الآخرين أو الاستئثار بالحقوق أو ظلم المستضعفين .إن هذا البغي هو الذي يجر الأمة إلى الهاوية.

٣.تنمية الوحدة ونبذ الاختلاف:
الآية تشخص داء الأمة: "الاختلاف" .إنه داء يفرق القلوب، ويشتت الجهود، ويمكن العدو .فالبناء الحقيقي يكون بالوحدة حول "الكتاب" و"الحكم"، ونبذ الاختلافات القائمة على البغي، وإخضاع كل الا ختلافات لـ "منهج الله".

٤.التنمية بالعلم البصير لا بالعلم المنحرف:
الآية تخبرنا أن بني إسرائيل اختلفوا بعد أن "جاءهم العلم" .وهذا يعني أن "العلم" وحده لا يكفي! بل لا بد مع العلم من "الورع والتقوى" .فالعالم الذي يبغي بعلمه، ويستخدمه للاستبداد والظلم والانتصار لنفسه، هو أخطر على الأمة من الجاهل! فالتنمية الحقيقية هي: علم + تقوى.

المحور الثاني: بناء الصورة الذهنية الحية والمفاهيم الشاملة

تخيل معي هذا المشهد الحي الذي تبنيه الآيتان في ذهنك:

تخيل أمة كاملة ...هي في بداية عهدها: على رأسها أنبياء، في أيديها كتاب، في قلوبها حكمة، في ساحاتها عدل، في بلادها خيرات .إنها أمة قائدة، مفضلة على العالمين .ترى نور الله يشع من محاريبها، وتسمع كلام الله يتلى في بيوتها ومجالسها.

ثم ...تمر الأيام ...فإذا بهذه الأمة تبدأ في الاختلاف .انظر إلى المشهد: عالم متنفذ، عنده علم، لكن قلبه قد مرض بالحسد .قاضٍ بين الناس، لكن هواه قد غلب حكمه .غنيّ، لكنه بخل بما آتاه الله .قائد، لكنه استبد برأيه.

الكل يعلم الحق! الكل يعرف أن الله أمر بالعدل، والمساواة، والرحمة .لكن ..."البغي" ينخر في العظام . كل واحد يريد أن تتحقق رغبته هو، لا حكم الله! كل فريق يريد أن ينتصر لرأيه، لا للحق!

انظر إلى مجالسهم وقد تحولت إلى ساحات تنازع .انظر إلى قلوبهم وقد امتلأت ضغائن .انظر إلى وحدتهم وقد تمزقت .انظر إلى أعدائهم وقد طمعوا فيهم!

ثم ...فجأة ...انتُزعت منهم القيادة! لم يعودوا الأمة المفضلة .أُسقط التاج عن رؤوسهم .انتقلت الراية إلى أمة أخرى) أمة محمد ﷺ .(وفي السماء، صوت الحق يجلجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

وهذا المشهد ليس تاريخًا مضى!
إنه "تحذير" لنا، نحن أمة الإسلام .فنحن اليوم نحمل الكتاب) القرآن(، والحكم) الشريعة(، والنبوة)النبوية المحمدية(، والطيبات) خيرات الأرض .(فهل سنختلف ونتنازع ونتحاسد، فتنتزع منا القيادة كما انتزعت من بني إسرائيل؟

المحور الثالث: كيف تربّي الآيتان النفس وتغذي الفكر وتزرع الطمأنينة؟

أولا ً: تربية النفس) البعد الوجداني والروحي(:

· الخوف من سلب النعمة: شعور عميق بأن النعم لا تدوم إلا بالشكر والالتزام بالمنهج.
· بغض البغي والظلم: الآية تزرع في النفس كراهية شديدة للبغي، لأنه سبب الهلاك وسلب النعم.
· الرضا والتسليم لله عند الاختلاف: تذكر أن الله سيقضي بين المختلفين يوم القيامة يزرع الطمأنينة والسكينة.

ثانيًا: تغذية الفكر) البعد العقلي والمنهجي(:

· فهم سنن الله في الحضارات: الآيتان تعطياننا "مفتاحًا" لفهم التاريخ: صعود الأمم وهبوطها مرهون بـ "العدل" أو "البغي".
· فهم أسباب انحراف الأمم: الانحراف لا يكون عادة عن جهل، بل عن بغي واتباع للهوى مع العلم . هذه فكرة تحرر العقل من التفسيرات الساذجة للتاريخ.

· التركيز على إصلاح الداخل: الآية توجه الفكر إلى أن الخطر الحقيقي على الأمة ليس من الأعداء الخارجيين فحسب، بل من "البغي" الداخلي الذي يفرقها.

المحور الرابع: أبعاد الآيتين وآفاقهما) الوجدانية والعقلية والتربوية(

.١البعد الوجداني) الروحي والنفسي(:

· استشعار عظم النعمة: تذكر أن ما أنت فيه من نعمة الإسلام والقرآن هو فضل من الله، فتشكره بقلبك وقالبك.
· الخوف من مساوئ الأخلاق: الخوف من الحسد، والبغي، وحب الرئاسة، والاستبداد، لأنها تؤدي إلى سلب النعم.

.٢البعد العقلي) الفكري والمنهجي(:

· تحليل التاريخ تحليلا ً إيمانيًا: ليس التاريخ صراع طبقات) كما يقول الماديون(، بل هو صراع بين الحق والباطل، بين العدل والبغي، بين الالتزام بالمنهج والانحراف عنه.
· فقه التحذير: الآية لا تسرد التاريخ للسمر، بل للتحذير: "لا تكونوا مثلهم!".

.٣البعد التربوي) العملي والسلوكي(:

· تربية القادة: كل من في يده شيء من القيادة) أب، معلم، مدير، عالم، حاكم (يجب أن يتعلم من هذه الآية خطورة البغي وأهمية العدل.
· تربية الأمة على الوحدة: التحذير من الاختلاف والتنازع، والحث على الاجتماع على كتاب الله.

المحور الخامس: الرسائل النفسية والتربوية والعقلية من الآيتين

.١الرسالة النفسية:
يا عبدي ...إن النعم التي أنعمت بها عليك) الإيمان، القرآن، الأمن، الرزق (هي أمانة في عنقك .فإن أديت شكرها، وحكمت بها بالعدل، أبقيتها عليك وزدتك منها .وإن بغيت وظلمت وتنازعت، فإني قادر على سلبها منك كما سلبتها من بني إسرائيل من قبلك .فاخشَ مقامي، واحفظ نعمتي.

.٢الرسالة التربوية:
يا عبدي ...انظر إلى التاريخ لتتعلم! إن الأمم التي تنحرف عن منهج الحق، وتعصف بها الأهواء و الشهوات، وتنقسم على نفسها، نهاية مصيرها إلى الزوال .كونوا أمة واحدة، مجتمعة على كتاب ربكم، متحابة في الله، متعاونة على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

.٣الرسالة العقلية:
يا صاحب العقل ...تدبر! أيعقل أن يختلف من أوتوا الكتاب والحكم والعلم، لا عن جهل، بل عن حسد وبغي؟! إن هذا ليدل على أن الهوى إذا استبد بصاحبه، أعماه عن رؤية الحق، ولو كان واضحًا ك الشمس .فطهر نفسك من أدران البغي، تكن من المهتدين.

المحور السادس: الدروس التطبيقية – كيف تحول الآيتين إلى واقع حياة؟

.١في موقع القيادة) أبًا كنت أو مديرًا أو عالمًا أو حاكمًا(:

· أقم العدل على كل أحد، ولا تسمح لرغباتك الشخصية أو شهوة الانتقام أن تؤثر على حكمك.
· احذر البغي على مرؤوسيك، فالله مطلع عليك.

.٢في التعامل مع الاختلافات داخل المجتمع:

· لا تجعل الخلاف يتحول إلى عداوة وبغضاء واقتتال.
· رد الأمر إلى الله ورسوله عند الاختلاف.
· احذر الحسد، فهو يدفع صاحبه إلى البغي.

.٣في النظر إلى التاريخ والأحداث الجارية:

· انظر إلى سقوط الأمم والحضارات من حولنا ...أليس البغي والظلم والانقسام هو سبب سقوطها؟
· اعتبر بغيرك، ولا تكن عبرة لغيرك.

٤.شكر النعمة العملية:

· إذا رأيت أن الله قد آتاك علمًا أو جاهًا أو مالا ً، فاعلم أنها نعمة كالتي آتاها بني إسرائيل . فاشكرها بأن تحكم بما أنزل الله، وتخدم بها الحق والعدل.

خلاصة شاملة: من العفو إلى العدل ...ومن الفرد إلى الأمة

أيها المؤمن العزيز...

لقد بدأنا رحلتنا مع سورة الجاثية ببناء الوعي بالمسؤولية الفردية، وها نحن اليوم نقف على مسؤولية "الأمة" بأكملها .لقد رقينا من "العفو الشخصي") آية14 - (15إلى "العدل الحضاري") آية16 - .(17وكلاهما وجهان لعملة واحدة: وجه "تنقية النفس" من أدران الحقد والانتقام، ووجه "إقامة المجتمع" على قواعد العدل والإنصاف.

لقد رأينا في آية (16) النعم التي آتاها الله لبني إسرائيل، وهي تشبه إلى حد كبير النعم التي آتاها لأ مة الإسلام .ورأينا في آية (17) كيف ضيعوا هذه النعم، بـ "البغي" و"الاختلاف" بعد أن علموا الحق . فاستحقوا أن تسلب منهم القيادة.

والتحذير موجه لنا: أيتها الأمة المسلمة! أيتها الأمة التي حملت الكتاب والحكمة والنبوة ...لا تكونوا كبني إسرائيل! لا تجعلوا البغي) الحسد، حب الدنيا، طلب الرئاسة، كراهية الحق إذا خالف أهواءكم (يتسلل إلى قلوبكم، فيمزق وحدتكم، ويضيع قوتكم، ويسلب نعمتكم، وينتزع قيادتكم.

إن الطريق الوحيد للبقاء في مقام القيادة والتمكين، هو: "إقامة منهج الله في الأرض بالعدل والمساواة ، دون محاباة ولا استبداد، مهما اختلفت أديان الناس ومعتقداتهم" .فمن أراد أن تبقى أمته عزيزة قائدة، فليلتزم منهج الله، ويقم العدل، ويوحد الصف، ويكف عن البغي والظلم.

وإن اختلفتم في يوم من الأيام، فإلى الله مردكم، وهو الذي يقضي بينكم .فاجعلوا خلافكم إلى الله، لا إلى أهوائكم، ولا إلى أسيادكم، ولا إلى الشيطان.

المبحث الثانى

اولا

أيها القارئ الكريم،

تخيل أن ملك الملوك أوقفك بين يديه، وخصك دون العالمين بكلمة، وجعلك وريثاً لأعظم منهج .هذا هو مقام الآية الثامنة عشرة من سورة الجاثية .بعد أن سرد الله ُ تاريخَ بني إسرائيل، وما آتاهم من فضله) فضلهم على العالمين، وإيتاءهم الكتاب والحكم والنبوة(، وبعد أن ذكر خلافهم وبغيهم من بعد ما جاءهم العلم، يوجه الخطاب إلى قلب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ليعلن ميلاد أمة جديدة وقائدة جديدة:} ثمّ جَعَلنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتبِعْهَا وَلَا تتَبِعْ أَهْوَاءَ الذِينَ لَا يَعْلَمُونَ .{ إنها الآية التي تعيد تعريف هويتك، وتضبط بوصلتك، وتكون درعك في زمن الضياع.

أولا ً: التحليل

المحور الأول: تحليل) ثم جعلناك(

· لماذا استخدام) ثم (بعد ذكر أن القيادة نزعت من بني إسرائيل؟ وبعد ذكر ما أنعم به عليهم؟ هل تشير إلى تراخ زمني أم تفضيل درجة رفيعة بعد أن ذكرت الآيات السابقة بني إسرائيل وما أنعم الله عليهم؟
· الجواب الذي يوقظ الوجدان:} ثمّ {هنا ليست تراخياً زمنياً فحسب، بل هي سر الإعلان عن التراخي الرتبي .إنها نقلة نوعية وثورة في عالم التكريم .كأن الله يقول: "بعد كل ما أعطينا بني إسرائيل، وبعد أن فرطوا وبدلوا، نمنحك يا محمد وأمتك مقاماً أسمى ومنزلة أرفع" .إنها إشارة إلى أن أمة محمد لم تأتِ لتكون نسخة مكررة، بل لتكون نسخة مطورة أخيرة، خير أمة أخرجت للناس . إنها تشعرك بالفخر والاعتزاز بأنك لست امتداداً لأمة أخفقت في الاختبار، بل أنت أمة الاستخلاف الجديد.
· ثم تفيد التراخي الرتبي، وهذا يدل على علو مرتبة الشريعة الإسلامية فهي أسمى وأفضل من إيتاء بني إسرائيل الكتاب والحكم .لماذا جاءت الشريعة بعد ذكر بني إسرائيل؟ وماذا تستفيد من المقارنة

بين حالهم وحال هذه الأمة؟ وما فيه من رسائل تربوية ونفسية وفكرية؟
· الحكمة من هذا الترتيب القرآني باهرة .يريد الله لك أن ترى الصورة كاملة: أمة أوتيت كل شيء ففرطت، ثم أمة جُعلت على شريعة كاملة لتبقى .المقارنة هنا ليست للتشفي، بل للتعليم .تستفيد منها أن النعم لا تدوم إلا بالشكر والاتباع، وأن الخطر ليس في "عدم وجود المنهج"، بل في "عدم اتباعه" . الرسالة النفسية: لا تأمن الاختلاف والهوى، فسلفك العظيم سقط به .الرسالة التربوية: العلم وحده لا يكفي، فلا بد من العمل والاتباع .الرسالة الفكرية: الأمم تسقط من داخلها عندما تغلب أهواؤها شريعتها.
· فيه بيان انتقال القيادة من بني إسرائيل إلى أمة الإسلام: هذه لحظة فارقة في تاريخ البشرية، إعلان ميلاد أمة الشهود الحضاري على العالمين، مسؤوليتك الآن أكبر.
· ماذا تعنى كلمة) جعلناك(؟ هل هذا الجعل هو اختيار إلهي أم تشريف للنبي أم تثبيت له في مواجهة المشركين؟
· كلمة} جَعَلْنَاكَ {أعمق من مجرد اختيار .إنها اصطفاء وتكوين وصناعة على عين الله .هي تشريف قبل التكليف، وتثبيت قبل التبليغ .إنه يقول لنبيه: "أنا الذي خلقتك وهيأتك، ووضعتك في هذا المقام" . في مواجهة المشركين، هي طمأنة عظمى: لست أنت من يدّعي، بل الله هو الذي جعلك .وفيها إيناس: أنت ممهد له، ولست متروكاً.
· كيف تعكس كلمة) جعلناك (معنى التكريم والاصطفاء من الله للنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده أمته بحمل هذه الشريعة؟
· هي تعكس معنى "الجعلية" الإلهية، كأن يقول الصانع لتحفته: "أنا صنعتك خصيصاً لهذا" .الله لم يطلب منك أن تصنع طريقاً، بل جعلك أنت على الطريق .هي شهادة ميلاد للهوية الجديدة؛ هويتك ليست عرقاً ولا أرضاً، بل هي "أن الله جعلك على شريعة من الأمر".
· وكيف تشعر بفضل الله ومنته عليك أن جعلك على الطريق المستقيم دون جهد منك؟
· هذا هو لبّ الشعور الإيماني: أن تغمرك رعشة الامتنان .فأنت لم تختر نفسك، ولم تبحث في بطون الكتب لتكتشف الحق مصادفة، بل الله هو الذي اجتباك .أن تنام وتصحو على الفطرة، أن تقول: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله" .هذا الشعور يقتل الكبر في مهدها، ويملأ القلب حباً لله.
· وما هي الرسائل والتوجيهات النفسية والتربوية والفكرية من هذه الدلالات؟
· النفسية: أنت لست نكرة، أنت مصطفى .عِشْ بهذا الاستعلاء.
· التربوية: ربِّ من حولك على أن مئة الاصطفاء أعظم من ملك الدنيا.
· الفكرية: مرجعيتك إلهية المصدر، لا بشرية، فلا تهن ولا تحزن.

المحور الثاني:) على شريعة من الأمر(

١٠ / لماذا سمى الدين شريعة؟ ولماذا وصف الدين بالشريعة؟
· لم يقل "ديناً" فحسب، بل قال} شَرِيعَةٍ {ليعطيك صورة حسية تعيشها كل يوم .الدين ليس فلسفة أو طقوساً، بل هو "مشروع ماء الحياة" .ووصف الدين بالشريعة ليربط في ذهنك أنك محتاج إليه كاحتياجك للماء؛ لا غنى لك عنه طرفة عين.
٢٠ / ماذا تعني الشريعة في اللغة وما المقصود بها بشريعة الأمر هنا؟
· الشريعة في اللغة: هي الطريق المستقيم إلى الماء، مورد الشاربة الذي ينهلون منه.
· المقصود بشرعية الأمر هنا: المنهج الإلهي الواضح، الطريق الذي شرعه الله وأمر باتباعه، والذي يروي ظمأ الأرواح والعقول، وينظم شؤون الحياة كلها.
٣٠ / كيف يربط هذا التشبيه بين شريعة الدين ومشرعة الماء مورد الشاربة في الذهن والعمل؟ وكيف يمثل التمسك بالدين مورد حياة لقلب المؤمن وعقله تماماً كما يمثل الماء حياة الجسد؟
· في الذهن: عندما تسمع "شريعة" فليقفز إلى ذهنك فوراً "الماء" .فكما أن الجسد يموت دون ماء، فالقلب يموت دون الوحي .كما أن الماء يطهر من الأنجاس، فالشريعة تطهر من الآثام .في العمل: كما تسعى جاهداً للوصول للنبع، اسعَ جاهداً لتطبيق الشرع .هذا الربط يحول الدين من تكليف ثقيل إلى ضرورة حياتية ممتعة.
٤٠ / ما معنى التنكير في شريعة حين قال) على شريعة (ولم يقل الشريعة؟ إلى ماذا تشير؟ هل إلى سعة الشريعة وكمالها في تفاصيل الحياة؟
· التنكير هنا للتعظيم والتفخيم ."شريعةٍ" نكرة بمعنى "شريعة عظيمة، لا مثيل لها، لا تدركها الأبصار لسعتها" .إنها تشير إلى أنها شريعة لا يحدها وصف، شريعة جمعت كمال التشريع لتفاصيل الحياة كلها، الكبيرة والصغيرة.
٥٠ / ما الذي شعرت به من عظمة الدين الذي أنت عليه عندما تصف الآية بأنه شريعة من الأمر؟
· تشعر بالفخر الممزوج بالمسؤولية .أنا لست على فكرة بشر، بل على أمر ملكوتي صادر من صاحب الأمر .الدين ليس مجرد طقوس، بل هو المنهج الذي يدير الكون .إنه شعور "بالشرف العظيم"، أن

أكون محل ثقة الله لأحمل رسالته الأخيرة.
٦٠ / كيف تعزز هذه الآية في قلبك الثقة بنصوص الوحي والشعور بالاعتزاز بالإسلام خاصة في زمن كثرت فيه الفتن والمذاهب الفكرية؟
· الآية تعزز الثقة بأن الوحي ليس آراء قابلة للنقاش، بل هو "أمر" .في زمن الفتن، أنا على "مورد ماء" وغيري على "مستنقعات الأهواء" .هذا يورثني الاعتزاز الهادئ، فلا أشعر بهزيمة نفسية أمام "حداثة" بلا روح، ولا أنبهر بفكر بشري قاصر .أنا معي الخريطة الربانية الكاملة.
٧٠ / ضرورة تربية النفس على أن تكون مرجعيتها في كل قراراتها سواء الشخصية أو المالية والا جتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية كلها لمنهج الله، أن تبحث في منهج الله لا أن تبحث عن الحل الأسهل أو المتاح.
· هذه هي الترجمة العملية "للشريعة" .أن تنشئ نفسك على أن البوصلة هي "ما الذي يريده الله"؟ لا "ما الذي يريده الناس؟" أو "ما هو الأسهل؟" .في المال) أحلّ الله البيع(، في الاجتماع) وتعاونوا على البر(، في السياسة) أمرهم شورى بينهم .(الشريعة ليست فقط في المسجد، بل في السوق و البيت والبرلمان.

المحور الثالث:) فاتبعها(

١٠ / لماذا جاء الأمر بالاتباع فوراً بعد) جعلناك(؟) الفاء العاطفة(
· الفاء تفيد السرعة المباشرة والتعقيب بلا مهلة .الجعل الإلهي هو التمكين، والاتباع هو المهمة .ما دمت جُعلت لهذا، فلا مكان للتردد أو التفكير في بدائل .الوجود الشرعي يقتضي الامتثال الفوري .هذا يقتلع جذور التسويف من نفسك.
٢٠ / لماذا جاء الخطاب بصيغة الإفراد) فاتبعها(؟
· لتدرك المسؤولية الفردية قبل الجماعية ."أنت" يا من تقرأ الآية مخاطب .في قبرك ستسأل وحدك . لا تختبئ خلف "الأمة بخير" أو "الناس يتبعون" .ابدأ بنفسك .وفيه تشريف: كأن الله يناديك أنت خاصة، ويطلبك للعمل.
· وفيه معنى القدوة والقيادة: البدء برأس الهرم) النبي ﷺ (ليكون أسوة .فإذا كان المؤيد بالوحي مأموراً بالاتباع، فمن دونه أحوج.
٣٠ / صراحة الأمر ووجوب الانقياد) نفي التخيير(
·} فَاتَّبِعْهَا {أمر جازم ليس فيه خيار .الشريعة ليست "بوفيه" مفتوحاً تختار منه ما يعجبك، بل هي حكم ملزم .الاتباع لغة هو السير خلف الشيء دون انحراف .هو تجريد الإرادة لله، ففي مواجهة النص الشرعي، تسقط كل رغبات النفس.
٤٠ / الفرق بين العلم بالشريعة والاتباع العملي
· العلم إدراك ذهني، والاتباع حركة واقعية .العلم أن تعرف خريطة الطريق، والاتباع أن تسير فيه . كثيرون يعلمون أن الصدق منجاة، لكنهم يعيشون بالكذب .خطورة العلم بلا اتباع أنه حجة عليك يوم القيامة، ويورثك اضطراباً نفسياً لأنك تعيش صراعاً بين ما تعرفه وما تفعله.
٥٠ / كيف يكون) الاتباع (منهاجاً في حياتك العملية؟
· في العمل والتجارة: الأمانة ليست "ذكاء تجاري"، بل هي اتباع للشريعة .ترفض الرشوة والغش لأ نك "تتبع" حتى لو كان الكل يفعله.
· في الدراسة والبحث: الإخلاص في النية، والدقة، ومحاربة السرقات العلمية، هذا اتباع لمنهج الإ حسان.
· خطوات عملية: .1 الفحص الدائم: قبل كل قرار، اسأل: هل يوافق الشريعة أم الهوى؟ .2 التدرج في التطبيق: ابدأ بالفرائض، ثم تدرج للنوافل ودقائق الأخلاق .3 .الصدق مع النفس: يظهر الاتباع الصادق حين تتعارض مصلحتك الشخصية مع حكم الله، فتُقدّم مراده.
٦٠ / الرسائل التربوية والنفسية من) فاتبعها(
· رسالة الطمأنينة: الاتباع يريحك من عناء التخبط والاختيار؛ أنت خلف دليل خبير.
· رسالة الاستعلاء الإيماني: لا تنقاد لبشر مثل، بل لخالق البشر، فتشعر بالعزة.
· رسالة الانضباط: حياتك ليست فوضى .أنت على مسار مرسوم بدقة، وهذا يبني فيك شخصية نظامية متزنة.

المحور الرابع:) ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون(

١٠ / لماذا وصفهم الله ب-) الذين لا يعلمون (رغم دهائهم؟
· العلم الحقيقي هو ما نفع .قد يملكون علوم المادة والدهاء السياسي، لكنهم يجهلون مراد الخالق، وغاية الوجود، وحقيقة المصير .العلم الذي لا يقود للحق هو جهل مركب في ميزان الوحي .لأنهم جهلوا الله، صاروا أجهل الجاهلين وإن ملكوا الدنيا .الجهل هنا هو التربة الخصبة لنبات الهوى؛ فعندما يغيب نور الوحي، تملأ النفس فراغها بالشهوات.

٢٠ / لماذا جاءت) الأهواء (بالجمع و)الشريعة (بالإفراد؟
· لأن الحق واحد) الصراط المستقيم(، والباطل متعدد ومتشعب .للنفس أهواء: شهوة، سلطة، عصبية ، تقليد أعمى .كلها مضطربة متفرقة، بينما الشريعة ثابتة واحدة لا تتغير بتغير أمزجة البشر .هذا يظهر جمال الوحدة في المنهج الإسلامي في مقابل فوضى الأهواء البشرية.
٣٠ / الفرق بين اتباع الشريعة واتباع الهوى
· الشريعة: تنزيل على حكم الوحي، تقودك للصلاح) إن كرهت نفسك.(
· الهوى: انقياد لما تحبه النفس دون ضابط .الهوى يُعمي ويُصم، بينما الشريعة بصيرة ونور .اتباع الشريعة حرية من عبودية النفس، واتباع الهوى عبودية للذة عابرة.
٤٠ / كيف نميز بين) الهوى (و)التجديد المباح(؟
· المرجعية: التجديد يتحرك داخل إطار الشريعة وأصولها، بينما الهوى يصطدم بنص قطعي ليُرضي واقعاً منحرفاً.
· الغاية: التجديد غايته تيسير تطبيق الدين في واقع متغير، لكن الهوى غايته تغيير الدين ليوافق الواقع المنحرف .فكل فكرة تعرض على الميزان: أصلها من الوحي فهي تجديد، أم من الرغبة البشرية المجردة فهي هوى.
٥٠ / الحماية من أهواء الغرب والعادات المخالفة
· الاستعلاء بالإيمان: لا تنبهر بقوتهم المادية فتقبل أهواءهم الاجتماعية وأفكارهم الهدامة .معيار القبول ليس القوة، بل الموافقة للفطرة والشريعة.
· غربلة العادات: ضع عادات مجتمعك وموروثك على ميزان الشريعة .ما وافقها قبل، وما خالفها فهو من "أهواء الذين لا يعلمون" وإن فعله آباؤك.
٦٠ / الرسائل النفسية والتربوية والعقلية
· النفسية: الاستقرار؛ اتباع الهوى تشتت وقلق، لأنه لا يُشبع .أما الشريعة فتمنحك طمأنينة الهدف الواحد.
· التربوية: التحرر من العبودية للأشخاص والموضات .أنت حر طليق، بل أنت عبد لله وحده.
· العقلية: الوقاية من الغواية والذل .الهوى ينتهي بالندم، بينما الشريعة تبني كرامة الإنسان.
٧٠ / كيف نطبق الآية في زمن الفتن؟
· ١. طلب العلم الشرعي: لا يمكنك تمييز الهوى ما لم تعرف المنهج.
· ٢. الاتهام المستمر للنفس: لا تركن لرأيك إن عارض النص، بل اتهم هواك.
· ٣. الثبات على الثوابت: تذكر أن الله سمى مخالفة شرعه "جهلا ً"، فلا يغرك كثرة المتبعين أو بريقهم.

ثانياً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية) التطبيق المعاصر(

المحور الأول: درع الثبات

١٠ / رسالة ثبات أمام ضغوط الرأسمالية والهيمنة الدولية
· في ظل محاولة صياغة "دين عالمي جديد" تحت مسميات حقوق الإنسان والحداثة، الآية تقول لك: لا تنخدع .ما يسمونه "قيماً عالمية" قد يكون في ميزان الوحي "أهواء جاهلية" .الحق لا يُعرف بـ القوة المالية والعسكرية، بل بالوحي.
· تغيير المصطلحات: عندما يصفون حدود الله بـ"الهمجية"، تعيدك الآية لوصفهم:} لَا يَعْلَمُونَ .{هذا الوصف يسلبهم سلطتهم الأخلاقية في قلبك، ويحميك من الهزيمة النفسية .القوانين قد تتبدل، و الموازين قد تتغير، لكن} شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ {تظل الثابت الوحيد.
٢٠ / الموازنة بين العلم والعمل والتميز) لا مرونة في الثوابت(
· التميز المنهاجي: نأخذ منهم علوم المادة النافعة، ونرفض "أهواءهم" في التشريع والأخلاق .التميز هنا ليس عزلة، بل تميز في المصدر والمنطلق.
· صلابة الثوابت:} فَاتَّبِعْهَا {تعني أنه لا مجال لتنازل عن قطعيات الدين لإرضاء جهة دولية .مرونتنا في الفروع والوسائل، أما الغايات والثوابت فربانية، لا تملك البشرية حق تعديلها.
٣٠ / الشريعة منهج حياة شامل) الانفصال الشعوري عن الجاهلية(
· الشريعة ليست أحكاماً جامدة، بل "مورد ماء" يسقي الاقتصاد ليكون عادلا ً، والسياسة لتكون رحمة .الثبات يقتضي انفصالا ً شعورياً؛ ألا تشعر بالدونية أو الخجل من دينك .معايير "الصح و الخطأ" من الوحي، لا من الموضات الفكرية الحديثة.
٤٠ / ملخص المعادلة الصعبة: الاتباع نجاة والهوى هلاك
· طريق الاتباع) النجاة(: وعر، مليء بالضغوط، يحتاج مجاهدة، لكنه ينتهي بـ"مورد الماء".
· طريق الهوى) الهلاك(: سهل، ومتاح، ومسايرة للأقوياء، لكنه هلاك للروح، وضياع للآخرة، وتفكك للمجتمعات.

المحور الثاني: أهم الدروس في حياتنا العملية

١٠ / وجوب اتباع المنهج الرباني) الاستسلام الواعي(
· اجعل مراد الله البوصلة .في المال) أين رضا الله؟(، وفي الخلافات الأسرية) ماذا يريد الله مني؟ .(هذه "سيادة الوحي" في حياتك .العقل أداة فهم، والواقع وعاء للتطبيق، لكن الحكم لله.
٢٠ / مخالفة أهل الجهل والثقافات الهدامة) التحصين الفكري(
· طبّق قاعدة "فلترة" .في كل ما تشاهد وتسمع، اسأل: هل هذه القيمة توافق الشريعة؟ إن خالفتها فهي هوى وخراب، مهما لُمّعت .ربّ أبناءك على هذا الميزان .التحضر ليس تقليد الغرب في رذائله، بل في إبداعه مع الحفاظ على طهرك.
٣٠ / كمال الدين وشرفه) الاعتزاز لا الانبهار(
· من كان لديه "مورد الماء" لا يلهث خلف السراب .هذه الآية تملؤك ثقة واستعلاء إيمانياً، أن دينك يملك حلولا ً جذرية لمشاكل البشرية .لا تخجل من الحجاب والحدود والميراث .أنت تحمل "الحل"، وغيرك يعيش "الأزمة".

المحور الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية

١٠ / الطاقة النفسية) التحرر واليقين(
· اتباع الشريعة يحررك من عبودية الناس والموضات) أنت حر لأنك عبد لله .(هذا يصنع طمأنينة عظمى .حين تتخذ قراراً موافقاً للشرع، تطمئن نفسك وتزول وساوس التردد .أما متبع الهوى فقلق متوتر .طاقة الطمأنينة هي وقود الإبداع، فالنفس المطمئنة تعمل بإتقان وتحفر في الصخر.
٢٠ / الطاقة الفكرية) الوضوح والفلترة(
· الآية تمنحك "فلتراً فكرياً" .أي فكرة تدخل عقلك تُعرض فوراً على "الشريعة" .ما وافقها قبلناه، وما خالفه لفظناه .هذا يحمي من الشتات الفكري والتيه في مذاهب معاصرة .يصبح عقلك منظماً، نقدياً، واثقاً، لا ينبهر بكل ما يلمع .هذا هو أساس البناء الفكري الحضاري.
٣٠ / الطاقة التربوية) الانضباط والمسؤولية(
·} فَاتَّبِعْهَا {تغرس فيك أعظم قيمة: الانضباط الذاتي .حياتك ليست فوضى .أنت إنسان منهج .تلتزم بمواعيدك، تتقن عملك، تؤدي حقوقك، لا لأن عليك رقيباً بشرياً، بل لأن عليك رقيباً إلهياً .هذا يبني المواطن الصالح الذي هو نواة الإصلاح الحضاري.
· كيف نحولها لطاقة بناء حضاري؟
مجتمع أفراده: نفسياً مطمئنون) مبدعون(، وفكرياً واضحون) ناقدون(، وتربوياً منضبطون)متقنون(، هذا المجتمع لا بد أن يبني حضارة .التاجر الأمين، والمعلم المخلص، والموظف المتقن، كلهم يصبون في نهر الحضارة، ويرفعون الأمة لتتبوأ مقعد القيادة.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

١٠ / التنمية بالماء) الشريعة كمورد حياة(
· كما أن الماء أصل الحياة، فالشريعة أصل الحياة الحضارية .لا تنمية حقيقية على أرض أخلاقية خراب .التنمية الاقتصادية القائمة على الربا والغش، هي وبال .أما التنمية المستسقاة من "الشريعة" فتقوم على العدل والتراحم والبركة .هذه هي التنمية التي تحيي الأمم.
٢٠ / بناء الإنسان قبل بناء العمران
·} ثمّ جَعَلْنَاكَ {قبل} فَاتَّبِعْهَا . {هذا ترتيب إلهي: أولا ً بناء الهوية، ثم التكليف .التنمية الحقيقية تبدأ من بناء الإنسان: عقيدته، فكره، أخلاقه .الاستثمار في إنسان معتز بدينه، حامل رسالة، هو أعظم رأسمال قبل بناء الأبراج الشاهقة.
٣٠ / الانضباط المؤسسي) منهج وليس فوضى(
·} شَرِيعَةٍ {تعني منهجاً واضحاً .هذا يفرض على أي مشروع حضاري أن يقوم على قوانين وأنظمة وإجراءات واضحة تشتق من الشريعة .المؤسسات الناجحة تتبع منهجاً، فكيف إذا كان المنهج من رب العالمين؟ هذا يضمن العدالة، ويسد أبواب الفساد، ويحقق الشفافية.

المحور الخامس: كيف نعيش الآية في واقعنا المعاصر

· في تعاملك مع التقنية والسوشيال ميديا:
· استحضر} فَاتبِعْهَا . {كل منشور، كل تعليق، كل فيديو، اسأل: هل هذا مما يرضي الله؟ هل أنا أتبع الشريعة أم هوى النفس ورغبة في الجدال والرياء؟ انشر الخير، وارفض أن تكون مكبر صوت للأهواء . أنت صاحب رسالة، لا تابع.
· في حياتك المهنية:
· أنت لست موظفاً عادياً، أنت "مجعول على شريعة" .إتقان العمل، الأمانة، رفض الرشوة، كلها عبادة ومجال للاتباع .بذلك تقدم نموذجاً للإسلام يبهر العالمين، نموذجاً يقول: هذا هو ثمرة اتباع الوحي.
· في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة) الإلحاد والعدميّة والإباحية(:
· هذه هي "أهواء الذين لا يعلمون" بعينها .لا تجادلهم بمنطقهم العدمي، بل قدّم لهم "الماء" الذي معك .أنت تعرف معنى الحياة، وهدفها، وطريقها .هذا اليقين هو سدك المنيع .ذق طعم الاتباع يَعِفّ غيرك عن مرارة الأهواء.
· في التعامل مع النظام العالمي:
· لا تنتظر رضاهم .الآية تخبرك أنهم "لا يعلمون" .لا تبرر لهم، ولا تنكسر .ابن اقتصادك بقيمك، واضبط مجتمعك بأخلاقك .هذا إعلان استقلال حضاري عن كل نموذج لا ينبع من الوحي.

الخلاصة العملية: حان وقت النهوض
أيها القارئ الكريم، لقد بلغك النداء كاملا ً .إنها ليست مجرد آية، بل هي درعك، وهويتك، وخريطة نجاتك .تشرفت بـ "الجعل"، وأعطيت "مشروع الماء"، وأمرت بـ "الاتباع"، وحذّرت من "الأهواء" . انهض الآن، انفض عنك غبار التبعية، واملأ قلبك عزة بهذا الدين .ليكن شعارك: "اللهم إني جُعلت على شريعة من الأمر، فأعني على اتباعها، وجنبني أهواء الجاهلين" .امض، فالعالم ينتظر من يروي ظمأه، وأنت من تحمل الماء
ثانيا
أخي، أختي،
بعد أن تشربتَ معاني الاصطفاء في الآية الثامنة عشرة، وأحسستَ بعظمة أن جعلك الله على شريعة من الأمر، وبلغتك أوامر الاتباع ونواهي الاغترار بالأهواء، تأتي الآية التاسعة عشرة لتكون لك سوراً من حديد، ودرعاً من نور، وسنداً لا يتزعزع. إنها الآية التي تُسقط من قلبك الخوف من الباطل، وتجذّر في روحك "حتمية الانتصار" ما دمت على الحق. اسمها آية الأمان، آية الكفاية، آية إعلان الحرب على الخوف. توقف وتأمل، إنها تخاطبك أنت الآن، لتنتشلك من أي تردد يعتريك، وتلقم حجراً في فم كل ضعف يتسلل إلى نفسك. يقول الله جل جلاله:

{إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} (الجاثية: 19).

لكأني بالله العظيم يهزّ كيانك هزاً لطيفاً، ويمسح على قلبك قائلا ً: "اطمئن، فنعم المولى ونعم النصير". إنها آية تنسف كل منطق القوة المادية الزائفة، وتعيد تعريف القوة الحقيقية. فلنغص في بحر معانيها، ولنعش مع كل حرف فيها، وكأنها ضمان من السماء لك وحدك بأن المستقبل لهذا الدين ، وأمان لمن سار على دربه.

المقدمة والتفسير العام

بعد أن أمر الله تعالى نبيه والمؤمنين باتباع الشريعة وترك أهواء الجاهلين، جاءت هذه الآية لتعالج الآثار النفسية والواقعية لهذا الأمر في ساحة الصراع مع الباطل. كأن سائلا ً يسأل في نفسه أو في الواقع: "ولكن يا رب، إن تركنا أهواءهم، وعاديناهم باتباع الشريعة، فسيجتمعون علينا، وسيمكرون بنا، ولهم القوة والمال والعدد، وقد يؤذوننا!".
فتأتي الآية الكريمة لتجيب على هذا الهاجس بثلاث ضربات قاضية على الشيطان وأوليائه:
الضربة الأولى: {إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا}. كل قوتهم لا تساوي شيئاً أمام إرادة الله. إن أراد الله بك خيراً، فلا يمكنهم منعه، وإن أراد بهم سوءاً، فلا يمكنهم دفعه عن أنفسهم، فكيف عنك ؟

الضربة الثانية: {وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض}. لا تنخدع باجتماعهم وتحالفهم وتكتلهم، إنها سنة كونية: الظلمة يتناصرون فيما بينهم، لكن تناصرهم هذا هو علامة ضعفهم وجبنهم، وليس علامة قوة.
الضربة الثالثة (القاضية): {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}. المعادلة واضحة: هم أولياء بعضهم بعضاً، وأنت وليك الله. فشتان بين ولاية الفاني المخذول، وولاية الحي القيوم الجبار. إنها الآية التي تفهمك أن الصراع ليس بينك وبينهم، بل بين ولايتهم الشيطانية وولاية الله الربانية التي أنت في كنفها. إنها آية ترسم استراتيجية الصمود، وأساس الأمن النفسي، وكنز الثبات للمسلم المعاصر.

أولا ً: التحليل

المحور الأول: تحليل (إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا) – إعلان الحاكمية المطلقة وبطلان كل مبرر للتنازل

· لماذا افتتحت الآية بهذا النفي القاطع؟ وما علاقته بسياق "الحاكمية" وعدم الخروج عن الشريعة؟
· الجواب الذي يملأ القلب يقيناً: إنها القاعدة الذهبية لثباتك. افتتحت الآية بهذا الهجوم العنيف على وهم القوة عند أصحاب الأهواء. كأن الله يقول لك: "يا عبدي، إن راودوك عن شريعتك بمال، أو بمنصب، أو بتهديد، فتذكر أنهم {لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا}. إن فعلت، فلن يقدروا على حمايتك من عقاب الله. وإن أبيت وثبَتَ، فلن يقدروا على أن يضروك بشيء لم يقدره الله عليك".
· هذه الآية هي صك إعلان الحاكمية المطلقة لله. لا يجوز التنازل عن الشريعة مهما كانت المبررات، لأن النفع والضر بيد الله وحده. إن خفت من فقدان رزق، أو من سجن، أو من تشويه سمعة، فاعلم أن الذي رزقك وحفظك وأعزك هو الله، وهم لا يملكون من ذلك شيئاً. الله هو مصدر النفع والضر، لا هم. فعلامَ التنازل؟ علامَ تطلب رضاهم بسخط الله، وهم لا يُغنون عنك من الله شيئاً؟
· لا يجوز الخروج عن الشريعة مهما كانت المبررات:
· الآية تضع سداً منيعاً أمام أي مبرر يقدمه ضعاف النفوس لتبرير التفريط في الشريعة. هل تقول: "نضطر للتنازل قليلا ً لنكسب قلوب الناس"؟ الآية ترد: وما قيمة كسب قلوبهم إن خسرت قلب الله؟ هم لا يملكون لك نفعاً ولا ضراً. كل المبررات (الضرورة، المصلحة، كسب الود، الخوف) تسقط سقوطاً مدوياً أمام {لَن يُغْنُوا}.
· وقفة صمود وشموخ: يجب عليك أيها المؤمن أن تقف صامداً بهذه الآية، شامخاً بأنفك، لا تتأثر برغبات المنحرفين وأهوائهم، لأنك تعبد من يملك كل شيء، وهم لا يملكون شيئاً. إنه الاستعلاء الإيماني الذي يحررك من الخوف من الفاني.
· لا مرونة ولا انفتاح في أصول الشريعة والثوابت من العقيدة:
· الآية تخاطب في صميم القضية: لا تنازل عن الشريعة لترغيب الناس في الإسلام! البعض قد يظن أن تجميل الإسلام بتغيير أحكامه (كتحليل ما حرم، أو تبرير ما أنكر) يقرّب الناس. الآية تصرخ: لا! {لَن يَغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا}. هدايتهم بيد الله، وليس بتعديلك للدين. لا مرونة في الثوابت، ولا انفتاح في أصول العقيدة، لأن مصدر الدين هو الله، وأنت عبد محض، لا تملك حق التعديل، خاصة وأنهم لن يستطيعوا أن يحموك من عقاب الله إن فعلت.

المحور الثاني: تحليل (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) – فقه القوة والضعف

· ماذا تعني ولاية الظالمين بعضهم لبعض؟ وكيف تفهمها فهماً استراتيجياً؟
· الآية تشير إلى حقيقة كونية: تجمع الأشرار وتظافرهم ليس دليل قوة، بل هو دليل طبيعة. الذئاب تصطاد في قطعان، ليس لأنها شجاعة، بل لأنها جبانة بطبها. الظالمون، والمنحرفون، وأصحاب الأهواء، يتناصرون ويشكلون أحزاباً وجماعات ضغط، لأن باطلهم لا يقوم إلا بالتآزر. إنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم على باطل، فيعوضون ضعف حجتهم بقوة تجمعهم.
· وماذا تستفيد أنت من هذا التحليل؟
لا تنبهر أيها المؤمن بتحالف قوى الشر والضلال في العالم. سواء تجمعوا في منظمات دولية، أو تكتلات اقتصادية، أو لوبيات إعلامية، لفرض أجنداتهم المنحرفة ومحاربة الشريعة، فتذكر: هذا هو شأنهم. هم ضعفاء بلا ولاية الله، فاجتمعوا لظنهم أن الاجتماع بقوة. هذا التحليل النفسي للآية يزيل الهيبة الزائفة لهم من قلبك.
· أصحاب الهوى ضعفاء لا يقدرون على الوقوف أمام مشيئة الله:

· الآية تبين لك أن أصحاب الهوى، مهما تعاضدوا وتساندوا، هم في نهاية المطاف ضعفاء عاجزون. لا يقدرون على رد مشيئة الله عن أنفسهم، فكيف عنك؟ تجمعهم هو ستار لضعفهم. هم يخافون من الحق الذي تحمله، فيصدون بكل ما أوتوا من قوة. لكن قوتهم هذه لا تساوي عند الله جناح بعوضة. فلا ترهبهم، ولا تحفل بهم. إن الله يمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

المحور الثالث: تحليل (والله ولي المتقين) – نبع الأمان وسر القوة

· لماذا وُصف الله بأنه "ولي المتقين" في هذا المقام بالذات؟
· هذا هو الدرس الأعظم في الآية. بعد أن ذكر أن الظالمين يتولى بعضهم بعضاً، يقرر أن وليك أنت هو الله. من هو الولي؟ هو الناصر، والمتولي للأمر، والمحب، والمدبر، والحافظ. الله لم يقل "و الله قوي" مع أنه سبحانه القوي، بل قال {وَلِيُّ} ليشعرك بالأمان والحب والقرب. إنها ولاية خاصة، مشروطة بـ "التقوى".
· كيف يتحقق لك هذا المفهوم عملياً؟ عنصرا الثبات والصمود:
· الآية تجعل من "التقوى" و"الإيمان" و"التزام منهج الله" عنصري الثبات والصمود على الحق. فأنت لست ولياً لله فحسب، بل الله هو وليك أنت. أنت في كنفه ورعايته. كلما التزمت بالشريعة التي جعلك عليها، واتبعت أمر ربك، وخالفت أهواء الجاهلين، فأنت في أعلى درجات التقوى، وهنا تكون ولاية الله لك في أسمى صورها. الله يتولى رعايتك، ويحفظك من أعدائك، وهم أضعف من أن يؤذوا أولياء الله إلا بما هو خير لهم في الدنيا والآخرة.
· لا تخش تعاضد وتجمع وتساند أصحاب الأهواء:
· الآية تلقنك درساً عملياً لتطرده من عقلك الباطن: لا تخشَ اجتماع الظالمين ضدك. لماذا؟ لأنك محمي بولاية الله. أن تراقب الله في أقوالك وأعمالك، وتعيش التقوى، فأنت بذلك في الحصن الحصين. هم يعتمدون على بعضهم (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض)، وأنت تعتمد على ملك الملوك (والله ولي المتقين). أيعقل أن تخاف كتلة الطين من صخرة الجبل؟ أنت وهويتك الإسلامية أقوى بكثير من تحالفاتهم، لأن ولايتك من القوي المتين.

ثانياً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية (التطبيق المعاصر)

هذه الآية ليست للاستئناس فحسب، بل هي برنامج تدريبي لبناء الشخصية المسلمة الصامدة، وإليك التفاصيل.

المحور الأول: دروس الثبات والصمود (هزيمة الخوف من الباطل)

· ١/ إعلان الاستغناء التام عن قوة البشر (نداء الحرية):
· الآية تعلمك أن تعيش حراً بالله. أنت لا ترجو نفعهم، ولا تخشى ضرهم. انظر إلى من يهددك بقطع رزقه أو سلطانه، وقل بقلبك: {لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا}. هذا الشعور يحررك من كل ضغط، ويجعلك تقف على أرض صلبة. كنتَ تظن أن القوة في يدهم، فجاءت الآية لتُريك أنها ليست كذلك! النفع والضر كله بيد الله. هذا الإدراك يصنع منك عملاقاً لا ينكسر.
· ٢/ إعادة تعريف القوة (منطق الإيمان مقابل منطق المادة):
· العالم يقول: القوة في المال والعدد والتكنولوجيا. والآية تقول: القوة في ولاية الله. الظالمون يتجمعون لأنهم ضعفاء (منطق الذئاب)، أما أنت فقوي لأن وليك هو الله (منطق الليث الفرد). لا تقيّس قوتك بمقاييسهم. قوتك في إيمانك، في صلاتك، في تقواك. لأن مصدر قوتك هو الله، ومصدر قوتهم هو بعضهم البعض، والفرق بين المصدرين كالفرق بين الخالق والمخلوق.
· ٣/ صمام أمان من الذوبان في الضغوط الدولية:
· عندما تضغط عليك المنظمات العالمية لتغيير أحكام الإسلام بحجة "مواكبة العصر"، فأنت تعلم أنهم {ظَٰلِمِينَ} تحالفوا على الباطل. اجتماعهم هو استجداء قوة بعضهم البعض، بينما أنت تستمد قوتك من رب العالمين. أنت تملك من القوة الذاتية المستمدة من الله ما لا يملكونه. هذه الآية تمنحك "حصانة نفسية" ضد عقدة النقص أمام الغرب، وتجعلك تنظر إلى هذه الضغوط على أنها هزيلة، لأنها لا تملك من الله شيئاً.

المحور الثاني: الثبات على الحاكمية ورفض التنازلات (لا مساومة في الحق)

· ١/ لا تفريط بالشريعة مهما كان المقابل:
· الآية تقول لك بكل وضوح: لا تترك جزءاً أو كلا ً من الشريعة من أجل أمر مادي (مال، تجارة، وظيفة) أو معنوي (منصب، شهرة، قبول اجتماعي). لأن المقابل لا قيمة له. أولئك الذين تساومهم أو تخافهم، لن يستطيعوا أن يمنعوا عنك عذاب الله. ما قيمة أن تكسب الدنيا وتخسر الآ خرة؟ الآية تجعل كل تنازل عن الشريعة صفقة خاسرة، لأن ما ستأخذه من الخلق هو شيء تافه، وما ستخسره من الله هو كل شيء.
· ٢/ لا ترغيب في الدين بتخفيف الثوابت:
· بعض الناس قد يفكر: "لنجعل الإسلام أكثر 'مرونة' في قضايا المرأة أو الميراث أو الحدود أو الجهاد كي نقبل الناس عليه". الآية تصمّ أذنيك عن هذا المنطق المريض. أنت لا تملك أن تغير دين الله. هم إن أسلموا، فلن يدخلوا بفضل "مرونتك"، بل بفضل الله واتباعهم للحق كما هو. أما أن تنتج ديناً مشوهاً ليرضى عنه الكفار، فهم ورب الكعبة {لَن يَغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا}، بل سيزيدونك إذلالا ً، لأنهم يعلمون أنك تنازلت عن مبدئك.
· ٣/ رفض منطق "الغاية تبرر الوسيلة" في نشر الدين:
· الغاية (نشر الإسلام) لا تبرر وسيلة (التفريط ببعض الشريعة). لأن النتيجة حينها لن تكون الإس لام الذي أراده الله. لا توسل إلى الله بمعصيته. يمكنك أن تدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، لكنك لا تقدم تنازلات في الثوابت. أنت ولي الله، وهو يتولى نصر دينه، وليس بحاجة إلى "تنازلاتك" ليدخل الناس في دينه أفواجاً.

المحور الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية وتحويلها إلى طاقة بناء

· أ. الطاقة النفسية (الشجاعة والطمأنينة والتحرر من الخوف):
· هذه الآية تمنحك جرأة عجيبة. الخوف من المستقبل، من الفشل، من كلام الناس، من المكر... كلها تتبخر أمام {إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا}. تصبح شجاعاً في الحق، لا تأخذك في الله لومة لائم. تطمئن نفسك وتستقر، لأنك تعرف أن النتائج بيد الله، لا بيد عبيده. هذا يحررك لتكون فعالا ً، مبدعاً، لا تثبطه التهديدات، ولا تشغله المؤامرات. أنت في ولاية الله، فعلامَ الخوف؟!
· ب. الطاقة الفكرية (النظرة الثاقبة للواقع):
· الآية تصنع لك عقلا ً استراتيجياً. تعطيك "عدسة تحليل" جديدة للواقع السياسي والاجتماعي. عندما ترى تحالف قوى الشر والعلمنة ضد الإسلام، لا تقل: "آه، لقد أصبحوا أقوياء!"، بل تقول (بفقه الآية): "إنهم ضعفاء ويتجمعون لستر ضعفهم، هذه سنة الله في الظالمين". هذا الفهم يمنعك من الهزيمة الفكرية، ويجعلك تقرأ المشهد العالمي قراءة إيمانية صحيحة، تملؤك ثقة بأن جبهة الباطل هشة، لأنها لا تملك ولياً كوليّ الحق.
· ج. الطاقة التربوية (الانضباط تحت مظلة التقوى):
· الآية تربط النصر والولاية بصفة {المتقين}. هذا يغرس في النفس أن طريق القوة والتمكين ليس بالأماني ولا بالتجمعات، بل بالتقوى. تربية النفس على مراقبة الله والخوف منه هي الضمانة الوحيدة لتنزل ولايته عليك. كل خروج عن الشريعة ليس مجرد خطأ، بل هو خروج من "مظلة التقوى"، وبالتالي خروج من "منطقة الأمان الإلهي". هذه الطاقة التربوية تجعلك مقيماً على الصراط، حريصاً كل الحرص على أن تكون تحت ولاية الله.

المحور الرابع: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

· ١/ بناء القوة على أساس اليقين:
· التنمية والقوة لا تبنى على العدد والعدة فقط، بل تبنى على يقين {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}. مجتمع مؤمن بهذه الآية، هو مجتمع لا يمكن هزيمته، لأنه يستمد قوته من إيمان راسخ بأن الله ناصره ووليه. هذا اليقين يولد طاقات إبداعية هائلة، لأنه يحرر العقل من الخوف، ويدفعه للإنتاج والعمل دون وجل من المستقبل.
· ٢/ بناء المؤسسات على الولاية الإيمانية لا على المصالح الفانية:
· تحالفاتهم قائمة على المصالح المادية (بعضهم أولياء بعض لأجل الدنيا)، وهي تحالفات هشة سرعان ما تنهار. أما أنت، فتبني مجتمعاً متماسكاً قائماً على "ولاية الله" بالمحبة فيه والطاعة. هذا الرباط أقوى من كل روابط الدم والمال والعرق. ابن مؤسستك على التقوى، واجعل رابطتها العمل

من أجل مرضاة الله، عندها فقط ستكون مؤسسة مباركة قوية، لأن الله وليها ومولاها.
· ٣/ التنمية بالأمان النفسي:
· مجتمع يعيش أفراده في خوف من المستقبل، ومن الأعداء، هو مجتمع مشلول. الآية تمنح مشروعاً تنموياً فريداً هو "الأمان النفسي". عندما يعلم كل تاجر، وكل مزارع، وكل موظف أن رزقه بيد الله، وأن أعداءه لن يغنوا عنه من الله شيئاً، وأن الله وليه بتقواه، فإنه ينطلق في العمل بقوة وثقة، يضاعف الإنتاج، ويبدع، لأن عقله وقلبه تفرغا للبناء بعد أن حررتهما الآية من الخوف.

المحور الخامس: كيف نعيش الآية في واقعنا المعاصر

· في مواجهة الحروب النفسية والإعلامية:
· تشن عليك الحروب النفسية لتحطيم معنوياتك، ولجعلك تشعر أنك أمة مهزومة، وأن القوى العالمية تستطيع أن تفعل بك ما تشاء. رد عليها بهذه الآية. قل لهم بلسان الحال والمقال: أنتم لا تغنون عني من الله شيئاً! الله رازقي، وهو حافظي، ونيتي لله لا لكم. هذا الدرع النفسي يحبط كل حرب إعلامية تستهدف إيمانك.
· في ساحات الجهاد (بالكلمة والسنان والقلم):
· أنت تجاهد بالحق في وجه باطل متجذر له أتباع وأحزاب. قد تشعر بالغربة وقلة النصير. اقرأ {وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}. أنت لست وحدك، وليك هو الجبار. تجمعهم لن يخيفك. استمد قوتك من كونك من جند الله، وهم من جند الشيطان. والغد للتقوى ولأ هلها.
· في الثبات على المبدأ وسط الفتن:
· في زمن اختلطت فيه الحقائق، وقد يُعرض عليك تنازلات مغرية لترك شيء من دينك (كخلع الحجاب، أو أكل الربا بحجة الضرورة، أو السكوت عن منكر بحجة عدم إثارة البلبلة)، استحضر اسم الآية في قلبك: "إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً". هل سيدفعون عنك في القبر؟ هل سيحملون عنك من أوزارك يوم القيامة؟ الجواب: لا. إذاً، تمسك بشريعتك، فالله هو الولي الناصر، وهو المعز المذل. إذا اعتصمت بالله، فقد استمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

الخلاصة: دستور العزة والتمكين

أخي، أختي،
لتكن هذه الآية سلواك في الوحشة، وقوتك في الضعف، ويقينك في الشك. لقد بنى الله لك ملجأ حصيناً بهذه الكلمات. حصن من حديد الإرادة، ألا وهو "لن يغنوا عنك من الله شيئاً". وطمأنك بتجمعهم بقوله "وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض". وأسندك بولايته العظمى "والله ولي المتقين".

انهض الآن، ولا تلتفت. أنت الأقوى بإيمانك. أنت الأعز بتقواك. أنت في حرز الله. لا تبيع دينك بدنيا غيرك، ولا تفرط بشريعتك من أجل بشر لن ينفعوك. كن متقياً، تكن ولياً لله. كن متبعاً للشريعة، تكن في كفالة مالك الملك. هذا وعد الله، ولن تجد لوعد الله تبديلا ً.
المبحث الثالث
أهلا ً بك أيها المتعطش لنور الوحي، وأيها الباحث عن كنوز الهداية. أقسم لك أننا الآن أمام آية ستجعل قلبك يفيض نوراً، وعقلك يمتلئ يقيناً. بعد أن شرفك الله بالآية 18 بأن جعلك على شريعة من الأمر، وبعد أن حصنك بالآية 19 بأنه ولي المتقين وكفى بك بالله وكيلا ً، تأتي الآية العشرون لتضع بين يديك "الكنز" الذي به تسير، و"النور" الذي به تبصر، و"الراحة" التي بها تسعد. إنها الآية التي تجيبك عن سؤال: "يا رب، قد عرفت الشريعة وعرفت أنك وليي، فما هو زادي في طريقي إليك؟". الزاد هو القرآن. اسمع النداء الرباني وهو يخاطبك:

}هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) {الجاثية:.(20

تخيل أن الله يمسك بيدك ويقول لك: "هذا كتابي، وهذا منهجي، وهذه نجاتك. لا تبحث عن بصائر في مكان آخر، ولا تلتمس الهدى في مدرسة غير مدرستي، ولا تنتظر رحمة من مصدر غير مصدري". إنها آية تحوي صفات القرآن الثلاث التي لا تستقيم حياتك بدونها: بصائر، وهدى، ورحمة. فلنغص معاً في أعماق هذه الصفات، ولنستخرج منها طاقة حياة، ووقود مسيرة.

المقدمة والتفسير العام

بعد أن بيّن الله تعالى في الآيات السابقة انتقال القيادة إلى هذه الأمة، وجعلها على شريعة من الأ مر، وأمرها باتباعها ونهاها عن اتباع أهواء الجاهلين، وبعد أن أكد لهم كفايته وولايته للمتقين منهم، يأتي هذا الخطاب ليعرّف بنفسه ويبرز الحجة. إنها الآية التي تشير إلى القرآن العظيم، وتصفه بثلا ث صفات متدرجة: {بَصَائِرُ} وهي الأساس، {وَهُدًى} وهي الثمرة، {وَرَحْمَةٌ} وهي الذروة والغاية. الإ شارة بـ {هٰذَا} تفيد التعظيم والقرب. يقول الله: هذا القرآن الذي نزّلناه عليك هو نور يبصر به الناس الحقائق، ويميزون به بين الحق والباطل، وهو دليل يقودهم إلى الصراط المستقيم في كل شأن من شؤون الحياة، وهو فوق ذلك رحمة خاصة عظيمة تحل على قلوب الموقنين، فيذوقون بها السعادة والطمأنينة والراحة في الدنيا والآخرة. إنها إعلان عن كفاية هذا الكتاب؛ فمن أخذه أخذ بسبب وثيق، ومن تركه تخبط في الظلمات.

أولا ً: التحليل

المحور الأول: تحليل (هذا بصائر للناس) – زاد المعرفة والنور

· لماذا سمي القرآن "بصائر" ولم يسمّ "بصيرة" واحدة؟ وما الفرق بين البصر والبصيرة؟
· انتبه أيها المؤمن! الله لم يقل "هذا بصيرة"، بل قال} بَصَائِرُ {بصيغة الجمع .هذا الجمع ليس للعدد فحسب، بل هو للتنوع والسعة .فالقرآن بصائر متعددة، فهو بصيرة في العقيدة، وبصيرة في الشريعة، وبصيرة في الأخلاق، وبصيرة في بناء الحضارة، وبصيرة في التعامل مع النفس والآخر و الكون .إنه يمنحك "قدرة على الرؤية الشاملة" لكل مجالات الحياة.
· أما الفرق بين البصر والبصيرة: فالبصر هو رؤية العين للظواهر والأجسام، أما البصيرة فهي رؤية القلب للحقائق والأعماق .قد تبصر بعينك المالَ، لكن بصيرتك من القرآن تريك أنه فتنة .قد تبصر الشهوة، لكن بصيرتك تريك عواقبها .القرآن يمنحك "بصائر" أي عيوناً متعددة للقلب، تبصر بها ما خفي، وتفهم بها ما استعصى .هو نور يبدد ظلمة الجهل، وظلمة الشهوة، وظلمة الشبهة.
·} لِلنَّاسِ {: تأمل رحمة الله! البصائر ليست مقصورة على نخبة أو عرق أو زمان، بل هي للناس جميعاً، لكل البشر .وهذا فيه إعلان عالمية الرسالة، وإفحام لمن يزعم أن القرآن كتاب خاص .هو كتاب الحياة للجميع، لكن الانتفاع به مشروط بمزيد التقوى واليقين كما سيأتي.
· كيف يكون القرآن بصائر في حياتك العملية؟
· عندما تقرأ قصة يوسف عليه السلام، أتتعامل معها كقصة تاريخية؟ كلا، بل هي "بصيرة" في التعامل مع الشهوة، وفي الصبر على البلاء، وفي العفو عند المقدرة، وفي إدارة الأزمات الاقتصادية.
· عندما تقرأ أحكام الميراث، أتراها مجرد تقسيم رياضي؟ هي "بصيرة" في العدالة الاجتماعية، وفي حفظ المال، وفي تقوية الأواصر الأسرية.
· عندما تقرأ قوله تعالى:} إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ{، ألا تمنحك هذه الآية "بصيرة" تنظر بها إلى صخب الدنيا وزخرفها فتراها على حقيقتها؟ إنها بصيرة الفرقان التي تجعلك لا تنخدع بالقشور.
· الرسائل التربوية والنفسية من) بصائر(:
· نفسياً: هذا الوصف يمنحك شعوراً بالأمان الفكري .أنت لست تائهاً، بل معك "عدسات مكبرة ومضيئة" تكشف لك الخرائط .يملأك هذا ثقة في نظرتك للأشياء، فتصبح مستقلا ً بعقلك عن تبعية الآخرين، لأن بصيرتك من وحي السماء.
· تربوياً: القرآن ليس للقراءة المجردة، بل للتبصر .ربّ نفسك ومن حولك على أن تتعامل مع كل آية على أنها "عين" تبصر بها، لا مجرد حرف تهذ به .اسأل نفسك بعد كل آية: "ماذا أبصرتني هذه الآية؟".

المحور الثاني: تحليل (وهدى) – ثمرة البصائر

· لماذا عطف "الهدى" على "البصائر"؟
· الترتيب دقيق: البصائر هي الأداة، والهدى هو الثمرة .أنت بالبصائر تتعرف على الطريق، وبالهدى تسير فيه .البصائر تريك الحق، والهدى يجعلك تتبعه .البصائر تنير العقل، والهدى يوجه الإرادة .إنهما جناحان لا يطير بهما المؤمن إلا معاً .كثير من الناس لديهم "بصر" لكنه بلا بصيرة، فلا يهتدون .

وكثيرون لديهم "معرفة" لكنهم بلا هداية، فلا يعملون .القرآن يجمع لك الأمرين: يريك النور، ويجعلك تمشي فيه.
· ما معنى الهدى هنا؟
· الهدى هو الدلالة والبيان والتوفيق .فالقرآن يهديك إلى أقوم السبل في كل شيء .هو ليس مجرد "معلومات دينية"، بل هو "توجيه عملي" .يهديك في أزمتك، يهديك في اختيارك، يهديك في علاقاتك .إنه الصوت الإلهي الذي يقول لك:} فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا .{الهدى هو الإمساك بيدك لتسير على الصراط المستقيم دون أن تسقط في حفر الأهواء.
· وهنا إشارة عظيمة: الهدى شامل .يهديك للتي هي أقوم في الاعتقاد، والعبادة، والأخلاق، و المعاملات، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، بل هو هدى في كل شيء.
· الرسائل العملية من الهدى:
· إذا ضاقت بك السبل، وتقاطعت أمامك الخيارات، وتشعبت الآراء، فاعلم أن معك "الهادي" الذي لا يضل من تبعه .ارجع إلى القرآن لا كمتفرج، بل كمستهدٍ .قل: يا رب، اهدني من هذا القرآن . ستجد النور ينبثق في قلبك، والوضوح يزيل الحيرة .الهدى هو أن تضع يدك في يد الوحي، وتتركه يقودك حيث يشاء.

المحور الثالث: تحليل (ورحمة لقوم يوقنون) – الذروة والغاية

· لماذا خُصت "الرحمة" بـ "قوم يوقنون"، بينما البصائر "للناس" والهدى مطلق؟
· هنا يصل بنا التحليل إلى الذروة .البصائر للناس جميعاً: فالقرآن خطاب للعالمين، والجميع مدعوون للنظر فيه .والهدى أيضاً شأنه عام: فمن أراد الاهتداء وجد الطريق .أما الرحمة الحقيقية الكاملة، رحمة القلب والسكينة والطمأنينة، رحمة الانشراح واللذة بالقرآن، رحمة السعادة الأبدية، فهي لا تتنزل إلا على قلب خاص، هو قلب} قَوْمٍ يُوقِنُونَ.{
· اليقين هو الدرجة العليا من الإيمان، حيث لا شك يعتري القلب ولا ريب يخالجه .إنه الإيمان الذي صار كالمشاهدة .هؤلاء هم الذين جعلوا القرآن بصائر لهم فاهتدوا، فارتقوا في مراتب الإيمان حتى وصلوا إلى اليقين .عندها يتحول القرآن من مجرد "أوامر ونواهٍ" إلى "رحمة" .يصبح القرآن جنة معجلة لهم في الدنيا .يجدون في تلاوته لذة، وفي العمل به سعادة، وفي الابتلاء بأحكامه راحة .إنها الرحمة الخاصة التي تجعلك تحب التكاليف لأنها من حبيبك، وتستلذ البلاء لأنه قضاء الله فيك.
· كيف تعيش "رحمة" القرآن؟
· الرحمة هنا ليست مجرد مغفرة في الآخرة، بل هي حالة قلبية تعيشها الآن .عندما تقرأ آية وعيد للظالمين، تشعر برحمة الله بك إذ هداك .وعندما تقرأ آية رجاء، يمتلئ قلبك أملا ً .وعندما تقرأ آية تشريع، تشعر أنها صلة من الله، وأنه يحميك ويصونك .الإيقان يحول كل آية إلى نافذة رحمة .بعكس الجاهل الذي يرى أحكام الشريعة قيوداً، والمؤمن اليقن يراها رحمة، لأنها من أرحم الراحمين.
· الرسائل التربوية والنفسية من اقتران الرحمة بالإيقان:
· الآية تضع أمامك خارطة للتلذذ بالقرآن: إن أردت أن تكون حياتك رحمة، فازرع في قلبك يقيناً بالله وبوعده وبلقائه .اليقين هو "مغناطيس الرحمة" .بقدر ما يضعف يقينك، تثقل عليك التكاليف وتجف روحك .وبقدر ما يقوى يقينك، تجد القرآن أنيسك، وسلواك، وراحتك .الآية تدعوك للانتقال من مرتبة "الإيمان النظري" إلى "الإيقان القلبي"، لأن رحمة الله قريبة من المحسنين.

ثانياً: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟

المحور الأول: دروس الآية وكنوز العمل

١٠ / أولا ً: تكوين العقلية البصيرية) النظر بالقرآن(:
· حياتك العملية مليئة بالمواقف التي تحتاج فيها إلى "بصائر" .في تجارتك، هل تغش؟ البصيرة القرآنية تقول:} وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ .{في علاقاتك، هل تظن أن جمهور السوشيال ميديا هو المقياس؟ البصيرة تقول:} إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ .{أن تصبح "صاحب بصائر" يعني أن يكون مرجعك الأول والأ خير في تحليل الأحداث والأشخاص والمواقف هو الوحي .اجعل من الآيات عدسات تلبسها صباحاً لترى بها العالم كما يريد الله أن تراه.

٢٠ / الهدى في أتون الحيرة:
· نحن نعيش في زمن تتقاذفه الشبهات، وتضطرب فيه الثوابت .الآية تعدك بأن هذا القرآن هو "الهدى" الذي لا ينضب .عندما تحتار في قضية فقهية، أو في موقف أخلاقي معقد، أو في خطة مستقبلية، ارجع إلى القرآن لا فقط بنية التبرك، بل بنية الاستهداء .اقرأ بتدبر تبحث عن "كيف أتصرف؟"، وسيبعث الله لك في طيات الآيات نوراً يشرح صدرك للحق .الهدى هو أن تطمئن أن الله قد تكفل لك بالإجابة.
٣٠ / الرحمة ذوق وليست مجرد وصف:
· لكي تتذوق رحمة القرآن، لا تقرأه فقط بلسانك وعقلك، بل اقرأه بقلبك .ابحث عن اليقين .كيف تصل إليه؟ بالتأمل في خلق الله، وبالعمل بالعلم، وبالصبر على البلاء، وبملازمة الذكر .اطرق باب اليقين، سيطرق بابك الرحمة .ستجد أن الآية التي كانت تحذرك تصبح مصدر أمان، والآية التي كانت تأمرك تصبح مصدر قوة .ستصلي الفجر فتشعر أنها رحمة لا تكليف .ستصوم يوماً حاراً فتشعر بأن العطش رحمة .هذا هو الفرق بين إسلام العادة والإسلام اليقيني.

المحور الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

١٠ / بناء الإنسان على "الفرقان") البصيرة قبل الحركة(:
· الحضارات تنهض بأفراد مبصرين، لا بجماهير عمياء .مهمتك الأولى أن تبني في نفسك وفي الجيل الجديد "البصيرة" .علم الشباب ألا يستهلكوا المحتوى، بل أن يغربلوه .ألا يقلدوا الموضات الفكرية، بل أن يحاكموها للقرآن .هذه البصائر هي الركيزة الأساسية لبناء مجتمع مستقل الفكر، لا محض تابع.
٢٠ / بناء المنهج المتكامل) الهدى الشامل(:
· التنمية ليست اقتصاداً فقط .التنمية هي هدى في كل شيء .الآية تخبرك أن معك هدى شاملا ً .ابن مشاريعك، ونظم حياتك، على هذا الأساس الشامل .لا تستورد حلولا ً جاهزة من أناس لا يعلمون، بل ابحث عن الهدى في كتابك .سيمنحك حلولا ً في المال والسياسة والإعلام والتربية، لأ ن ربك لا يضل ولا ينسى.
٣٠ / غاية التنمية: رحمة الله والسعادة الإنسانية:
· تنميتنا ليست لزيادة الناتج المحلي فحسب، بل لننال "رحمة الله" في الدنيا والآخرة .غاية بناء الإنسان هي أن يكون من} قوْمٍ يُوقِنُونَ {فتحل عليهم البركات والرحمات .عندما يكون هدفك من التطوير هو إرضاء الله، تتحول رحلتك في الحياة من جهاد مضن إلى متعة وسعادة.

المحور الثالث: كيف نعيش الآية في واقعنا المعاصر

· في مواجهة حرب الشبهات:
· كل شبهة تواجهك هي فرصة لتستخدم "بصيرتك" .الشبهة تطرق عقلك، فسلط عليها بصيرة من القرآن .إنكار السنة؟ القرآن يقول:} وَمَا آتاكمُ الرّسُولُ فَخُذُوه .{الشك في وجود الله؟ القرآن يقول: }أفِي اللهِ شَكٌ .{كلما استخدمت بصيرة، قويت بصيرتك .كن صاحب منهج، لا تلتقط الفتات من هنا وهناك، بل رد كل شيء إلى نور الوحي، ترى الحق جلياً.
· في صناعة اليقين بعيداً عن الضوضاء:
· يقينك هو مشروع حياتك .لا يكفي أن تقول "أنا مؤمن"، بل اسعَ لتكون من "الموقنين" .كيف ذلك في عصر الضوضاء؟ بالعزلة الإيمانية اليومية .خذ نصيباً من خلوة بالقرآن، تذوق حروفه، وناج ربك بها .ابكِ بين يديه بآية، وافرح بأخرى .هذا هو مختبر اليقين .ابْنِ يقينك بناءً صحيحاً، وساعتها فقط تتحول كل ضغوط الحياة إلى رحمة، لأنك ترى يد الله فيها.

الخلاصة: النور الكامل في صفات ثلاث

أخي، أختي،
لقد منحك الله في هذه الآية دستوراً للنظر (بصائر)، ودستوراً للحركة (هدى)، ودستوراً للشعور (رحمة). إنه كتاب لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً. فكيف بقلبك أنت؟!

استقبل هذا النور. تعامل مع القرآن على أنه بصائرك التي لا تنام، وهداك الذي لا يضل، ورحمتك التي لا تذبل. مرهفة أن تكون من الموقنين، فأنت حينها فقط ستتذوق ما لم يذقه الجاهلون. ستسعد في زمن الشقاء، وتطمئن في زمن القلق، وتعيش في زمن الموت. هذا هو وعد الله، وهذا هو طريقك. فكن أهلا ً لهذه الأوصاف العظيمة، واجعل الآية شعارك: "اللهم اجعل القرآن بصائرنا، وهدانا، ورحمتنا، وبلغنا به درجات الموقنين".

المبحث الرابع

ها نحن الآن بإذن الله أمام آيتين هما حجر الزاوية في بناء العقل المسلم، وسياج منيع أمام تسرب الأفكار المنحرفة. ولهذا دعنا ننطلق في هذه الرحلة المباركة، حيث نصحح معاً اختلال الموازين في قلوب الجاهلين، ونثبت يقين العدل الإلهي في قلبك. سنحلل كل حرف، ونستنبط كل درس، ونستشعر كل رسالة تربوية وفكرية ونفسية، دون أن نترك شاردة أو واردة مما طلبته.

تذكر، أنت الآن بين يدي آيات لو تدبرها البشر لتغير وجه الأرض. إنها آيات تنسف فلسفات الظلم، وتقيم صرح العدالة المطلقة في ضميرك. فلنبدأ مستعينين بالله.

المقدمة والتفسير العام

بعد أن أرانا الله في الآية (20) نور القرآن الساطع (بصائر وهدى ورحمة)، يأتي هنا ليسألنا سؤالا ً وجودياً يهز الضمير: كيف تتعامل مع هذا النور؟ وكيف تحكم على الأشياء؟ إنها آيات تكشف الخلل العميق في منطق المنحرفين، وتعيد صياغة عقلك على قاعدة العدل الإلهي التي قام عليها الكون. يقول الله جل جلاله:

}أَمْ حَسِبَ الذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(21) {
}وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(22) {

تخيل معي أن الله الرحيم الحكيم يقرع باب عقلك بهذه الآيات، قائلا ً: "أيها الإنسان، إن خللا ً فظيعاً قد أصاب فطرة كثير من الناس، حتى صاروا يساوون بين الخبيث والطيب، أفتظن أن عدلي يسمح بهذا؟ لقد بنيت الكون على العدل، وخلقتك لجزاء ينتظرك، فلا تظنن أن الأمور تسير عبثاً". إنها الآية التي تشفي عقلك من غبش المساواة الزائفة، وتغرس في قلبك الطمأنينة بأن الكون لا يمضي سدى، وأن العدالة المطلقة قادمة لا محالة. فلنغص في بحر هذه المعاني، ولنستخرج دررها واحدة واحدة.

أولا ً: التحليل

المحور الأول: تحليل (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) – منطق المرضى

· ما معنى) أم (في بداية الآية؟ وإلى ماذا تشير؟
·} أَمْ {(هنا هي "أم" المنقطعة، التي تفيد الانتقال من تقرير) في الآيات السابقة عن القرآن (إلى استفهام إنكاري يتضمن توبيخاً وتقريعاً .إنها ضربة فكرية مدوية، وكأن الخطاب يقول: "بعد كل ما سبق من بيان كون القرآن بصائر وهدى ورحمة ...بل أيصل بكم الضلال والخبث العقلي أن تظنوا هذا الظن الفاسد؟!" .إنها صرخة استنكارية تحمل معنى: "لا ينبغي لأحد أن يظن هذا، فكيف بمن يزعم عقلا ً؟!".
· ما معنى) اجترحوا السيئات(؟ ولماذا هذا التعبير دون غيره؟
· الاجتراح هو الاكتساب، لكن ليس أي اكتساب .إنه اكتساب الشيء بجوارح البدن بقوة وعنف، وأصله مأخوذ من الجرح، وهو الأثر الظاهر .هذا التعبير القرآني المعجز يرسم لك صورة نفسية لمقترف السيئات: إنه ليس مجرد فاعل، بل هو مجترح، أي يكدح ويكد في تحصيل السيئات بجوارحه، ويجرح بها نفسه وإنسانيته، ويترك أثراً ظاهراً في روحه وفي العالم .إنه يجهد نفسه في المعصية معجباً بها! وفيه إشارة إلى أن السيئات ليست مجرد أخطاء عابرة، بل هي جراحات في الفطرة والقلب، وعواقبها وخيمة .هؤلاء المجترحون يعيشون حالة من الانغماس الكامل في المعصية والإجرام، ولم تعد مجرد هفوات، بل صارت صنعة ومشروع حياة.
· لماذا هم في أزمة فهم وإدراك رغم وضوح المعلومات؟

· هنا تبرز عبقريتك في السؤال .هؤلاء} الذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ {ليسوا بالضرورة جهلة يفتقرون إلى المعلومات، بل المشكلة أعمق: هم يعانون من خلل في الفكر، وسوء في الإدراك والتحليل، ومرض في القلب .المعلومة قد تصلهم واضحة، لكن "مرشحتهم الذهنية" معطلة، فتُفهم بشكل خاطئ .هذا الخلل نتاج تراكمات: اتباع الهوى) وهو ما حذرت منه الآية(18 ، وغياب الرؤيا القلبية)أي البصيرة التي ذكرتها الآية(20 ، وحالة نفسية منكرة للحق، واختلاف ثقافات فاسدة تلقوها .إنهم ليسوا بلا عقول، بل لديهم عقول لكنها منحرفة الميزان، غير قادرة على القياس الصحيح .هذا هو أخطر أنواع المرض؛ أن يختل عليك الميزان الذي تزن به الأمور وأنت تظن أنك تحسن الصنع.

المحور الثاني: تحليل (أن نجعلهم كالذين آمنوا... سواء محياهم ومماتهم) – الجريمة الفكرية الكبرى

· ما هي الجريمة الفكرية التي كشفتها الآية؟
· الجريمة هي المساواة بين النقيضين، وهدم مبدأ العدالة الإلهية .هؤلاء بطريقة حياتهم وأفكارهم، يقولون بأفعالهم وأقوالهم: "لا فرق بينا وبين المتقين! المهم أن نعيش جميعاً!" .إنهم يرفضون انفراد المؤمنين بميزة خاصة في الدنيا والآخرة .هذا الظن هو محور الفساد الفكري الذي انبنت عليه كثير من الفلسفات المنحرفة والمذاهب الهدامة، التي تريد أن تجعل الناس أسناناً مشطاً واحداً في القيم والأخلاق، فلا فضيلة ولا رذيلة، ولا معروف ولا منكر.
· تحليل) سواء محياهم ومماتهم (– رفض التمايز في الدارين:
· هم يريدون المساواة المطلقة في الحياة الدنيا) محياهم(: في القيم، وفي القوانين، وفي النظرة الاجتماعية .لماذا يُمدح المحسن ويُذم المسيء؟ لماذا يُحتسب للمؤمن أجر وتطبيق شريعة ولا يُترك للكافر حريته المطلقة؟ هذا هو منطقهم: "دعونا نعيش جميعاً بلا ضوابط، ولا تفرقوا بيننا في الأحكام الدنياوية!".
· والأخطر أنهم يريدون المساواة في الآخرة) مماتهم(: فإن كان هناك بعث ومعاد، فهم يظنون أنهم سيكونون مثل المؤمنين! أو أنهم ينكرون الآخرة رأساً ليتحقق لهم مرادهم في الفرار من التبعات .هذا هو منتهى سوء الظن بالله وعدله، إذ كيف يسوي العدل المطلق بين من قضى حياته مجترحاً للسيئات مخرباً في الأرض، ومن قضاها عاملاً للصالحات مصلحاً في الأرض؟
· شهادة العقل السليم بالجزاء) التأسيس المنطقي الذي طلبته(:
· الآن نأتي للبّ المنطق القرآني الذي يريد الله أن يغرسه في عقلك .الآية تطرح السؤال: لماذا يظنون هذا وهو مخالف للبديهة العقلية؟ إن العقل السليم - يا أخي - إذا سألته: "هل يستوي في الجزاء والثواب والعقاب من عمل الأعمال الإجرامية القبيحة، مع من التزم بنظام المجتمع وقواعده وأحسن للآخرين؟"، فإن شهادة العقل ستكون جازمة: لا يستويان أبداً، ولا يمكن المساواة بينهما . المحسن يستحق المكافأة، والمسيء يستحق العقاب .هذا حكم عقلي فطري.
· وهذه الشهادة العقلية بضرورة الجزاء هي بمثابة شهادة العقل بوحدانية الخالق .فكما أن العقل إذا نظر إلى الكون علم أن له خالقاً واحداً، فكذلك إذا نظر إلى الإنسان وأعماله، علم أن عدالة المولى تقتضي جزاءً يفرق بين الطيب والخبيث .هذا الجزاء لا يتحقق كاملاً في الدنيا، فالدنيا لا تتسع لمكافأة كل محسن وعقاب كل مسيء .إذن، فلا بد من يوم آخر، يوم غيبي، جعل الله للا هتداء إليه طريقاً، وهو المنزل على رسله عليهم السلام .وهنا يلتقي المنطق بالوحي، ويسجد العقل للشرع تسليم رضا واقتناع.

المحور الثالث: تحليل (ساء ما يحكمون) – تقريع على انحراف الميزان

· ما معنى) ساء ما يحكمون(؟ وما أثرها في النفس؟
·} سَاءَ {فعل ذم بليغ، يعني: "بئس وقبح" .و}مَا يَحْكُمُونَ {أي: حكمهم هذا، أو تقديرهم هذا .إنه ليس مجرد حكم خاطئ، بل هو حكم سيّئ، قبيح، شائن، منفر عنه .إنه تقريع إلهي على انحراف البوصلة العقلية .كأن الله يقول: "ما أقبح هذا التقدير الذي صدروا عنه! وما أردأ هذا الميزان الذي وزنوا به!".
· الرسالة النفسية: عندما تسمع هذا التقريع، يجب أن تشعر بقشعريرة في جلدك، فرحاً بأن نجاتك كانت بالإيمان، وخوفاً من أن تكون قد شاركت هؤلاء في سوء تقدير ما في أمر من الأمور .هي دعوة دائمة لك كي تراجع أحكامك وتقديراتك، وتعرضها على ميزان الوحي والعقل السليم، لا على ميزان الهوى والثقافة المنحرفة.
· الربط بما قبله: سوء التقدير وأزمة الإدراك:
· الآية السابقة (20) جعلت القرآن بصائر، وهنا (21) تبين عاقبة فقدان هذه البصائر .الذين لا يوقنون ولا ينتفعون ببصائر القرآن، يصل بهم الحال إلى هذا الحكم الشائن:} سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ .{ فسوء الحكم هذا هو نتيجة طبيعية لفقد البصيرة .إنهم يسيئون التقدير، ويسيئون الظن في أحكامهم، ويسيئون الظن بالله وعدله، وهذا كله ثمرة لرفضهم منهج الله واتباعهم الأهواء.

المحور الرابع: تحليل (وخلق الله السماوات والأرض بالحق) – قاعدة العدل الكونية

· لماذا جاء ذكر خلق السموات والأرض بالحق بعد إنكار التسوية؟
· هذا هو الترابط الإعجازي .كأن الله يقول: "كيف تظنون أني أساوي بين المحسن والمسيء، وأنا الذي خلقت هذا الكون العظيم كله} بِالحَقّ{؟!"} .بِالحَقّ {أي: بالعدل والحكمة البالغة، ولم يخلق شيئاً عبثاً .خلق الكون الهائل، وأقامه على أعمدة الحق والعدل والنظام المحكم .فهل يعقل - بعد هذا - أن يخلق الإنسان ويجعله خليفته المكرمة، ثم يهمله فلا يجازيه على عمله؟! إن خلافة الإنسان في هذا الكون القائم على الحق، تقتضي حتماً وجود مبدأ الجزاء، وإلا لكان خلق الإنسان عبثاً، والكون لغواً، وهذا محال على الله الحكيم.
· كيف يكون الإيمان بالعدالة الإلهية المطلقة أساساً فكرياً؟
· الإيمان بالعدالة الإلهية يقتضي عدم التسوية بين المحسن والمسيء في الدنيا وفي الآخرة .بل إن نظام الشريعة الإسلامية نفسه مبني على هذا العدل: لا يستوي المؤمن والفاجر في الأحكام، ولا يستوي العالم والجاهل، ولا يستوي المطيع والعاصي .فالعدل هو الذي أقام الله عليه الكون، وهو الذي ارتبطت به شريعته للبشر .فالله هو الخالق العليم القادر الحكيم، وهذه الأسماء والصفات توجب أن يكون خلقه بالحق، وتوجب وجود يوم للجزاء.

المحور الخامس: تحليل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) – غاية الخلق وتمام العدل

· ما معنى اللام في) ولتجزى(؟
· هي لام التعليل، أي: خلق الله السموات والأرض بالحق، لأجل أن تجزى كل نفس بما كسبت . إنها تعلن بجلاء أن الحكمة من خلق الكون هي إقامة العدل، وغاية خلق الإنسان هي الجزاء على العمل .فالدنيا ليست دار جزاء كامل، بل هي دار عمل، والآخرة هي دار الجزاء الأوفى.
· تحليل) كل نفس بما كسبت (– دستور المسؤولية الفردية:
· هذا هو حجر الزاوية في العقيدة الإسلامية ونظام الحساب} .كلُّ نفْسٍ {: لا استثناء لأحد، غني أو فقير، قوي أو ضعيف} .بِمَا كسَبَتْ {: الباء للسببية، أي بسبب كسبها وعملها .إنه دستور المسؤولية الفردية المطلقة .لا يُؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا تزر وازرة وزر أخرى .كل إنسان يحاسب على عمله الذي اكتسبه بنفسه، دون انتقاص أو زيادة .هذا المبدأ هو الذي يبني الضمير الفردي، ويجعل كل إنسان رقيباً على نفسه.
· تحليل) وهم لا يظلمون (– الضمانة الإلهية:
· هذا هو الإعلان الختامي الذي يبعث الطمأنينة في قلب المؤمن، ويلقي الرعب في قلب المجرم . لا نقص في ثواب المحسن ولا ذرة، ولا زيادة في عقاب المسيء ولا مثقال حبة خردل .العدل مطلق لا يشوبه ظلم .فالظالمون عندما يجزون يُجزون بعدل لا بظلم، والمحسنون يجزون بفضل ورحمة ثم بعدل} .وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {تعني أنهم في أمان من أن يظلمهم الله، وهذا وحده يكفي ليكون للإنسان مرتكزاً نفسياً عظيماً في هذه الحياة.

ثانياً: ما نتعلمه من الآيات في حياتنا العملية

المحور الأول: تصحيح ميزان التفكير (لا مساواة بين الخبيث والطيب)

١٠ / تحرير العقل من منطق "الكل سواسية" في القيم:
· العلمانية والحداثة تريد أن تقنعك أن "كل الطرق تؤدي إلى الله"، وأن "كل شخص حر فيما يفعل ما لم يضر أحداً"، وأنه لا فضل لدين على دين، ولا لقيمة على قيمة في الجوهر .هذه الآية تنصب لك ميزاناً: لا تسوية .المؤمن له كرامته، والفاجر له إثمه .المحسن له جزاؤه، والمسيء له عقابه .هذا لا يعني التكبر على الخلق، بل يعني الحكم على الأفعال والقيم بميزان الحق .لا تخلط ا لأوراق كما يفعل الذين لا يعلمون .تعلم أن ترى الفروق، وأن تكون أحكامك على الأشياء وفق مراد الله، لا وفق أهواء البشر.
٢٠ / الاكتساب الإيماني بدل الاجتراح:
· الناس يكدحون في الحياة، فمنهم من يجترح السيئات ومنهم من يكتسب الصالحات .أي

الفريقين تريد أن تكون؟ اجتراح السيئات ليس مجرد خطأ، بل هو جرح لروحك وفطرتك، وإجهاد لنفسك في طريق الهلاك .حول طاقتك إلى اكتساب الحسنات، فذلك هو الكسب الرابح الذي لا يجرحك بل يداويك، ولا يذلك بل يرفعك.

المحور الثاني: ترسيخ عقيدة الجزاء والمسؤولية الفردية (كيف تواجه الإلحاد والعدمية؟)

١٠ / عقيدة الجزاء سد منيع أمام العبثية:
· أكبر أزمة يعاني منها الملحد ومن فقد البصيرة هي الشعور بالعبثية: "لقد خُلقت بلا غاية، وسأموت بلا جزاء" .هذه الآية تقدم لك الدليل الكوني والعقلي على بطلان هذا الشعور .الكون مبني على الحق، وفيه هدف أسمى .أنت مخلوق لجزاء عظيم، إما نعيم وإما جحيم، بناء على كسبك . هذا يعطي حياتك معنى جباراً، ويملؤها بالجدية والهدف .فكل عمل صغير أو كبير، تراه في ميزان الجزاء، فتكبر قيمته.
٢٠ /) كل نفس بما كسبت (مبدأ لبناء الذات والمجتمع:
· هذا المبدأ يعلمك أنك أنت المسؤول الأول والأخير عن مصيرك .لا تلقي باللوم على ظروفك، أو عائلتك، أو مجتمعك، أو مؤامرات غيرك .افهم الظروف وتعامل معها، لكن تذكر أن حسابك فردي . هذه المسؤولية تولد طاقة جبارة للإصلاح والعمل .والمجتمع الذي يتربى أفراده على هذا المبدأ، هو مجتمع الجد والإتقان، لأنه مجتمع يعرف أن كل إنسان سيوفى أجره كاملا ً، ولن يظلم شيئاً.

المحور الثالث: الطاقة النفسية والفكرية للبناء الحضاري

· أ .الطاقة النفسية) الطمأنينة والرجاء والخوف(:
· الطمأنينة: أنت مطمئن لأن الكون ليس فوضى، وله رب عادل لن يضيع أجر من أحسن عملا ً.
· الرجاء: يدفعك للتزود من الخير، فأنت تعرف أن كسبك له ثمن وثواب ينتظرك.
· الخوف: من سوء الحساب والعقاب، يمنعك من الظلم ويجعلك تقف عند حدود الله .هذا الخوف ليس سلبياً، بل هو طاقة كابحة للنفس عن التردي في الاجتراح.
· ب .الطاقة الفكرية) وضوح الرؤية وسلامة التقدير(:
· هذه الآيات تمنحك "عدسة العدالة الإلهية" لترى بها كل شيء .عندما ترى ظالماً يصول ويجول في الأرض، لا تقل: "أين العدل؟"، بل تقول: "إنها سنة الابتلاء، ولقاء الله هو الفصل" .هذا يمنعك من الوقوع في الشبهات والأزمات الفكرية .وعندما ترى محسناً مهمشاً، تعرف أن جزاءه عند الله لا يضيع .هذه الرؤية تعطيك ثباتاً فكرياً لا يتزعزع.

رابعاً: كيف نعيش الآيات في واقعنا المعاصر؟

· في زمن اختلاط الأوراق وطمس الهوية:
· يعرض عليك الإعلام نماذج للمجرمين والمنحرفين وقد تم تدليسهم على أنهم "أبطال حريات"، و "مبدعون خارج الصندوق"، بينما يُصوّر الملتزمون بدينهم بأنهم "متطرفون" .هنا تأتي الآية لترد لك ميزانك:} أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ...{لا تنخدع بالدعاية، بل انظر إليهم ب-"بصائر" القرآن . هم مجترحون للسيئات، يجرحون فطرتهم وفطرة المجتمع .مرجعيتك هي الوحي، لا سوق الشهرة.
· في علاج عقدة "الخوف من التمايز") لماذا أنتم مختلفون؟(:
· يضغطون عليك لتكون مثلهم في التعامل، في اللباس، في الأفكار، بحجة "المساواة" و"عدم التمييز" .قل لهم بنور القرآن: العدل ألا تسوّى! كيف يُساوى من ضيع عمره في الشهوات بمن أفناه في الطاعات؟ كيف يُساوى من خرب بمن بنى؟ أنا لا أقبل أن أُساوى بكم في الدنيا) أي في قوانينها وقيمها(، فضلا ً عن الآخرة .هذا الرفض هو عين العزة الإيمانية.
· في معركة اليقين ضد العدمية:
· حين يهمس لك الشيطان أو يروج الملاحدة أن "الحياة بلا معنى، وأن نموت ويفنى كل شيء"، أعد قراءة} وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ .{إن خلق هذا الكون العظيم لم يكن عبثاً، وإن خلقك أنت لم يكن سدى .هناك غاية، هناك جزاء، هناك عدالة مطلقة تنتظر .تمسك بهذا اليقين، فهو سلاحك ضد الفراغ الروحي الذي يأكل الغرب.

الخلاصة: انظر إلى الكون فسترى العدل، وانظر لنفسك فسترى المسؤولية
لقد زرع الله في هاتين الآيتين بذور العزة واليقين والثبات. أنت تعلم الآن أن طريق الحق واضح، وأن من انحرف عنه فقد ساء حكمه، وأن الكون كله يشهد بعدالة الله، وأن يوم الفصل قادم لتجزى كل نفس بما كسبت. املأ قلبك بهذا النور، وابن حياتك على قاعدة العدل الرباني، وكن إنساناً يزن ا لأمور بميزان الوحي، لا بميزان الأهواء. هذا هو طريقك لتحيا مطمئناً، وتلقى ربك راضياً مرضياً.
المبحث الخامس

تفسير الايه 23
المقدمة والتفسير العام

بعد أن قرر الله تعالى في الآيتين21) - (22حتمية الجزاء والعدل الإلهي، وأن من سوء الحكم المساواة بين المحسن والمسيء، يأتي الله بهذه الآية (23) ليكشف لك "القصة الداخلية" لذلك الإ نسان الذي سوّى بينهما، إنها قصة إنسان لم يكتفِ باجتراح السيئات، بل وصل إلى ما هو أعظم: أن اتخذ إلهه هواه!

تأمل، إنها آية نزلت لتحرك ركودك، وتصعق غفلتك، وتفسر لك حال كثير ممن تراهم حولك وقد أغلقت عقولهم عن الحق مع وضوحه .يقول الحق جل وعلا:

}أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ ۚ أَفَلَا تذَكرُونَ) {الجاثية:.(23

تخيل أن الله يأخذ بيدك ويدخلك إلى غرفة عمليات القلوب، ليريك كيف يتحول الإنسان من مخلوق مكرم زوده الله بالعقل والسمع والبصر، إلى عبد ذليل لهواه! إنها رحلة من أعلى إلى أسفل سافلين، تبدأ ببذرة "اتخاذ الهوى إلهاً"، وتنتهي بكارثة "الختم على القلب" فلا تنفع معه موعظة بعدها أبداً .إنها الآية التي تدعوك للفرار من نفسك إلى ربك، قبل أن تصبح نفسك إلهك من دون الله.

أولا ً: التحليل

المحور الأول: تحليل) أفرأيت من اتخذ إلهه هواه (– الكارثة الوجودية

· لماذا جاءت صيغة الاستفهام ب) أفرأيت(؟
· الهمزة للاستفهام التعجبي والتقريري، والفاء للعطف .والمعنى: "أخبرني أيها العاقل! انظر إلى حال هذا الشخص وتأمل عاقبته!" .إنها صيغة تستثير في نفسك العجب والاستنكار .كأن الله يهزك هزاً ويقول لك: "هل رأيت أعجب وأشنع من هذا المخلوق؟!" .إنها دعوة من الله لك لتقف موقف المتأمل، ليس لتشمت بأحد، بل لتعتبر وتحذر أن تكون مثله.
· ماذا يعني) اتخذ إلهه هواه(؟ وما هو الهوى تحديداً؟
·} اتخَذَ {تعني أنه صنع ونصب باختياره وإرادته لا بفطرته .إنه "تعمّد" هذا الفعل الشنيع.
· الإله هو المعبود، الذي يُطاع فلا يُعصى، حباً وخوفاً ورجاءً.
· الهوى هو ميل النفس إلى ما تشتهيه مما يخالف أمر الله وشرعه ودينه .إنه كل ما تحبه النفس وتميل إليه مما لم يأذن به الله .وبهذا التعريف، فالهوى ليس مجرد "رغبة عابرة"، بل هو "منظومة تشريعية" بديلة عن شرع الله .هذا الإنسان حوّل هواه إلى إله! أصبح هواه هو الذي يأمره وينهاه، يحل له ويحرم عليه.
· وكيف يعبده؟ ببساطة: ما رآه هواه حسناً فعله، ولو كان أقبح القبائح وأعظم الموبقات .وما رآه هواه قبيحاً تركه، ولو كان أعظم الطاعات وأجل القربات .لم يعد يسأل: "ماذا يحب الله؟"، بل أصبح السؤال: "ماذا أحب أنا؟" .وهذا القلب انعكست فيه الآية: فلا يحب شيئاً ويهواه إلا ركبه وفعله، حتى أصبحت أهواؤه هي إلهه الذي يسجد له.
· الفرق الجوهري: عابد الله وعابد الهوى) قاعدة الحب والإرادة(:
· هنا يبرز ما طلبته عيناً: مسألة الحب والإرادة تدار وفق خمسة أحكام:

1. الواجب: وهو ما أوجبه الله، وحبه واجب وفعله واجب.
2. المستحب) المندوب(: وهو ما يحبه الله ويرضاه، فحبّه مستحب وفعله مستحب.
3. المباح: وهو ما أذن الله فيه، لا في حبه ولا في فعله حرج، ما لم يشغل عن واجب.

4. المكروه: وهو ما يكرهه الله ولا يحبه، فبغضه واجب وتركه واجب.
5. المحرم: وهو ما يسخطه الله ويكرهه، فبغضه فرض وتركه فرض.

· فالواجب على كل مؤمن أن يكون حبه الأول لله: بأن يكون عابداً لله، متألهاً له، خاضعاً له بخشوع وحب وإذلال .هذا الحب لا يكون إلا لله، ومن أحب مخلوقاً بهذه الصفات) حب العبادة و الخضوع المطلق (فهو كافر.

· والواجب أيضاً أن يحب المؤمن ما يحب الله، فيخضع إرادته لإرادة الله، فتنصرف إلى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه .ويكره ما يكره الله، ويكون سخطه لما يسخطه الله ورسوله .وهذا "ملزم" لكل من أراد النجاة .ومن أحب غير ما أحب الله، فقد كره ما أنزل الله، وهذه صفة الكفار: }ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ.{

· أما عابد الهوى فقد اختل عنده الميزان، فصار هواه هو الذي يحدد له الواجب والمحرم! فما اشتهاه صار واجباً أو مستحباً عنده، وما كرهته نفسه صار حراماً ولو كان حلالا ً! وهذه الكارثة بعينها .إنه يرفض أن يخضع لمنهج الله، ويريد أن يصنع لنفسه نظاماً وشرعاً وقواعد من عنده . وهذا ما أشار إليه قوله تعالى:} فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ .{عدم الاستجابة للرسول هي العلامة الفارقة على أنهم يعبدون أهواءهم .إنها عبودية مرعبة، لأنها عبودية لشيء متقلب، ظلوم، جهول.

المحور الثاني: تحليل) وأضله الله على علم (– عقاب العدل الإلهي

· ما معنى) أضله الله(؟ هل هو ظلم من الله؟

· حاشا لله! إنه العقاب العادل والجزاء من جنس العمل .هذا الشخص لم يضل ابتداءً، بل هو الذي اتخذ إلهه هواه أولا ً، وأعرض عن الحق مختاراً .فجاء فعل الله) أضله (نتيجة لفعله هو .لقد زاغ قلبه عن الحق، فأزاغ الله قلبه .لقد أحب الضلالة، فوكله الله إليها وتخلى عنه .إنه عقاب على كراهيته لما أنزل الله، ورفضه الاستجابة للرسول.

· ما معنى) على علم(؟ وما دلالتها الخطيرة جداً؟

· هذا هو المزلاق الخطير} .عَلَىٰ عِلْمٍ {تعني حالة عجيبة: "أضله الله في حال كونه عالماً بالحق!" . أو "أضله الله بسبب علمه الذي لم ينتفع به" .إنه ليس جاهلا ً جهلا ً بسيطاً .لقد زوده الله بوسائل العلم والمعرفة: العقل الذي يدرك به، والسمع الذي يتلقى به الوحي، والبصر الذي يرى به الآ يات، والفؤاد الذي يعقل به .ومع كل هذه الأدوات، اختار الهوى على الهدى، وهو يعلم الحق!

· إنه يخالف شهادة عقله الذي يعلم أن المساواة بين المحسن والمسيء ظلم، ومع ذلك يعيش كأنه لن يبعث .إنه يعلم طريق الخير والشر، ولكن إرادته المنحرفة بهواه جعلته يختار الشر . المعلومات وصلته واضحة، لكنه بسبب هواه يفسرها تفسيراً خاطئاً، فهذا هو "سوء الإدراك و التحليل" .وهذا هو أخطر أنواع الضلال؛ لأنه ضلال عن قصد وعلم وإصرار، وليس عن جهل بسيط . لذلك، استحق هذا العقاب المغلظ: أن يضله الله بأن يخلي بينه وبين اختياره، ويتخلى عنه، فلا يوفقه للهداية أبداً .إنه عقاب في الدنيا قبل الآخرة.

المحور الثالث: تحليل) وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة (– سد منافذ الهداية عقاباً دنيوياً

· لماذا هذا الترتيب) السمع، القلب، البصر(؟ وما معنى الختم والغشاوة؟

· هذا هو العقاب الدنيوي المترتب على عبادة الهوى والإعراض عن العلم .إنها النتيجة الطبيعية: عندما تصر على إغلاق أذنك عن الحق، وقلبك عن حبه، وعينك عن رؤية آياته، يأتي عقاب الله بسد هذه المنافذ منعاً لدخول النور .إنه العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر.

· الختم على السمع: هو منع الصوت الهادي من أن يصل إلى أعماق نفسه .يسمع الحروف ولا تصل معانيها إلى قلبه .يسمع آيات الله تُتلى فلا يتأثر بها .سمعُه أصبح أسيراً للهوى، يسمع الباطل وينفتح له، وينغلق عن الحق ولا يعيه .هناك أغطية تمنع وصول نداء الإيمان إليه.

· الختم على القلب: وهو الأدهى والأمر .القلب هو محل الفهم والإرادة والحب والبغض .عندما يُختم عليه، لا يفقه الحق ولا يريده، ولا يحبه .يصبح قلبه ميتاً لا يتأثر بموعظة، ولا يتحرك لخير . يُسد عن الفهم الصحيح.

· الغشاوة على البصر: غطاء يحول بينه وبين رؤية الآيات الكونية والشرعية على حقيقتها .يرى الكون فلا يرى فيه صنع الله، ويرى الحوادث فلا يرى يد الله فيها، ويرى الحق فيراه باطلا ً، ويرى الباطل فيراه حقاً .لا يرى حجة ولا دليلا ً.

· النتيجة المرعبة: تساوي الحسنات والسيئات:

· بهذا العقاب، يصل إلى حالة من الانحطاط الإدراكي والخلل الفكري تجعله لا يميز بين المعروف والمنكر .فتتساوى عنده الحسنات والسيئات، لأنه فقد الميزان الذي يزن به) وهي البصيرة التي ذكرتها الآية .(20 يعيش في غمرات الشهوات كالسكران الذي لا يدري ما يفعل .يعيش مثل البهائم

وأقل مرتبة، فقد عطّل خاصية الإنسان التي هي العقل .يظن أنه يحسن صنعاً، مع أنه يجترح السيئات بكل جوارحه.

المحور الرابع: تحليل) فمن يهديه من بعد الله (– السؤال الصاعق

· ما وقع هذا الاستفهام على القلب المؤمن؟
· بعد أن سُدت جميع منافذ الهداية، وأغلق باب التوفيق، يأتي هذا السؤال الذي يحمل معنى النفي القاطع .لا أحد! فمن يهديه من بعد الله؟! .لا توجد قوة في الأرض ولا في السماء تستطيع أن تهدي من أضله الله .إنه إعلان بأن الهداية بيد الله وحده، فإذا سلبها الله عن إنسان بقضائه العادل، فقد هلك .إنه سؤال يملأ قلب المؤمن رهبة وخوفاً من أن يُحرم الهداية، ورجاءً وتضرعاً في أن يثبته الله عليها .إنه يغرس فيك الافتقار المطلق إلى الله في طلب الهداية، فلا تقل: "أنا عالم، أنا مهتدٍ"، بل تضرع دائم: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".
· ارتباط السؤال بسياق الآية:
· سؤال} فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ {هو نتيجة طبيعية لـ} أَضَلَّهُ اللهُ .{فإذا كان الله هو الذي أضله بعدله، فمن ذا الذي يمكنه أن يتدخل ويهديه؟ هذا يجعلك تعيد حساباتك كل لحظة، وتسارع للتمسك بـالله والتعلق بمنهجه، قبل أن يُغلق الباب، وقبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه ندم ولا مراجعة.

المحور الخامس: تحليل) أفلا تذكرون (– النداء الأخير للفطرة

· ما الفرق بين) تذكرون (و)تتفكرون(؟ ولماذا ختمت بها الآية؟
· التذكر هو استحضار ما هو مركوز في الفطرة والعقل .التفكر هو إعمال العقل في آية جديدة . هنا نادى الله:} أَفَلَا تَذَكَّرُونَ .{كأنه يقول: "إن حقيقة أن عبادة الهوى تؤدي إلى هذه العاقبة المرة ليست غريبة عن فطرتكم .أنتم تعرفون هذا! فاستيقظوا من غفلتكم! عودوا إلى فطرتكم الأولى!" . إنه نداء للصحوة من سكر الشهوات، وللإفاقة من غمرات الغفلة .قبل أن ينغلق سمعك وقلبك وتُسد عيناك، تذكر! استمع لصوت الفطرة وهي تصرخ في داخلك: "لا يمكن التسوية بين الخبيث والطيب!" . فتذكر، فلا قائد يرشدك إلى الحق إلا الله، فاتبع منهجه جل وعلا.

ثانياً: ماذا يريد الرب منا بهذه الآية؟

هنا نقف لنسأل: "يا رب، ماذا تريد مني بهذه الآية؟" .هذا هو جوهر التدبر، أن تبحث عن مراد الله منك .والجواب:

.1يريدك أن تتحرر من عبودية الهوى، لتعيش حراً بعبوديتك له وحده .يريد لك الكرامة، ولا كرامة مع ذل الهوى .يريد أن تكره عبودية الهوى، وأن تراها قيداً يذلك، لا حرية تزعمها النفس.
.2يريدك أن تخاف من سوء الخاتمة وسلب الهداية .أن تعيش على وجل، متضرعاً أن يثبت قلبك، وألا يجعلك ممن يعلمون الحق ثم يختارون الهوى عليه .أن تقول دائماً: "اللهم يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك".
.3يريدك أن تضبط بوصلة حبك وبغضك على محابه ومساخطه .ألا يكون معيار قبولك للأشياء هو "مزاجك"، بل "مراد الله" .أن تحب لله، وتكره لله، وتوالي لله، وتعادي لله .أن يكون حبك الأول لله، وأن يكون بغضك الأول لما يبغضه الله.
.4يريدك أن تستخدم وسائل العلم) العقل، السمع، البصر (في طاعته، لا في معصيته .أن تكون هذه الوسائل حجة لك لا عليك .أن تفتح سمعك للقرآن بخشوع، وقلبك لفهمه بحب، وبصرك لرؤية آياته بتأمل.
.5يريدك أن تتذكر وتصحو .يريدك أن تفيق من رقاد الغفلة، فتنظر في عاقبة من حولك ممن يعبدون أهواءهم، وكيف وصلوا إلى تلك الحالة من الضياع، فتشكر الله الذي عصمك، وتفر إليه طلباً للثبات.

ثالثاً: الدروس والرسائل التربوية والنفسية والفكرية

المحور الأول: الرسائل والمفاهيم التربوية) بناء النفس(

.1تربية الإرادة على التسليم: جوهر التربية هنا هو نقل إرادتك من يد نفسك الأمارة إلى يد شرع الله .اربأ بنفسك أن تكون عبداً لهواك، بل دربها يومياً على مخالفة هواها في الأمور المباحة أحياناً، حتى تعتاد وتطيعك عندما يتعلق الأمر بالحرام.
.2تربية القلب على المحبة: التربية الحقيقية هي تربية قلبك على المحبة .هل تحب ما يحب الله؟ هل تشتاق للصلاة؟ هل تجد لذة في سماع القرآن؟ إن لم تجد، فاعلم أن للهوى مدخلا ً في قلبك، فطهره .فرّغ قلبك من حب الدنيا والمدح، واملأه بحب الله.
.3الاستثمار في "العلم النافع": الدرس التربوي الأكبر هنا أن العلم الذي لا يورثك عملا ً هو وبال عليك} .وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلمٍ .{لا تطلب العلم للجدل أو الشهرة، بل أطلبه ليكون حجة لك عاملة، نوراً تمشي به في الظلمات.

المحور الثاني: الرسائل والمفاهيم النفسية) صيانة النفس من السقوط(

.1الإنذار المبكر من حالة "التبلد النفسي": الآية ترسم لك خارطة التدرج في المرض النفسي:) هوى - ضلال - ختم - غشاوة .(لا تأمن من أن تبدأ بمعصية صغيرة يزينها الهوى، فتتحول إلى عادة، ثم إلى طبع، ثم إلى ختم على القلب .انتبه للبوادر!
.2التحرر من الخوف من الناس إلى الخوف من سلب الهداية: كثير من الناس يخاف من الفقر أو كلام الناس، فيتنازل عن دينه .هذه الآية تحول خوفك من المخلوق إلى خوف من الخالق أن يسلبك الهداية .هذا خوف بناء، يجعلك متمسكاً بدينك لا تتنازل عنه.
.3الشعور بالافتقار الدائم إلى الله: آية} فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ {تجعلك تشعر أنك فقير إلى الله في كل لحظة .لست قوياً بإيمانك، بل أنت ضعيف إن لم يمسك الله عليك عقلك وقلبك .هذا الشعور يدفعك للدعاء الدائم: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك".

المحور الثالث: الرسائل والمفاهيم الفكرية) تصحيح النظرة والتحليل(

.1تحرير مفهوم "الحرية": الآية تصحح مفهوماً فكرياً شائعاً .الحرية ليست أن تفعل ما تشاء) فهذه عبودية للهوى(، بل الحرية أن تتحرر من عبودية الهوى والناس، لتكون عبداً لله وحده .هذه هي الحرية الحقيقية التي لا ذل بعدها.
.2فقه "سوء الإدراك والتحليل": الآية تفسر لك لماذا يصل أناس لديهم معلومات واضحة إلى نتائج خاطئة .السبب ليس نقص المعلومات، بل مرض الهوى الذي يفسد عمل العقل .فحين تجادل منحرفاً، لا تظن أن المشكلة في ذكائه، بل في هواه الذي أعمى بصيرته .عليك أن تعالج الهوى قبل أن تقدم المعلومة.
.3فهم العلاقة بين العمل والجزاء في الدنيا قبل الآخرة:} وَأَضَلَّهُ اللهُ {و}خَتَمَ {هي عقوبات دنيوية . هذا يعلمك أن المعاصي لها آثارها على عقلك وقلبك وإدراكك فوراً، وليست مؤجلة للآخرة فقط . فسوء الفهم وقلة التوفيق هي عقوبات معجلة.

رابعاً: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟) التطبيق(

المحور الأول: الدروس العملية من الآية

.1في اتخاذ القرارات: قبل أن تتخذ أي قرار) زواج، وظيفة، سفر، مشروع(، اسأل نفسك: "من قادني لهذا القرار؟ هل هو حب الله ومرضاته وشرعه، أم هو الهوى؟" .إذا وجدت نفسك تبحث عن تبريرات لرغبتك، فاعلم أن الهوى بدأ يقودك .توقف فوراً وسلم الأمر لله.
.2في معالجة الذنوب: عندما تقع في ذنب، لا تمرره مرور الكرام .تذكر فوراً سلسلة الآية: هذا الذنب قد يكون بداية "اتخاذ إله هواه" .بادر فوراً بالتوبة، واكسر الشهوة، وأبدلها بطاعة، حتى لا يصبح الذنب طبعاً، وحتى لا يُختم على قلبك.
.3في التعامل مع وسائل الإعلام والتواصل: هذه الوسائل هي مصانع لإنتاج الهوى وتعبيد الناس له .عش الآية عملياً بأن تضع "فلتراً إيمانياً" لكل ما تشاهده وتسمع .هل هذا المحتوى يحرك فيك هوى أم يذكرك بالله؟ إن كان يحرك الهوى، فاهرب منه فرارك من الأسد، لأن البقاء فيه هو استدراج للختم على القلب.

المحور الثاني: مفاهيم البناء والتنمية من الآية

.1بناء مجتمع على "محبة الله" لا على "إرضاء الهوى": أي مشروع تنموي لا يقوم على هذا الأ

أساس محكوم عليه بالفشل الأخلاقي .حين يتربى الأفراد على أن يحبوا ما يحب الله، ويكرهوا ما يكره، ستجد مجتمعاً يعمل بإتقان، ويتعامل بأمانة، ويبدع في الخير، لأنه لا يسعى لإرضاء هوى نفسه بل لإرضاء ربه.
.2تحويل الطاقة من "اجتراح السيئات" إلى "اكتساب الحسنات": عابد الهوى يصرف طاقته في إرضاء شهوته .أما المؤمن الحر من عبودية الهوى، فهو يصرف طاقته في عمارة الأرض وإصلاحها .ا لآية تدعوك عملياً لتحويل اتجاه بوصلتك .الطاقة التي كنت ستهدرها في معصية، استثمرها في بناء ، في تعلم، في عمل خير.

خامساً: كيف نعيش الآية في واقعنا المعاصر؟

· في زمن "الفردانية" و"عبادة الذات":
· العالم حولك يردد: "أحب ذاتك"، "أنت الأول"، "افعل ما يسعدك" .هذه هي دعوة عبادة الهوى بعينها، وقد تم تغليفها بغلاف التنمية البشرية! الآية توقظك: لا! أنت الأول يعني أن تنجو بنفسك من النار .أن تحب ذاتك يعني أن تحميها من عذاب الله باتباع شرعه، لا بإرضاء هواها.
· في حرب "تساوي الحسنات والسيئات":
· الإعلام الحديث يطمس القيم، فيساوي بين العري واللباس، بين العلاقات الشرعية وغير الشرعية، وبين الصدق والكذب .هذه الآية تعطيك الميزان لترى الفروق .لا تنسخ قيم العالم، بل جاهد لترى بنور الله .تذكر أن من عقوبات اتباع الهوى أن تختلط عليك الأمور) تتساوى الحسنات والسيئات .(فاحرص على نور بصيرتك.

الخلاصة: العبودية لله وحده هي التحرر الوحيد

أيها المؤمن الصادق، هذه الآية هي ميثاق تحريرك من كل طاغوت، وفي مقدمته طاغوت الهوى .لقد أراد الله لك أن تعيش حراً، عزيزاً، مبصراً، فلا ترض بالعبودية لشيء تافه ومتقلب مثل الهوى . اهرب من عبودية الهوى إلى حرية العبودية لله .املأ قلبك من محبته، واجعل محبته هي القائد، ومبغضه هو الرادع.

ليكن شعارك العملي الذي تبدأ به يومك: "اللهم إني أعوذ بك أن أتخذ إلهي هواي، وأعوذ بك أن أضل على علم، وأعوذ بك أن يُختم على سمعي وقلبي، وأعوذ بك أن يُجعل على بصري غشاوة . اللهم ثبتني واجعل هواي تبعاً لما جاء به نبيك صلى الله عليه وسلم" .هذا هو صراط النجاة، فاستمسك به تنجو وتسعد في الدارين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثاني

المبحث الأول
تفسير الايات 24--25
المقدمة والتفسير العام
بعد أن أرانا الله في الآية (23) نموذج "عابد الهوى" الذي انحرف عقله فساوى بين الحسنات و السيئات، ووصل إلى درجة الختم على القلب، يكشف لنا هنا في الآيتين (24-25) عن الجذر الفكري الذي أنتج هذا العابد. إن الجذر ليس مجرد غفلة، بل هو مذهب فلسفي متكامل، ونظرة مادية عمياء للوجود. إنها الآيات التي تجيب عن سؤال: "لماذا يصل الإنسان إلى هذا الانحطاط الإدراكي والخلل الفكري؟". الجواب ببساطة: لأنه حبس نفسه في قفص المادة، وحرم نفسه من نور الوحي، فظن أن الحياة كلها هي ما يراه ويلمسه ويحسه. يقول الله تعالى:

}وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ(24) {
}وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(25) {

في الآية الأولى، يعرض الله "عقيدتهم" التي هي أصل الفساد. وفي الثانية، يفضح "حجتهم" التي هي عين العجز والسخف. إنهم لا يملكون علماً، وإنما يغرقون في الظنون. إنهم ينظرون إلى الحياة من زاوية ضيقة، فلا يرون إلا ما تلمسه أيديهم، وتدركه حواسهم، ولذلك استبعدوا الآخرة، وراحوا يفسدون في الأرض. إنها آيتان تبنيان فيك منهجاً في رؤية الحياة، وتجعلانك تشعر بقيمة "البصائر" التي منحك الله إياها في الآية (20)، فتحمد الله أن أخرجك من هذا القفص المظلم إلى سعة الإيمان.
أولاً: التحليل

المحور الأول: تحليل (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) – فلسفة المادية الجوفاء

· لماذا افتتحت الآية بـ) وَقَالُوا(؟ وما دلالتها في كشف البنية الفكرية؟
·} وَقَالُوا {فعل ماض، والواو للجماعة .إنه ليس مجرد خاطر قلبي، بل هو قول جهروا به، وعقيدة اعتنقوها، ومبدأ دعوا إليه .إنهم لم يكتفوا بالعمل بالهوى، بل وضعوا له تنظيراً فلسفياً .وهذا القول هو "أم الشرور" التي نتج عنها إفسادهم في الأرض .وواو العطف تعطف هذا القول الشنيع على ما قبله من سوء حكمهم وعبادتهم للهوى، لتبين أن هذا القول هو الذي يسوغ لهم تلك الأفعال.
· تحليل قولهم) مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا(: القفص المادي المغلق.
· هذا هو "الإنجيل" الذي يؤمن به الماديون في كل زمان ومكان} .مَا هِيَ {نفي مطلق، و}إِلَّا {للحصر والقصر .أي: لا حياة إلا هذه التي نحن فيها الآن .لا حياة في البرزخ، ولا بعث بعد الموت، ولا جنة ولا نار .إنهم يحصرون الوجود كله في دائرة "الملموس" الذي يُدرك بالحواس الخمس .إنها النظرة المادية الضيقة التي لا تتجاوز حدود ما يعيشونه ويرونه بأعينهم .وهذا هو أصل انحرافهم، وسبب سوء تقديرهم للأمور، وقبح نظرتهم للحقائق .إنهم ينظرون إلى الأشياء من زاوية واحدة ضيقة جداً، وهي الزاوية المادية الحسية البحتة، فحرموا رؤية البصيرة ونور الإيمان واليقين الذي يُرى به اليوم ا لآخر والغيب .لقد حجبتهم المادة عن رؤية مسببها وخالقها.
· تحليل قولهم) نَمُوتُ وَنَحْيَا(: فلسفة الدورات الطبيعية ونفي البعث.
· لاحظ أنهم قدموا الموت على الحياة:} نَمُوتُ وَنَحْيَا .{هذا الترتيب ليس عبثياً .إنهم لا يقصدون "نموت فنبعث"، بل يقصدون دورة الحياة والموت التي يرونها بأعينهم على الأرض: "تموت أجيال، وتحيا أجيال أخرى" .أو "تموت خلايا في أجسادنا، وتحيا أخرى" .إنها نظرة مادية بحتة ترى الإنسان مجرد كائن بيولوجي، يولد ثم يموت ثم يتحلل، وليس له من الأمر شيء بعد ذلك .إنهم يرون أن الموت هو الفناء المطلق، ولا عودة بعده .إنهم يستبعدون العودة للحياة بعد الموت، ويستبعدون حصول اليوم الآخر، لأنهم لم يروه، ولم يدخل في نطاق تجربتهم المادية.
· وما يترتب على هذه العقيدة من سلوك عملي) الإباحية والإفساد(:
· وهذا هو مربط الفرس في هذا التحليل .إذا كانت هذه هي عقيدتهم، فسلوكهم من ارتكاب الجرائم والملذات المحرمه هو النتيجة الحتمية! مادامت الحياة فرصة وحيدة، ومادام الموت نهاية كل شيء، ومادام لا حساب ولا عقاب، فليتسابقوا إلى ملذاتها وشهواتها دون تردد! وليبادر كل منهم إلى تلبية رغباته فوراً دون مبالاة بما يترتب عليه من إفساد في الأرض .إنهم يتحولون إلى وحوش ضارية .ولهذا تجدهم: إذا حصل أحدهم على فرصة حكم أو مال أو جاه، تطاول على الناس، وأفسد في الأرض بالكبر والتطاول والقتل والبغي .لماذا؟ لأنه لا يرى ما بعد الموت من حياة، ولا يخاف

حساباً .إنه يرى الموت يطارده، وهو الذي سيقضي عليه) في زعمه(، فيريد أن يلتهم كل شيء قبل أن يدركه الموت .فتجدهم حريصين على الحياة، فيهم الطمع والجشع، يعيشون بالحسد والأنانية . وهذه الأمراض القلبية هي التي تعمي البصيرة، وتسد منافذ العلم، وتجعلهم في غمرات سكرهم يعمهون.

المحور الثاني: تحليل (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) – إله المادة الأعمى

· ما هو الدهر؟ وما خطورة جعله فاعلا ً؟
· الدهر هو الزمان، مرور الأيام والليالي، وتقلب الأحوال .هؤلاء لما رأوا الموت والمرض والفناء، ولم يؤمنوا بـالله الخالق المدبر، احتاجوا إلى علة يعللون بها هذه الظواهر .فجعلوا "الزمن" هو العلة!} وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ {أي: إلا مرور الزمن وتطاول الأيام .وهذا قمة الجهل والضلال، لأنه جعل شيئاً مخلوقاً)وهو الزمان (إلهاً فاعلا ً متصرفاً .والزمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فكيف يملكه لغيره؟! هذا إلحاد في الخلق والأمر، وهروب من مواجهة الحقيقة الأولى: أن الله هو مصرف الكون، وهو مقدر الآ جال .إنهم لا يتصورون أن الله هو الذي بيده الموت والحياة .إنهم يواجهون عدواً مادياً أعمى) الزمن (لا يرحم، فيعيشون في قلق ورعب منه، بخلاف المؤمن الذي يخاف الله ويرجوه ويحبه.

المحور الثالث: تحليل (وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) – تفنيد جذري لليقين المزعوم

· لماذا قال الله عن قولهم) وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ(؟
· هذا هو الطعنة القاضية في صميم بنيانهم الفكري .هم يقدمون هذه الأفكار) المادية، الدهرية (على أنها حقائق، بل ويبنون عليها نظريات فلسفية واجتماعية كالعدمية والوجودية .فيأتي الوحي ليقول: كلا! إنهم لا يملكون ذرة علم واحدة على ما يقولون! إنها مجرد دعاوى فارغة .قولهم} مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا {ليس قائماً على دليل من عقل أو نقل صحيح} .مِنْ عِلْمٍ {نكرة في سياق النفي، فتعني نفي أي قدر من العلم، ولو قليلا ً .فهم في ظلام دامس، ولا يستندون في ذلك إلى علم البتة.
· تحليل) إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (– مستوى الظن المريض.
·} إِنْ {نافية، و}إِلَّا {للحصر .أي: "ما هم إلا يظنون ظناً لا يغني من الحق شيئاً".
· الفرق بين العلم والظن: العلم هو الإدراك المبني على الدليل القاطع واليقين .أما الظن فهو إدراك مبني على الشك والوهم والتخمين والهوى، وهو خالٍ من الدليل .هؤلاء لا يستندون إلى علم، بل إلى ظنون وأوهام .هم يتوهمون ويتخيلون خيالا ً، ولا ينظرون إلى ما وراء الموت من حياة، وبالتالي لا يصلح تفسيرهم للزمان بأنه سبب الموت .فتفسيرهم للحياة والموت والكون هو تفسير ظني خاطئ، مبني على القصور وليس على الكمال .وهذه الآية تعطيك قاعدة ذهبية: أي فكرة عن الوجود لا تستند إلى وحي الله السماء، فهي ظنون لا تغني من الحق شيئاً، فلا تعبأ بها .هؤلاء يخالفون العقول السليمة التي تشهد بضرورة الجزاء، ولكنهم تحت تأثير حب الهوى يعطلون عقولهم.

المحور الرابع: تحليل (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا...) – إفلاس الحجة و الهروب إلى السخف

· ما معنى) آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ (ودورها في إقامة الحجة؟
· الآيات تشمل الآيات المتلوة في القرآن، والآيات المرئية في الأنفس والآفاق .وصفها بـ} بَيِّنَاتٍ { أي: واضحات في ذاتها، دالات على الحق بنفسها، ليس فيها غموض ولا التباس .هذه الآيات فيها علا مات تؤكد صدق ما يدعوهم إليه الرسول من الإيمان بـالله واليوم الآخر .فيها الأدلة على أن الله هو الخالق، وهو القادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها .فـالله خلق الإنسان لحكمة وغاية، حيث زوده بأدوات العلم وبالعقل ليميز بين الخير والشر .والناس يعيشون في الأرض ليعطوا فرصة للعمل، وليكون الجزاء على أفعالهم، ولإقامة العدالة الإلهية .هذا هو منطق الوحي الذي تخضع له العقول السليمة.
· تحليل) مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا (...– المفاجأة المذهلة والعجز التام.
·} مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ {تعني: لم تكن لهم أي حجة عقلية أو منطقية يردون بها على هذه الآيات البينات.
·} إِلَّا أَنْ قَالُوا {أي: لكنهم قالوا هذا القول السخيف الذي لا علاقة له بالحوار ولا بالمنطق! إنهم يفتقدون إلى المنطق لمواجهة الحقائق .عندما يُستدل عليهم بآيات الله المرئية والمقروءة الواضحة، يُغلق عليهم باب الجدل بالعقل، فيضطرون إلى الهروب .إنهم تحت تأثير حب الهوى، عاجزون عن الرد المنطقي، فيهربون إلى ميدان آخر هو ميدان العناد والاقتراحات السخيفة.
· تحليل قولهم) ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (– اقتراح العاجزين وسخف الماديين.
· عندما يُدعون إلى الإيمان بأن الله يبعث الموتى لحكمة إقامة العدل، يردون لا بدليل، بل بطلب

استعجالي تهكمي: "إن كنتم صادقين أن الله يبعث الموتى، فأتوا لنا بآبائنا الذين ماتوا من قبورهم أحياء الآن!" .إنه منطق طفولي أعوج.
· لماذا هذا القول يمثل قمة فساد التصور؟ لأنهم:
1. يخلطون بين الإخبار والإنشاء: الرسول يخبرهم بخبر عن الله أنه سيبعثهم في وقت معلوم عنده، وهم يطلبون إنشاء هذا البعث فوراً حسب أهوائهم .إنهم يريدون أن يفرضوا شروطهم على الله!
2. يظهرون تعلقهم بالمادة: يريدون دليلا ً مادياً محسوساً) آباءهم أحياء (قبل أن يؤمنوا .هذا هو التجسيد الحي للنظرة المادية التي لا تؤمن بالغيب.
3. يقترحون سخافات: طلبهم إحياء آبائهم هو اقتراح سخيف؛ لأن الله قادر على ذلك، لكن حكمته تقتضي أن يكون البعث للجميع في وقت واحد للحساب، لا أن يبعث فريقاً قبل فريق لإرضاء فضولهم أو عنادهم .وهو القادر على البدء أول مرة، والبدء أسهل من الإعادة، وهو عليه يسير .والآ يات واضحة ولا تحتاج إلى تلبية طلباتهم السخيفة بالإتيان بآبائهم قبل حلول موعدهم.

ثانياً: ماذا يريد الرب منا بهاتين الآيتين؟

هذا هو سؤال الثمرة، وجوهر التدبر. ماذا يريد منك خالقك أن تفعل بعد أن سمعت كلامه؟

1.يريدك أن تفرح بنعمة الوحي والعلم، وتشفق على الماديين: تأمل قوله} وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ .{ أنت عندك علم! الله أعطاك ما لم يعطهم .هم يعيشون في القفص المادي، وأنت قد فُتح لك باب السماء بالقرآن .يريدك أن تشعر بعظم المنة، فتخر ساجداً شاكراً أن أخرجك من ظلمات المادية إلى نور الإيمان، وأن تشفق عليهم لا أن تحتقرهم، لأنهم عمي وأنت بصير.
2.يريدك أن ترى الباطل هزيلا ً: مهما علا صوت الإلحاد والمادية في العالم، ومهما زينوا باطلهم، فتذكر أن الله يصف حجتهم بأنها ليست علماً، بل ظن، وليست حجة، بل قول سخيف .هذا يبني فيك الثقة والاستعلاء الإيماني، فلا تنبهر بهم ولا بفلسفاتهم.
3.يريدك ألا تعيش للدنيا فقط: أنت تعلم أنها مزرعة للآخرة .فلا تكن ممن يلهث وراء شهواتها الفانية كما يفعل الدهريون، بل ليكن طموحك أبعد من ذلك بكثير: جنة عرضها السموات والأرض .وعش في الدنيا بمنطق المسافر، لا بمنطق المستوطن.
4.يريدك أن تبني حياتك على العلم لا على الظن: كل فكرة عن الحياة والكون والإنسان لا تستند إلى وحي، هي من جنس ظنونهم .فلتكن معاييرك، وقيمك، وأحكامك، كلها مبنية على العلم اليقيني الذي جاء من عند الله، لا على فلسفات البشر المتقلبة.

ثالثاً: الدروس والرسائل التربوية والنفسية والفكرية

1.الرسائل والمفاهيم النفسية) علاج القلق والعبثية(

· رسالة الأمان الوجودي: أكبر أزمة نفسية يعانيها المادي هي "أزمة المعنى" .يعيش ولا يدري لماذا هو هنا، وإلى أين يذهب .الآيتان تقدمان لك أنت "وصفة الأمان الوجودي": حياتك ليست عبثاً) كما يزعمون أنها دورة نموت ونحيا(، بل هي رحلة ذات بداية) خلقك الله (ونهاية) بعث وحساب .(هذا يعطي حياتك معنى عظيماً، ويملأ نفسك طمأنينة.
· التحرر من "قلق الموت" و"جشع الحياة":
· الكافر خائف من الموت لأنه يراه فناءً، وخائف من الدهر لأنه يراه قاتله .لذلك تجده جشعاً، أنانياً، طماعاً في الحياة .أما أنت فتعلم أن الموت انتقال إلى رحمة الله، وأن الدهر بيد الله وليس عدواً لك .هذا يحررك من القلق، ويجعلك متوازناً في حبك للحياة: لا تخاف فواتها فتفعل كل شيء للإمساك بها، بل تعمل للدنيا بطمأنينة، وللآخرة برجاء.
· رسالة الشفقة لا الغضب: عندما تفهم أن سبب سخافة حججهم هو أنهم "يظنون" فقط، وأنهم في قفص مادي، يتحول غضبك عليهم إلى شفقة .هم مرضى يحتاجون إلى النور الذي معك .هذا يغير طريقة تعاملك النفسي معهم من الاحتقار إلى الرغبة في الإنقاذ.

2.الرسائل والمفاهيم الفكرية) بناء العقل على اليقين(

· فقه الفرق بين "العلم" و"الظن": هذه الآية تنشئ فيك ملكة تمييز كبرى .أي قضية تعرض عليك، اسأل: "هل هذه علم) دليله قاطع من الوحي أو الحس الصحيح (أم ظن) استناده فلسفات وتخمينات بشرية(؟" .كل النظريات المادية) النشوء والارتقاء، المادية التاريخية، العدمية، الوجودية العبثية (تدخل في خانة} إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ {لأنها لا تستند إلى وحي ولا يمكن إثباتها بشكل قاطع.
· خرافة "السببية المادية") الدهر(: الآية تكشف لك الخطأ المنهجي في نسب الأحداث لغير الله .حين

ينسبون الموت والفناء للدهر) الزمن(، فإنهم يرتكبون أكبر خطأ فكري .علمتهم الآية ألا تنخدع بالأسباب الظاهرية، فالزمن مجرد وعاء، والله هو الفاعل الحقيقي .هذا يعطيك عقيدة سببية صحيحة: الأسباب بيد الله، فتوكل عليه لا على الأسباب.
· منهجية الرد على الشبهات: الآية 25 تعطيك درساً بليغاً في منهجية الحوار .المحاورون هنا عندما عجزوا عن الرد، لم يقروا بالحق، بل غيروا موضوع الحوار إلى ميدان سخيف) ائتوا بآبائنا .(أنت تتعلم من هذا ألا تنجر وراء طلبات المبطلين المستحيلة، بل تثبت على الحجة} آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ {وتكشف عجزهم .قل لهم: "الدليل واضح، وتهربكم لا يغني عنكم شيئاً".

.3الرسائل والمفاهيم التربوية) تزكية النفس وبناؤها(

· تربية النفس على الزهد في الفانية، والرغبة في الباقية: عش مع الآيتين، واستحضر أن الدهري يلهث خلف المادة لأنه لا يرى غيرها .استح من الله أن تشابههم، وازهد في الدنيا .اعلم أن ما عند الله خير وأبقى .هذه الآية تربي فيك الزهد العملي، لا مجرد النظري.
· التربية على طلب العلم الشرعي: الرد على شبهاتهم هو "العلم" .لا يمكنك مواجهة "ظنونهم" إلا بـ "علم" الوحي .الآية تحفزك على طلب العلم الشرعي لتحصن نفسك وغيرك، وإلا كنت مثلهم تعتمد على الظنون.
· تربية الإرادة على عدم المسايرة: قد تجد في مجتمعك من يعيش شعار} مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا { بأفعاله وإن لم ينطق بها .الآية تربيك على أن تخالفهم، وألا تخاف من الاتهام "بأنك تعيش في الماضي" لأنك تتحدث عن الآخرة .أنت تعيش في الحقيقة، وهم في الوهم .كن قوياً، ولا تسايرهم في باطلهم.

رابعاً: كيف نعيش الآيات في حياتنا العملية وفي واقعنا المعاصر؟ (التطبيق)

المحور الأول: الدروس العملية

.1قاعدة التفسير للأحداث: عندما ترى ظالماً يصول ويجول، أو غنياً طاغية خائفاً من الموت، لا تنظر إليه بعين الحسد، بل بعين فقه الآية: هذا مادي، الحياة كل شيء بالنسبة له، فلذلك هو في قلق وجشع وأنانية .هذه النظرة تجعلك تحمد الله على نعمة الإيمان، وتستمر في طريقك مطمئناً، لأنك تعلم أن العاقبة للتقوى.
.2في معركة "صناعة القيم": الإعلام والمادية العالمية يحولان الدنيا إلى "الجنة الوحيدة"، ويروجان لليأس من المستقبل) لأنه لا مستقبل بعد الموت عندهم .(أنت تعيش الآية بأن تذكر نفسك وغيرك بأن "الفرصة ليست هنا"، بل في الدار الآخرة .ابن مشاريعك الدنيوية وأنت تعلم أن نجاحها ليس غايتك القصوى، بل هو وسيلة لنيل رضا الله.
.3في الرد على الشبهات المعاصرة: إذا قال لك ملحد: "نشأنا من العدم، وسنفنى إلى العدم، ولا يوجد دليل على الخالق"، فرد عليه بلسان الآية:} وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ .{(دليلك) الكون الدال على الخالق، والقرآن المعجز (علم، ودليله ظن .أنت ترفض الدخول معه في لجج الظنون، وتدعوه إلى يقين الوحي والعقل .أنت صاحب العلم اليقيني، فلا تتنازل عنه.

المحور الثاني: كيف نعيشها في واقعنا المعاصر؟

· في زمن "ما بعد الحداثة" وسيولة القيم:
· العالم اليوم يزداد مادية، وقد وصل إلى مرحلة "العبثية": لا توجد حقيقة مطلقة، ولا معنى، عش يومك .هذه الآية هي ترياقك .أنت تعرف أن حياتنا الدنيا ليست كل شيء، بل هي دار اختبار .هذا يعيد لك بوصلتك، ويمنحك صلابة الحق في زمن كل شيء فيه قابل للتفاوض.
· في زمن "الاستهلاك" و"الموت الإكلينيكي":
· الرأسمالية تجعل الناس يعبدون الدنيا، وتسابقهم على الاستهلاك .والطب المادي يجعل الموت مجرد "توقف أجهزة" .هذا كله من وحي} مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا .{أنت تعيش الآية بأن تجعل الاستهلاك وسيلة لا غاية، وتعمر الأرض لا تدمرها، وتستعد للموت الذي هو لقاء الله .أمسك بالدنيا في يدك لا في قلبك.

الخلاصة: كسر القفص المادي والتحليق في سماء الإيمان

أيها الأخ المؤمن، لقد أراد الله بهاتين الآيتين أن يكسر لك القفص المادي الذي يحاول الملاحدة و الماديون إدخالك فيه. لقد أراهم لك وهم عراة، لا علم لهم، ولا حجة، ولا منطق، بل ظنون وأوهام

وسخف.

ابتهج بهذا اليقين. أنت لست جسداً يسكنه قلق الفناء، بل أنت روح خلقها الله لتبقى. حياتك الدنيا مزرعة آخرة عظيمة. لا تخف من الموت سهام، ولا من الدهر حسام، فخالق الدهر هو مليكك وإلهك. انظر إلى الماديين بعين الشفقة، واملأ قلبك عزة بإيمانك، واجعل شعارك العملي: "رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ۚ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ". هذا هو سر الحياة الطيبة، وهذا هو صراط النجاة.

المبحث الثاني

ها نحن نقف مع آية هي الصاعقة التي يوجهها الله لنبيه ﷺ ليرد بها على الملاحدة والدهريين. إنها "الضربة القاضية" في هذا الحوار القرآني العظيم. لقد طلب منك ربك أن تفتح عقلك وقلبك، فأنت الآن ستسمع الرد الإلهي المباشر على سخافاتهم. لقد قالوا عن جهل: "وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ"، وقالوا عناداً: "ائْتُوا بِآبَائِنَا"، فيأتي الأمر هنا من الله لنبيه: "لا تجادلهم أنت، بل بلغهم عني هذا الرد المهيب". إنها آية تحوي قواعد الإيمان، وأصول المنطق، وسر اليقين. أطلق لقلبك العنان، واجعل هذه الآية تنقش في روحك برد اليقين، وتقتلع منك أي شك. فلنبدأ رحلتنا المباركة، وأسأل الله أن يفتح علينا من بركات هذه الآية ما نكون به من الموقنين.

المقدمة والتفسير العام

بعد أن حكى الله تعالى عن الدهريين قولهم: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}، وكشف عن عجزهم وسخف حجتهم في طلب إحياء آبائهم، يأتي الخطاب الإلهي موجهاً إلى النبي ﷺ وإلى أمته من بعده بأمر مباشر: {قُلِ}. إنه أمر لكل مؤمن بأن يحمل هذا الرد، ويتسلح به، ويدفع به في وجوه المنكرين. إنه ليس نقاشاً ندخل فيه على مضض، بل هو إعلان حقيقة كونية لا تقبل الجدل.

يقول الله آمراً نبيه أن يقول لهم: {اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.
أي: أنتم تنسبون الحياة والموت للدهر والزمان، وتستبعدون البعث. قل لهم يا محمد رداً قاطعاً لا مراء فيه: إن الذي يحييكم حياة بعد العدم، ويميتكم بعد الحياة، ويقبض أرواحكم لا الدهر، هو الله وحده. وهو الذي سيجمعكم بعد موتكم وتفرقكم في يوم القيامة الذي لا شك فيه لتحاسبوا على أعمالكم. ولكن أكثر الناس لا يفقهون هذه الحقيقة، ولا يتدبرون البراهين، ولا يتأملون الآيات، فينكرون البعث ويجحدون قدرة الله. إنها آية تملأ قلبك يقيناً بأن الكون يسير إلى غايته، وأن العدل آتٍ لا محالة.

أولاً: التحليل

المحور الأول: تحليل (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) – إعادة الحق إلى نصابه وتصحيح السببية

· لماذا افتتحت الآية بالأمر) قُل(؟ وما دور هذا الأمر في بناء شخصية المؤمن؟
·} قُل {أمر إلهي مباشر للنبي ﷺ، وهو تشريف وتكليف معاً .هو تشريف للنبي بأن يكون لسان الحق الناطق، وتكليف له بألا يسكت عن الباطل .وهو أيضاً أمر لأمته: "يا أمة محمد، قولوا هذا الرد، أعلنوه، لا تخافوا!".
· هذا الأمر يعطيك دروساً عظيمة: لا تسكت عن الباطل وأنت تملك منطق الحق .كن أنت الصوت العالي باليقين في زمن الظنون .ولا تجادلهم بمنطقهم، بل ابدأ مباشرة بقول: "اللّه" .هذا هو الاستعلاء الإيماني، أن تبدأ بالحق الأبلج الذي لا يدافع.
· كيف نسفت الآية زعمهم) وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ(؟
· لقد نسبوا الحياة والموت إلى الدهر) الزمان(، وهو جماد لا يملك شيئاً .جاء الرد بتقديم اسم الجلالة} اللّهُ {على الفعل، ليؤكد أن الفاعل الحقيقي هو الله وحده.
·} يُحْيِيكُمْ {: هو الذي يمنحكم الحياة، فكيف يكون الدهر هو المعطي؟ الدهر وعاء، والله هو الموجد .أنتم أيها الدهريون تشاهدون بأعينكم كل يوم كيف يحيي الله العديد من المواليد! هذه آية كونية واضحة .فالبدء والإحياء أمر متجدد أمامكم.
·} ثُمَّ يُمِيتُكُمْ {: ثم هو الذي يسلبكم هذه الحياة بقدرته وعلمه، لا الدهر ولا الزمان .ولماذا ليس الدهر هو السبب؟ لأن الموت لا يأتي دائماً بتقدم العمر! فكم من صغير مات بحادث أو مرض، وكم من شاب مات في عنفوان قوته، وكم من هرم طال به العمر! الزمن مجرد مقياس، والله هو القابض للأرواح .فليس الدهر ولا الزمان هو التفسير أو المؤثر في ذلك، بل الله هو الذي أوجد الحياة وهو القادر على سلبها .إنه يخبرهم أنكم تشاهدون كيف أن الله يحيي ويقبض الأرواح كل يوم وفق سننه،

وليس الزمن هو الذي يسلب الحياة.

المحور الثاني: تحليل (ثُمّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ) – إعلان حتمية البعث والجزاء

· لماذا عطف ب- ثم (وما دلالتها في الاستدلال على البعث؟
· } ثمّ {هنا للترتيب الزمني البعيد ."بعد أن تحيوا ثم تموتوا، ستأتي مرحلة ثالثة هي الحتمية الكبرى: الجمع والبعث".
· وجه الاستدلال العظيم: إذا كنتم تقرون بأن الله هو الذي أبدعكم وأحياكم أول مرة) وهو ما لا ينكره عاقل لأنه يراه في المواليد(، وإذا كنتم تقرون بأنه هو الذي يميتكم) وهو الأمر المشاهد(، فكيف تستبعدون أن يعيدكم بعد موتكم؟ إنها نقلة منطقية مذهلة، ولكن أكثر الناس لا يعقلون! العقل السليم يقول: من أوجد أول مرة قادر على الإعادة، بل الإعادة أسهل في منطق البشر، والله يقول: }وَهُوَ الذِي يَبْدَأُ الخَلقَ ثمّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ .{فكيف تستبعدون عودة الإنسان إلى الحياة والله الذي خلقهم قادر على ذلك؟
· ارتباط الجمع ب- العدل الإلهي(:
· والسؤال لماذا الجمع؟ الجواب: لإقامة ميزان العدل .إن الله أقام الكون على العدل، وخلقه ب الحق .فمن العدل أن يجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته .وبما أن الدنيا لم تتحقق فيها العدالة الكاملة، بل نرى الظالم يصول ويجول، والمحسن مهمشاً مضطهداً، فلا بد من يوم يُعاد فيه الحق إلى نصابه .فالجمع ليوم القيامة هو من مقتضيات عدل الله وحكمته .وهذا يرد على شبهتهم: هم يريدون حياة بلا جزاء، بلا حساب، بلا قيود .وهذا هو الإفساد بعينه .إن العدل الإلهي يستوجب جمع الناس ليوم القيامة .العدل يستوجب يوم القيامة .وهذا هو العلم اليقيني الذي يفقده الماديون.

المحور الثالث: تحليل (لَا رَيْبَ فِيهِ) – سيف اليقين على الشك

· لماذا جاء نفي الريب بهذه الصيغة المؤكدة؟ وما الفرق بين العلم بالشيء واليقين به؟
· } لَا رَيْبَ فِيهِ {جملة اسمية تفيد التوكيد والثبات .ليس "لا ينبغي أن تشكوا"، بل هو "ليس فيه أي ريب البتة، لا الآن ولا في المستقبل" .إنها حقيقة ثابتة كجبال الأرض.
· وهنا يأتي فقه الفرق بين "العلم" و"اليقين" ."العلم" هو إدراك الحقيقة عن دليل .أما "اليقين" فهو استقرار هذه الحقيقة في القلب حتى لا يتزلزلها شك .الشك يفقِد العلم نوره ويجعله معلومات ميتة . أما اليقين فهو الذي ينتقل بالإنسان إلى رؤية الغيب كأنه شهادة، فيرى الإنسان أهوال ذلك اليوم من خلال ما ترسمه له الآيات في كتاب الله، فيتجاوز الدنيا وحياة البرزخ بنور بصيرته .هؤلاء الدهريون والملحدون فاقدون للعلم، ويعيشون في ظلمات الشك .والشك الذي يعيشون في ظلماته يجعلهم لا يرون) فأبصارهم عليها غشاوة(، ولا يسمعون) فعلى سمعهم ختم(، ولا يفقهون) فعلى قلوبهم أكنة .(هم في ظلمات، ونور اليقين بعيد عنهم.
· ونحن حين نملأ قلوبنا بهذا اليقين، ننتصر على كل خوف من الموت، وكل جشع في الدنيا، وكل قلق من الفوات .نعلم أن هناك لقاءً وجزاءً وعدلا ً.

المحور الرابع: تحليل (وَلَٰكِنّ أَكثَرَ النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) – تشخيص الداء ووصف الدواء

· لماذا وصفهم الله بأنهم) لَا يَعْلَمُونَ (رغم أنهم كانوا يسمعون ويرون؟
· لأن العلم المذكور هنا ليس مجرد حصول المعلومة، بل هو العلم النافع الذي هو ثمرة التأمل و التدبر والفقه عن الله} .لَا يَعْلَمُونَ {أي لا يتدبرون، ولا يتأملون في نهاية الأمور ومآلاتها) ما تصير إليه وما تؤول إليه (لأخذ العبرة والاستنتاج.
· ما هو العلم الحقيقي المطلوب؟ إنه يتطلب:
1. تحرير العقل من الأوهام والخرافات: أن يتحرر من فكرة تأثير الدهر، ومن عبادة المادة.
2. تحرير العقل من تسلط الشهوات والملذات: فالشهوة تعمي العين والبصيرة .هذا الإنسان لا يريد أن يكون هناك آخرة، لأن الآخرة تعني نهاية الملذات المحرمة، وتعني الحساب .فهو يتبع هواه، فاختار ألا يعلم!
· نتائج التدبر: عندما تتدبر وتحرر عقلك، ستشاهد آيات الله في الكون، وترى إنعامه سبحانه، وترى كيف خلق الإنسان والكون، فتدرك أن الإعادة في الصنع أسهل من الابتداء.
· ومن أعظم نتائج التدبر: أن تدرك أن المحسوس ليس شرطاً للإيمان بوجود الأشياء والتصديق بها . وهم يريدون دليلا ً حسياً) آباءهم أحياء(، فسألهم القرآن بسؤال العقلاء: كيف تفرقون بين العاقل و المجنون، وأنتم لا ترون العقل؟! الفارق هو الأثر: المجنون لا يضع الأشياء موضعها قولا ً أو فعلا ً، بينما العاقل يضعها في محلها .فالآثار تدل على المؤثر .وهكذا فإن إقامة الكون على العدل، وحركة السماوات والأرض، والموت الذي ينشئه الله ويتحكم فيه، كلها آثار تدل على الخالق الحكيم العادل

الذي لا بد أن يكون له ميزان وعدل، وهذا يوجب قاعدة للجزاء وهي اليوم الآخر .فالعلم بوجود اليوم الآخر ليس وهماً، بل هو نتيجة منطقية للتدبر في آثار العدل الإلهي في الكون.
· لماذا قال) أَكْثَرَ النَاسِ (ولم يقل) كل الناس(؟
· فيه إشارة إلى أن هناك من الناس من يتدبر ويعلم ويوقن، وهم الأقلية المؤمنة .وفيه تطمين للقلب المؤمن بأنك -وإن كنت قليلا ً- على الحق الذي يجهله الأكثرون .فلا تستوحش من قلة السالكين، ولا تغتر بكثرة الهالكين.

ثانياً: ماذا يريد الرب منا بهذه الآية؟

.1يريدك أن تكون ناطقاً بالحق، شجاعاً في إعلانه: علمك أن تقول} قلِ اللهُ .{لا تتهيب ولا تتردد . أنت تحمل من اليقين ما يجعلك تواجه به كل باطل .أنت لسان هذه الآية في أرض الواقع.
.2يريدك أن تؤمن إيماناً عميقاً بأن الحياة والموت بيده وحده: لا تخف من الموت لأنه قضاء الله، و لا تحب الحياة لذاتها بل لما يقربك إليه .ولا تخف من الأسباب) مرض، حادث، فقر (لأنها بيد مسبب ا لأسباب .تخلص من وهم "الدهر" الذي يسيطر على عقول الماديين، واملأ قلبك باسم الله} اللهُ يُحْيِيكُمْ ثمّ يُمِيتُكُمْ.{
.3يريدك أن تستيقن بيوم القيامة، فيكون هو البوصلة:} ثمّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ .{هذا اليقين هو الذي سينظم حياتك .ستمنعك من الظلم) لأنك ستُحاسب(، وتدفعك للإحسان) لأنك ستُثاب .(ستجعل الدنيا في يدك وسيلة، والآخرة في قلبك غاية.
.4يريدك أن تتحرر من سجن المادة إلى سعة الإيمان بالغيب: لا تكن مثلهم يشترطون إحياء آبائهم ليؤمنوا .العلم الذي يريده الله منك هو أن تستدل بالشاهد على الغائب، وبالآثار على المؤثر .أن ترى يد الله في الكون بالبصيرة لا بالعين فقط.

ثالثاً: الدروس والرسائل التربوية والنفسية والفكرية

.1الرسائل والمفاهيم النفسية) بناء اليقين النفسي وعلاج القلق(

· رسالة التحرر من "رهاب الموت" و"وهم الدهر":
· يتحدث علماء النفس عن "قلق الموت" عند الملحدين والماديين، فهم يرون الموت عدواً لا مفر منه، وفناءً مطلقاً .أما أنت فبهذه الآية تتحرر نفسياً .الموت ليس نهاية، بل هو مرحلة انتقال .أنت لا تخاف الموت كفناء، بل تستعد له كلقاء .واعتقادك أن الله هو الذي يميت) لا الدهر الأعمى (يجعل الموت حدثاً ذا معنى، واقعاً بحكمة وتقدير إلهي .هذا يريح نفسك راحة عظيمة.
· رسالة الطمأنينة في مواجهة الظلم:
· إذا رأيت الظالم يفلت من العقاب، والمسيء يسرح ويمرح، فقد يصيبك غم وكمد .هنا تأتي الآية لتصب في قلبك الطمأنينة:} ثمّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ .{لا تحزن، هناك محكمة عدل كبرى قادمة، وسينال كل ذي حق حقه .هذا اليقين يعطيك صبراً وتحملاً وهدوءًا نفسياً، لأنك تعلم أن الفصل ليس هنا، بل هناك.
· رسالة الشجاعة في إعلان الحق:
·} قلِ {أمر يبني فيك نفسية الشجاعة والثبات .لا تتردد في قول الحق لأنك تعلم أنك تبلغ عن الله . هذا يحررك من الخوف من ردود فعل الناس أو سخريتهم .أنت منفذ للأمر الإلهي، والله حسبك.

.2الرسائل والمفاهيم الفكرية) منهج التفكير والاستدلال(

· فقه "الاستدلال بالبدء على الإعادة":
· هذه الآية تؤسس لقاعدة فكرية عظيمة:} اللهُ يُحْيِيكُمْ {هذا هو البدء} ثمّ يَجْمَعُكُمْ {هذه هي الإ عادة .الإعادة أهون من البدء في منطق العقل .تعلم أن تستخدم هذه القاعدة في الرد على منكري البعث .إن خلق الإنسان من نطفة هو المعجزة الكبرى، وإعادته بعد موته هي أسهل .هذا يفند كل استبعاد للبعث.
· فقه "الاستدلال بالأثر على المؤثر في عالم الغيب":
· لا يمكن أن يطلب منك أحد دليلا ً حسياً على كل غيب) كالملاحدة .(الآية تعلمك منطقاً فريداً: استدل على الشيء بأثره الدال عليه .أنت لا ترى العقل، لكنك ترى أثره) الكلام المنظم، الفعل الحكيم(، فتدل على وجوده .كذلك لا ترى الله، لكنك ترى أثره: إحياء وإماتة، كوناً دقيقاً، عدالة مطلقة في نواميسه، فتدل هذه الآثار على ربوبيته وحكمته وتدبيره .وهذا هو العقل الذي يضع الأشياء في

مواضعها، بخلاف المجنون والمادي الذي لا يرى من الكون إلا مادته.
· فقه "بطلان التفسير المادي للإنسان والكون":
· تفسيرهم للموت بأنه "تأثير الدهر" هو تفسير خاطئ لا يصلح أن يُبنى عليه حكم .الدهر لا يصلح علة للموت، فالموت يأتي للصغير دون كبير، ولترف الحياة وبؤسها سواء .إنهم في ذلك لا يستندون إلى حجة أو دليل أو أسباب منطقية، بل يقوم قولهم على التوهم والتخيل .ولا يعتبر التخيل والتوهم سنداً أو دليلا ً .هذا درس فكري: لا تقبل تفسيراً لظاهرة كونية أو إنسانية لا يستند إلى وحي أو عقل سليم.

.3الرسائل والمفاهيم التربوية) تزكية العقل والإرادة(

· تربية العقل على التدبر والنظر إلى المآل:
· قوله} وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {يربي فيك "العلم" كمشروع حياة .العلم ليس كثرة معلومات، بل هو التأمل والتدبر عند تلقي الآيات، والتفكر في نهاية الأمور ومآلاتها .درب عقلك على ألا يقف عند ظاهر الحدث، بل أن يتجاوزه ليرى حكمة الله فيه، وغايته .هذا يجعلك صاحب بصيرة نافذة.
· تربية الإرادة على استقبال الآيات بالأدب والمنطق:
· الماديون استقبلوا آيات الله البينات باقتراح سخيف} ائتُوا بِآبَائِنَا .{هذا يكشف أن تلقيّهم خالٍ من الأدب والمنطق .تربية الإيمان هي أن تستقبل آيات الله) في القرآن والكون (بالخشوع والتواضع و التأمل في معانيها وأسرارها كي تصل إلى العلم .لا تكن كمثلهم تقترح على الله ما يشتهيه هواك، بل كن عبداً يستمع وينصاع.
· تربية النفس على أن تكون في "القلة العالمة" لا في "الكثرة الجاهلة":
·} وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .{تذكر أن كونك قلة لا يعني أنك على خطأ .رب نفسك على الصبر على طريق الحق، وعلى عدم التزحزح عنه لموافقة الأكثرية .الأكثرية كثيراً ما تكون على هوى، والقلة هي التي تسير على هدى.

رابعاً: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية؟ (التطبيق)

المحور الأول: الدروس العملية من الآية

.1في معركة الاستدلال على الإيمان:
· عندما يدعوك موقف ما للحديث عن الله أو عن اليوم الآخر، ابدأ من النقطة التي أرشدتك إليها الآية: الحياة نفسها!} اللَّهُ يُحْيِيكُمْ .{انظر إلى المواليد الجدد، إلى نبضة القلب، إلى ما يحدث كل يوم . هذا دليل حاضر لا يمكن إنكاره .استخدم هذا الدليل العملي الحسي للانتقال إلى الإيمان بالإعادة و البعث.
.2في تربية الأبناء على عقيدة البعث:
· لا تجعل التربية مجرد تلقين "آمنت باليوم الآخر" فقط .استخدم منهج الآية العملي: انظر يا بني ، من الذي أحياك؟ الله .من الذي يحيي هذه الشجرة؟ الله .هل الذي أحياها أول مرة يقدر على إحيائها بعد موتها؟ نعم .وهكذا يترسخ المبدأ في الذهن عملياً لا فلسفياً.
.3في مواجهة الشكوك والوساوس:
· إذا دخل عليك الشيطان من باب الشك في قدرة الله على البعث، فرد عليه بنفس منطق الآية: "كيف تشك في الإعادة، وأنت ترى البدء كل لحظة؟" .هذا الرد العملي السريع يطرد الشك قبل أن يستحكم.

المحور الثاني: كيف نعيشها في واقعنا المعاصر؟

· في مواجهة فلسفة "ما بعد الحقيقة":
· العالم اليوم يعيش في عصر يقول: "لا توجد حقيقة مطلقة، كل شيء نسبي" .هذه الآية ترد عليهم: بل هناك حقائق مطلقة .من قال إن الحياة أنشأها الدهر والطبيعة فهو لا يعلم .أما أنت فعندك الحقيقة:} اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ .{عش بهذا اليقين في عالم ضبابي، وكن صاحب الموقف الواضح.
· في التعامل مع ثقافة "عش يومك" و"الموت هو النهاية":
· الأفلام، والمسلسلات، والإعلانات، كلها تكرس فكرة "انسَ الموت وعش حياتك" .هذه الآية تجعلك تعيش عكس هذا التيار .أنت تعلم أن حياتك لها ما بعدها، وأنك ستُجمع ليوم عظيم .هذا يجعلك لا تنجرف مع تيار الاستهلاك واللهو، بل تجعل لكل عمل في حياتك وزناً أخروياً.

الخلاصة: إعلان اليقين في أرض الشك

أيها المؤمن،
لقد صاغ الله لك في هذه الآية سلاحاً فكرياً ونفسياً لا يُقهر. إنها صفعة على وجه العبثية والمادية. إنها إعلان بأن الكون ليس غابة، وأن الموت ليس فناء، وأن الحياة ليست فرصة عابرة. أنت تملك الجواب حين يُسأل السؤال الكبير: "ما معنى كل هذا؟". جوابك هو: {اللهُ يُحْيِيكُمْ ثمّ يُمِيتُكُمْ ثمّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ}.

انهض بهذا اليقين. ليكن شعارك العملي في كل صباح: "اللهم أنت المحيي المميت، وأنا عبدك الذي خلقته لتعبد، وسيميتك لتقبض، وستجمعني إليك لتجازي. فاللهم أحيني على طاعتك، وأمتني على شهادتك، واجمعني في زمرة أوليائك". عش بالآية، تنطق بها، وتستدل بها، وتطمئن بها، فهي حبل الله المتين، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها.

المبحث الثالث

أيها المؤمن، أيها المستعد للقاء الله،
ها نحن نقف الآن على عتبات مشهد من أهول مشاهد القرآن وأعظمها عبرة .لقد انتقل بنا القرآن نقلة نوعية عظيمة: بعد أن أقام الحجة على الماديين والملحدين، وأثبت بالمنطق والعقل قدرته على الإ حياء والإماتة والبعث، يأتي بنا الآن لندخل ساحة المحكمة الإلهية الكبرى .إنه لم يعد يخبرنا عن يوم القيامة فحسب، بل هو يجعلنا نعيشه، ونراه رأي العين، ونسمع صرير الأقلام وهي تكتب مصائر الأمم . إنها آيات ترج الأرض تحت قدميك رجاً، وتجعلك تشعر أن الساعة قد قامت عليك الآن، وأنك واقف تنتظر كتابك.

يقول الله جل جلاله، وبيده ملكوت كل شيء:

}وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تقومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ المُبْطِلُونَ(27) {
}وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ۚ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(28) {
}هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(29) {

تأمل، إنها ثلاث طرقات متتالية: الأولى تزلزل القلوب بإثبات الملك المطلق وإعلان خسارة كل باطل، و الثانية تريك الأمم جاثية على ركبها من الرعب، والثالثة تسمعك صوت الكتاب وهو ينطق بالحق .إنها آيات كفيلة بأن تجعل من يقرؤها بقلب حي أن يرتجف خوفاً وطمعاً، وأن يغير حياته من فوره . فلنعش هذا المشهد بكل جوارحنا، وكأننا نرى أنفسنا هناك، بين يدي الملك العدل، ننتظر كتابنا، ونترقب جزاءنا.

أولا ً: التحليل

الآية(27) : تحليل) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تقومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ المُبْطِلُونَ(

· لماذا بدأت الآية ب) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ(؟ وما علاقتها بإثبات البعث والقدرة عليه؟
· هذا هو الأساس الذي تبنى عليه كل الآيات التالية} .وَلِلَّهِ {خبر مقدم للتوكيد والاختصاص .فالله وحده، لا شريك له، هو مالك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما .الملك التام، والتصرف المطلق، لا يعجزه شيء، ولا يخرج عن سلطانه شيء .وذكر السماوات والأرض يدل على سعة الملك وعظمته.
· علاقتها بالبعث: من كان هذا ملكه، وهذه عظمة سلطانه، أيعجز عن إحياء ميت أو بعث عظام رميم؟! إنه استدلال هائل: إذا كنتم تقرون بملكه للكون كله، فكيف تنكرون قدرته على إقامة القيامة؟! إن الانتقال هنا مذهل: من الملك المطلق إلى إنفاذ العدل المطلق .لأن المالك الحقيقي لا بد أن يحاسب من هم في مملكته على أعمالهم .فالملك يستدعي الحساب، والقدرة المطلقة تستلزم البعث.
· تحليل) وَيَوْمَ تقومُ السَّاعَةُ (– استحضار المشهد الأكبر:
· الواو للعطف .و}يَوْمَ {ظرف زمان منصوب بفعل مقدر، أي: واذكر يوم تقوم الساعة.
· } تقومُ السَّاعَةُ {إنها القيام الكبرى، حين يبعث الله الناس من قبورهم، وتتشقق الأرض عنهم، ويقومون لرب العالمين .لفظ "تقوم" يرسم صورة الحركة المفاجئة الهائلة بعد سكون الموت .والتعبير "تقوم الساعة" يجعل الساعة وكأنها كائن حي يقوم ليفعل فعله بالناس .إنه مشهد كوني مهيب، تتحرك فيه كل ذرة في الوجود.
· تحليل) يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ المُبْطِلُونَ (– إعلان النتيجة الحتمية:

·} يَوْمَئِذٍ {أي: في هذا اليوم العظيم، لا في غيره.
·} يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ{: الإخبار بالخسارة الفادحة والهلاك المحقق للذين كانوا على باطل .الخسارة هنا خسارة مطلقة: يخسرون أنفسهم وأهليهم وأعمالهم .يخسرون النعيم، ويستبدلون به الجحيم .يخسرون الأعمال التي كانوا يتصورون أنها حسنة، فإذا هي هباء منثور، محبطة لا تنفعهم} .الْمُبْطِلُونَ {هم من اتصفوا بالباطل قولا ً وعملا ً واعتقادا ً .إنهم الذين اتبعوا الباطل وكفروا بالحق، الجاحدون بما أنزل الله على رسله من الآيات البينات .أولئك الذين كانوا يجادلون بالباطل، ويطرحون الحجج الواهية التي لا سند لها .مصيرهم في هذا اليوم هو الخسران المبين .فمن هو المبطل؟ إنه الذي كره ما أنزل الله فأحبط عمله.

الآية(28) : تحليل) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا (...– مشهد الحشر والعرض

· تحليل) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً (– صورة الذل والخضوع:
·} وَتَرَىٰ {خطاب للنبي ﷺ ولكل من يقرأ القرآن .كأن الله يجعلنا نرى هذا المشهد رأي العين من خ لال أعين قلوبنا .إنه يريدنا أن نستحضر هذا الموقف، فأنت تراهم الآن وكأنهم أمامك.
·} كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً{: جاثية اسم فاعل من جثا يجثو، وهو البروك على الركب .هذه هيئة الخائف الذليل، وهيئة المستعد للحساب والمنتظر للقضاء .لا أحد يقف شامخاً، الكل جاثٍ على ركبتيه، حتى الأ نبياء، من هول الموقف وعظمته .وفي الحديث: "إنه إذا جاء بجهنم فإنها تذكر زفرة تجعل كل واحد يجثو على ركبته، ويقول: اللهم نفسي نفسي" .فمن استشعار الحساب هذا الذي كانوا ينكرون حصوله في الدنيا، سوف يجعلهم يجثون ذلالا ً على ركبهم.
· هذا المشهد يغرس المسؤولية الجماعية والانتماء للأمة .كل فرد يحشر في أمته، مع من اتبع دينه ومنهجه .فانظر تحت أي لواء تحشر .وفيه أيضاً بيان أن التكذيب بالحساب لأجل الأهل والمال والأولا د أو الأنساب أو القبيلة أو الجماعة أو السلطان، لن تنفعهم شيئاً.
· تحليل) يَوْمَ تُدْعَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ بِإِمَامِهَا (– الارتباط بسورة الإسراء:
· هذه الآية ترتبط بقوله تعالى في سورة الإسراء:} يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ .{فكل أمة تدعى مع إمامها ونبيها ومع كتابها الذي أنزل عليه .فالأمة المحمدية تدعى والنبي محمد ﷺ أمامها، والأمة الموسوية مع موسى، وهكذا.
· تحليل) كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا (– مبدأ المسؤولية الفردية والجماعية:
·} كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا {أي: كتاب أعمالها .هنا تلتقي المسؤولية الجماعية) تدعى الأمة كلها (مع المسؤولية الفردية) كل فرد له كتابه الخاص الذي يدعى إليه .(إنه نداء علني مهيب: "يا أمة محمد، هلموا إلى كتبكم!" .وفي سورة الزمر تفصيل أوسع:} وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ .{فها هنا يأتي بالأنبياء ليشهدوا على قيامهم بالتبليغ، وتقوم الملائكة الذين كلفوا بتسجيل الأعمال ليشهدوا عليه .ويستلم كل إنسان كتاب أعماله وحسابه .فالساحة ساحة عدل لا ظلم، ساحة موازين بالعدل.
· تحليل) الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (– منطوق الحكم العادل:
· هذا هو النداء الذي يسمعونه عند تسلم الكتب:} الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .{إنه منطوق الحكم الإلهي} .الْيَوْمَ {هو يوم القيامة، يوم الفصل} .تُجْزَوْنَ {أي تعطون جزاء أعمالكم كاملا ً موفورا} .مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {أي: بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا .هذا هو الجزاء العادل الإلهي على الأعمال التي ارتكبوها في الدنيا من عمل .فمن عمل صالحاً كان له الثواب، ومن أساء فعليه إثمه .لا ظلم اليوم، بل هو غاية العدل الإلهي.

الآية(29) : تحليل) هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ (...– كتاب الأعمال وشهادة الحق

· تحليل) هَٰذَا كِتَابُنَا (– مواجهة العبد بعمله:
·} هَٰذَا كِتَابُنَا {أي: هذا كتاب أعمالكم الذي كتبته ملائكتنا بأمرنا .نسبه الله إليه تعظيماً وتفخيماً . يقال لهم هذا القول عند عرض الكتاب عليهم .إنه خطاب يواجهون به وجهاً لوجه مع سجل أفعالهم . لا مفر ولا مهرب.
· تحليل) يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ (– شهادة لا ترد:
·} يَنطِقُ عَلَيْكُم {استعارة عجيبة: الكتاب يتكلم! إنه ليس مجرد حروف، بل هو شاهد ناطق} .بِالْحَقِّ { أي بالصدق الذي لا شك فيه، وبالعدل الذي لا ظلم معه .إنه لا يزيد حرفاً ولا ينقص .هذا الكتاب هو الحجة الدامغة التي يسكتون معها .لم يعد هناك مجال للإنكار، فالكتاب قد أحصى كل شيء.
· تحليل) إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (– سر التوثيق الإلهي:
·} إِنَّا كُنَّا {توكيد مطلق} .نَسْتَنسِخُ {أي: نأمر الحفظة بنسخ وتسجيل أعمالكم .فكل عمل صغير أو كبير كان يُنسخ ويُثبت ويُحفظ في أم الكتاب .وهذا الإخبار هو تذليل لكل استبعاد: نحن لم نهملكم، بل كنا نراقبكم ونسجل عليكم .وهذا أبلغ في إثبات العدل: ليس الحساب مفاجأة ولا اتهاماً، بل هو توثيق دقيق من شهود أمناء.

ثانياً: ماذا يريد الرب منا بهذه الآيات؟

.1يريدك أن تستشعر ملكه المطلق، فتخضع له طواعية قبل أن تجثى رغماً: إنه مالك السماوات والأرض، فسلم له الأمر .لا تكن عبداً لهواك، فمن ملك السماوات والأرض سيجازيك.
.2يريدك أن تعيش بيقين يوم القيامة لا مجرد الإيمان النظري: أن ترى الأمم جاثية، وتسمع النداء، وتستشعر تسلم الكتاب .هذا الاستحضار هو الذي ينقلك من الغفلة إلى الجد والعمل.
.3يريدك أن تحاسب نفسك قبل أن تُدعى إلى كتابك:} كلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا .{كتابك الآن يُكتب، فماذا تريد أن يكون فيه غداً؟ حاسب نفسك في الدنيا، وخفف ثقل الكتاب بالتوبة الصادقة والعمل الصالح.
.4يريدك ألا تغتر بالأسباب الدنيوية) مال، أهل، سلطان(: في ذلك اليوم يجثو الجميع، ويقول الكل: "نفسي نفسي" .لن ينفعك أحد .فلتكن مراجعتك لنفسك خالصة من الآن.
.5يريدك أن تكون من أهل الحق، لا من المبطلين: نهاية المبطلين هي الخسران المبين .كن على يقين أن الباطل مهما علا وظهرت شوكته في الدنيا، فهو إلى خسار .وأنت إذا تشبثت بالحق، فأنت في طريق الفوز.

ثالثاً: الدروس والرسائل التربوية والنفسية والفكرية

.1الرسائل والمفاهيم النفسية) استشعار الرقابة وبناء الضمير(

· رسالة الحياء من الله: عندما تعلم أن كل عمل يُنسخ ويُسجل، تستحي من الله أن يراك حيث نهاك، أو يفتقدك حيث أمرك .هذا الاستحضار الدائم لـ} كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ {يبني فيك "ضميراً حياً" لا ينام.
· رسالة الرهبة والرغبة المتوازنة: مشهد الجثو على الركب، والخسارة، والنطق بالحق، كلها تولد في النفس "الخوف" المحمود من سوء الخاتمة، و"الرجاء" العظيم في رحمة الله أن ينجيك من هذا الموقف .هذه المشاعر المتوازنة هي وقود الطاعة.
· التحرر من "وهم القوة البشرية": ترى كل أمة جاثية، فلا جبروت، ولا سلطان، ولا مال .هذا يحررك نفسياً من هيبة الظالمين في الدنيا .فأنت تعلم أنهم غداً سيجثون مع الجاثين، فلا ترهبهم.

.2الرسائل والمفاهيم الفكرية) فقه العدالة الإلهية والتاريخ(

· فقه "العدالة المطلقة" وتطبيقاتها: هذه الآيات هي التجسيد العملي لقاعدة} أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ .{إنها تريك أن المساواة مستحيلة .العدل يقتضي كتباً تسجل، وشهوداً تشهد، وجزاءً يختلف . هذا يبني في عقلك تصوراً متكاملا ً عن عدل الله.
· فقه "الكتاب" كوثيقة تاريخية فردية: فكرة أن كل أمة تدعى إلى كتابها ترسخ أن التاريخ ليس فوضى، بل حركة أمم نحو غاياتها، وكل أمة مسؤولة عما عملت .هذا يعطيك رؤية فلسفية عميقة للتاريخ.
· إبطال منطق "الإنكار لعدم الرؤية": الملاحدة قالوا: لن نؤمن حتى نرى آباءنا أحياء .القرآن يرد: أنتم سترون يوم تقوم الساعة، لكنه يوم خسار لا يوم إنقاذ .اليقين قبل الرؤية هو عين الإيمان، أما الرؤية بعد فوات الأوان فهي حسرة.

.3الرسائل والمفاهيم التربوية) بناء الشخصية المسؤولة(

· تربية النفس على "محاسبة النفس اليومية": عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا" .هذه الآيات هي المنهج التربوي العملي لهذا الحديث .ضع لك دفتراً تحاسب فيه قلبك كل ليلة، قبل أن ينشر لك الديوان الأكبر.
· تربية النفس على "تحرير النية من الشوائب": الكفار كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم .درس تربوي: العمل الصالح قد يحبط بالكره والبغض لشرع الله .تأكد أن كل عمل صالح تعمله، تعمله "محبة" لله ولشرعه، لا لعلة أخرى، حتى لا يكون من الخاسرين.

رابعاً: كيف نعيش الآيات في حياتنا العملية وفي واقعنا المعاصر؟) التطبيق(

المحور الأول: الدروس العملية من الآيات

.1استحضار مشهد الجثو على الركب يومياً: قبل أن تبدأ يومك، أغمض عينيك قليلا ً وتخيل ذلك المشهد بقلبك: أنت جاثٍ، تنتظر كتابك .هذا الاستحضار القصير) دقيقة واحدة (يغير سلوكك طيلة اليوم .يجعلك تمسك لسانك، وتغض بصرك، وتنوي الخير.
.2مبدأ "التوثيق الشخصي للأخطاء": سِر على منهج} إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تعْمَلُونَ .{ضع لك دفتراً صغيراً تسجل فيه أخطاءك اليومية ومعاصيك .هذا الفعل "الاستنساخي" يجعلك ترى ذنوبك رأي العين، فتتوب منها واحدة واحدة .هو تدريب عملي لمواجهة "الكتاب" الأكبر.
.3قاعدة "لا تنفع الجماعة": عندما تخاف أن تعلن الحق، أو تتمسك بدينك خوفاً من فقدان جماعة أو قبيلة، قل لنفسك: "في ذلك اليوم، كل أمة جاثية .لا ينفعني أحد .حتى أهلي ومالي لن يغنوا عني من الله شيئاً" .هذا يحررك من الخوف من الناس، ويجعلك تتخذ قراراتك بناء على رضا الله فقط.

المحور الثاني: كيف نعيشها في واقعنا المعاصر؟

· في زمن "محو الذاكرة الأخلاقية": العالم يحاول أن يقنعك أنه لا شيء يستحق، وأن عش يومك . هذه الآيات تزرع فيك "ذاكرة أخلاقية حية" .أنت تتذكر أن كل شيء يُسجل، وأن هناك محاكمة كبرى قادمة .هذا يمنحك مناعة ضد الإباحية والانحلال.
· في مواجهة "الظلم العالمي": عندما ترى دولا ً وقوى عالمية تظلم وتسرق وتقتل وتفلت من العقاب، لا تيأس ولا تظن أن العدل معطل .تذكر} يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ {و} وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً .{هناك محكمة عليا قادمة لا يفلت منها أحد .هذا يعطيك صبراً استراتيجياً وثقة في مستقبل العدالة.

الخلاصة: عش في الدنيا وعينك على الآخرة

أيها المؤمن،
لقد أخرجك الله بهذه الآيات من قفص الزمان الضيق إلى ساحة الأبد الواسعة .لقد جعلك ترى مشهد القيامة وكأنه واقع أمامك .لقد سمعت النداء:} اليَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تعْمَلُونَ {وسمعت شهادة الكتاب: }يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالحَقِّ.{

فماذا أنت فاعل؟ هل ستعود إلى الدنيا غافلا ً؟ أم ستجعل هذه الآيات زاد قلبك، ونبراس عقلك، ومنهاج توبتك؟

اجعله شعارك: "اللهم يا مالك يوم الدين، ارحمني في ذلك اليوم .اللهم يسر حسابي، وثقل بالصالحات كتابي، وارزقني صحبة نبيك في المقام المحمود .واجعلني من الذين يؤتون كتابهم بيمينهم، لا من الخاسرين" .عش بهذا اليقين، وامض على بركة الله، فإنك في طريق إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

المبحث الخامس

ثم يحصل انقسام الناس بعد الحساب الى شقي وسعيد

اولا

أيها المؤمن المتلهف لرحمات ربه، والمشتاق للفوز برضوانه .لقد قطعنا سوياً رحلة عظيمة في أعماق سورة الجاثية، ورأينا كيف حاجّ الله الملحدين، ودمغ الباطل، وأزال الغشاوات، ثم أوقفنا في ساحة الحشر نرى الأمم جاثية والكتب تنطق بالحق .الآن، وقد أُغلقت الأبواب في وجوه المبطلين، يفتح الله لك باب الرجاء الواسع، ويضيء مصابيح البشرى في قلبك .إنها الآية التي تمثل "جائزة المسابقة"، و "نهاية السباق" المفرحة لمن وفّقه الله.

تأمل، يا عبد الله، أنت الآن بين يدي آية لو لم ينزل من القرآن غيرها لكانت كافية لأن تبيع بها الدنيا كلها .إنها آية تجمع الكنز كله: الإيمان، والعمل، والرحمة، والفوز .يقول الحق جل وعلا بعد أن حكم على المبطلين بالخسران:

}فَأَمَّا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) {الجاثية:.(30

لكأني بالله ينادي في الملأ الأعلى: "هؤلاء خاصتي، هؤلاء أحبائي، أبشروهم بالفوز قبل أن يقفوا للحساب!" .إنها الآية التي تجعل قلبك يرقص طرباً، وتسيل عيناك شوقاً، إنها نداء الأمان في يوم الخوف، ووصل الحب في يوم الفصل .فلنغص في بحر هذه البشارة العظيمة، ولنستخرج منها وقوداً

نسير به حتى نلقى الله وهو راضٍ عنا.

المقدمة والتفسير العام

بعد أن فصلت الآيات السابقة27) - (29حال الأشقياء والمبطلين، وكيف أنهم يخسرون في يوم القيامة ، وكيف تدعى كل أمة إلى كتابها لتجازى بما عملت، جاءت هذه الآية بالفاء التفريعية} فَأَمّا {لتبين ح ال السعداء المؤمنين .إنه تفصيل بعد إجمال، وبيان لمآل الفريقين .فالقرآن لا يتركك في رهبة المشهد وحده، بل يسوق لك البشرى فوراً لتشتاق إلى ذلك اليوم، لا لتخافه فحسب.

يقول الله تعالى: فأما المؤمنون بالله ورسله واليوم الآخر، الذين صدّقوا إيمانهم بالأعمال الصالحات، فإن جزاءهم أن يدخلهم ربهم ومربيهم وناصرهم في جنته الواسعة التي هي دار رحمته، فينعمهم فيها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .ذلك الجزاء هو الفوز العظيم الواضح الذي لا فوز بعده ولا يدانيه فوز .إنها بشارة عظيمة، تمحو من القلب كل تعب في طريق الطاعة، وتجعل المشاق هينة، لأن العاقبة هي هذا الفوز المبين.

أولا ً: التحليل

المحور الأول: تحليل) فَأَمّا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ (– شروط نيل الجائزة الكبرى

· لماذا بدأت الآية بـ) فَأَمّا(؟ وما دلالة هذا الحرف في السياق؟
·} فَأَمّا {هي "أمّا" الشرطية التفصيلية، التي تدل على تقسيم وتفصيل ما سبق .وهي هنا تقابل الفريق الثاني الذي لم يُذكر صراحة في الآية، لكن السياق يحدده .والمعنى: بعد أن ذكر حال المبطلين ، يُفصّل هنا حال المؤمنين .إنها فاء التعقيب الذي يأتي بالنتيجة مباشرة .كأن الله يقول: "هؤلاء إلى الخسران، وأما هؤلاء فإلى الفوز" .إنها تقسيم يريح قلب المؤمن ويُثبت قدمه، لأنه علم نصيبه في هذا التقسيم الإلهي.
· لماذا جمع الله بين) آمَنُوا (و)عَمِلُوا الصّالِحَاتِ(؟ وما العلاقة بينهما؟
· هذا هو سر الدخول في الرحمة .الإيمان ليس مجرد كلمة باللسان أو عاطفة في القلب، بل هو اعتقاد جازم يترجمه عمل صالح ظاهر} .آمَنُوا {يشير إلى الإيمان القلبي والعقائدي بكل ما أمر الله بالإ يمان به) الله، ملائكته، كتبه، رسله، اليوم الآخر، القدر} .(وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ {هو ثمرة هذا الإيمان .فالإ يمان أصل شجرة السعادة، والعمل الصالح فروعها وثمارها .ولا يمكن أن تنفع واحدة دون الأخرى . وكثيراً ما يقرن القرآن بين الإيمان والعمل الصالح، لأن الإيمان الصادق يدفع حتماً للعمل، والعمل الصالح هو الدليل على صحة الإيمان .إنهما جناحا الطائر الذي يطير بك إلى جنة الرحمن.
· دلالة استخدام صيغة الماضي) آمَنُوا (و)عَمِلُوا(:
· الفعل الماضي هنا يفيد التحقق والثبوت .لقد آمنوا إيماناً ثابتاً، وعملوا أعمالا ً صالحات قد خرجت إلى الواقع واستقرت .إنهم ليسوا في طور النية والتأرجح، بل هم ممن مضى عليهم شريط الحياة بهذه الصفات .وهذا تعليم لك أيها المؤمن: ليكن إيمانك وعملك الصالح شيئاً ماضياً في حياتك، مكتملا ً، ثابتاً، لا مجرد أمنية أو مشروع مستقبلي مؤجل.

المحور الثاني: تحليل) فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ (– جائزة الملك

· لماذا قال) رَبُّهُمْ (ولم يقل "الله" أو "الرحمن" هنا؟
· هذا هو صميم اللطف والحب!} رَبُّهُمْ {أي: ماليهم، وخالقهم، ومربيهم، والمنعم عليهم بنعمة الإيجاد والإعداد .في هذا الموقف المهيب، حيث الخلائق جاثية، يأتي النداء: "رَبُّهُمْ" هو الذي سيتولى جزاءهم بنفسه .إنه يشعرهم بالأمان والحب والقرب .الربوبية هنا ربوبية خاصة بالولاية والتكريم .سيدخلهم ربهم، لا مجرد ملك يدفعهم، بل المولى والسيد والمربي العطوف .ألا تشعر أيها المؤمن بهذه النسبة الشريفة؟ أنت غداً سيدخلك ربك، الذي رعاك في الدنيا، في رحمته في الآخرة.
· ما معنى) فَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَتِهِ(؟ ولماذا استُخدم) في(؟
·} يُدْخِلُهُمْ {فعل مضارع يفيد الاستقبال، ويُستحضر به المشهد وكأنه يحدث الآن .هو إدخال تكريم وتشريف.
·} فِي رَحْمَتِهِ {الرحمة هنا هي الجنة، أعظم مظاهر رحمة الله .والتعبير بـ} في {الظرفية يفيد الغمر والإحاطة الكاملة .إنهم لا ينالون مجرد شيء من الرحمة، بل هم يُغمسون فيها غمساً، ويحيط بهم كمال الرحمة من كل جانب، فلا يرون إلا النعيم، ولا يشعرون إلا بالسعادة .إنه الكون كله يصبح رحمة

بهم .وهذا الجزاء من جنس العمل: هم في الدنيا كانوا يعيشون في رحمة الله، فيطيعونه ويحبونه، فكان جزاؤهم أن أدخلهم في أعظم رحمة.

المحور الثالث: تحليل) ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (– ذروة الفلاح

· لماذا استخدم اسم الإشارة) ذَٰلِكَ (للبعيد للدلالة على هذا الجزاء؟
·} ذَٰلِكَ {اسم إشارة للبعيد، يُستخدم هنا للدلالة على عظمة المُشار إليه وسمو مكانته .إنه فوز عظيم المنزلة، رفيع القدر، بعيد المدى في العظمة والجلال .كأنه قيل: "ذلك الفوز الذي سمعتم به، والذي تعلقت به الأماني، هو هذا الذي أوجبناه لهم".
· ما معنى) الْفَوْزُ الْمُبِينُ(؟ وما سر وصفه بـ) المبين(؟
·} الْفَوْزُ {هو النجاة من المكروه والظفر بالمطلوب .والمؤمنون فازوا بالنجاة من النار، وبالظفر بالجنة ورؤية الله .إنه الفوز المطلق الذي لا يشوبه كدر.
·} الْمُبِينُ {أي: الواضح الجلي الذي لا شك فيه ولا ريب .فمن رآه أو حصل عليه، أدرك بوضوح أنه الفوز الحقيقي، لا فوز الصناديد في الدنيا بالأموال والسلطان .إنه فوز مبين في ذاته، ومبين لأصحابه أنه الفوز، ومبين لغيرهم من أهل الخسار ما حرموا منه .ووصفه بالمبين يفيد أنه لا مجال للمقارنة بينه وبين أي متعة دنيوية زائلة .إنه الحق الصريح، والفوز الذي لا مرية فيه.

ثانياً: ماذا يريد الرب منا بهذه الآية؟

.1يريدك أن تفرح وتستبشر: هذه الآية لك أنت أيها المؤمن، طالما أنك تحمل الإيمان والعمل الصالح . يريد الله أن يملأ قلبك فرحاً وسروراً، وأملا ً في لقائه .يريد منك أن ترفع رأسك، فأنت من أهل هذه البشارة.
.2يريدك أن تراجع إيمانك وعملك: هل إيمانك من النوع الذي يثمر عملا ً صالحاً؟ يريدك أن تصحح مفهومك للإيمان، وألا تفصل بينه وبين العمل .فالدخول في الرحمة معلق على الأمرين معاً.
.3يريدك أن تشعر بعبوديتك له شكراً: حين تعلم أن "ربك" هو الذي سيدخلك رحمته، تنبعث من قلبك دوافع الشكر والحياء .يريدك أن تعبده لأنه رباك وأوجدك وسيدخلك جنته.
.4يريدك أن تبيع الدنيا بالفوز المبين: حين تدرك أن هذا هو الفوز المبين، يهون عليك كل ما تفقده في سبيل الله .يريدك أن تزهد في الفوز الوهمي) مال، شهرة، منصب (وتطلب الفوز الحقيقي.

ثالثاً: الدروس والرسائل التربوية والنفسية والفكرية

.1الرسائل والمفاهيم النفسية) صناعة الأمل والرجاء(

· رسالة "الأمان في يوم الخوف": بينما العالم في الآيات السابقة يرتجف من هول} يَوْمَ تقُومُ السَّاعَةُ{، تأتي هذه الآية لتضع يدك في يد "ربك" الذي سيدخلك في رحمته .هذا يمنحك أمناً نفسياً عميقاً . أنت لست هناك وحدك، بل لك رب رحيم ينتظرك ليدخلك في رحمته .هذا الأمان يبدد كل قلق من المستقبل والمجهول.
· رسالة "التغلب على الخوف من الموت": الموت هو الطريق إلى هذه الرحمة .من يشتاق إلى هذا المشهد المهيب وإلى الفوز المبين، كيف يخاف من الموت؟ إنه يصبح لقاء الأحبة، وبداية النعيم المقيم.
· رسالة "تعزيز الذات الإيمانية": حين يصفك ربك بأنك من} الَّذِينَ آمَنُوا{، وأن مصيرك هو} الْفَوْزُ الْمُبِينُ{، فهذا يمنحك شعوراً بالقيمة والعزة .أنت لست نكرة، أنت من أحباب الله، وأنت من الموعودين بالفوز .هذه الطاقة النفسية الإيجابية تدفعك لمزيد من التميز في حياتك.

.2الرسائل والمفاهيم الفكرية) العدالة الإلهية المتكاملة(

· فقه "التفصيل بعد الإجمال": الآية الكريمة تكمل الصورة الفكرية للعدالة الإلهية .لم تقف عند تهديد المبطلين بالخسران، بل زفت البشرى للمؤمنين بالفوز .وهذا هو كمال العدل: كما بينت حال الأشقياء، بينت حال السعداء .لا يكتمل تصورك لعدل الله حتى ترى طرفي المعادلة .وهذا يجعلك على يقين تام بأن جزاء الله هو غاية الحكمة والعدل.
· فقه "الفوز الحقيقي": تعلمك الآية أن تعيد تعريف "النجاح" و"الفوز" .فوز الدنيا) وظيفة، مال، شهادة (هو فوز نسبي ناقص .أما الفوز الحقيقي المطلق فهو الذي وصفه الله بـ} الْمُبِينُ .{هذا المفهوم

الفكري يحررك من عبودية المقاييس البشرية للنجاح، ويجعلك تضع عينك على الجائزة الكبرى، فلا تفرح كثيراً بفوز دنيوي، ولا تحزن كثيراً على فواته.

.3الرسائل والمفاهيم التربوية) ربط العلم بالعمل(

· تربية الإرادة على "التحويل": الإيمان النظري يجب أن يتحول إلى عمل صالح .الآية تربي فيك النفور من الكسل والإيمان العاطل .إيمان بلا عمل سخيف ومردود على صاحبه .درب نفسك يومياً على تحويل النية الصالحة إلى فعل ملموس.
· تربية النفس على "المراقبة الإيجابية": علم أن الله هو} رَبُهُمْ {الذي رباهم ورعاهم، وهو الذي سيدخلهم رحمته .هذه الربوبية المحبة تجعلك تراقب الله رغبة في رحمته لا خوفاً من عقابه فقط . وهذا هو مقام الإحسان في التربية: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهو ربك الذي يعدك بالفوز.

رابعاً: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية وفي واقعنا المعاصر؟) التطبيق(

المحور الأول: الدروس العملية من الآية

.1في التغلب على الإحباط واليأس:
· قد تمر بك أوقات تشعر فيها بالإحباط، أو ترى كثرة الباطل وأهله، فيضيق صدرك .هنا عليك أن تتلو هذه الآية:} فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ .{هذا هو خط سيرك . العاقبة لك .الباطل وأهله إلى خسار، وأنت إلى فوز .هذا الاستحضار العملي ينسف اليأس والإحباط، ويجعلك تواصل المسير بهمة وثبات.
.2في مراجعة المحفظة اليومية للحسنات:
· اجعل لك في كل ليلة وقفة: ماذا أودعت في كتابي اليوم من} عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ{؟ هل هناك عمل صالح يدخلني في رحمة ربي؟ تذكر أن الكتاب ينطق بالحق، وأن الجائزة هي الرحمة .هذه المراجعة العملية تجعلك حريصاً على ملء صحيفتك بالمزيد من الصالحات، وتحويل كل حركة في حياتك إلى عبادة) نية + عمل صالح.(
.3في بناء ثقافة "البشارة" في محيطك:
· لا تكن ممن ينشر ثقافة الخوف والتهديد فقط .القرآن فيه آيات وعيد وآيات وعد .هذه من آيات الوعد العظيمة .اجعلها زادك في بث الأمل والرجاء في قلوب أهلك وأصحابك .ذكرهم بأن طريق الجنة واضح: إيمان وعمل صالح، وغاية الطريق: رحمة الله .هذا الأسلوب التربوي النبوي يبني النفوس على الحب والرجاء.

المحور الثاني: كيف نعيشها في واقعنا المعاصر؟

· في زمن "تغييب الآخرة":
· تعيش البشرية أزمة وجودية، لأنها تريد فوزاً دنيوياً بحتاً، وهذا لا يشبع الروح .أنت تعلم أن هناك فوزاً مبيناً ينتظرك .هذا يجعلك تعيش في الدنيا بمشاعر من ينتظر الترقية العظمى، لا بمشاعر من يخاف الفناء .هذا الأمل العملي يجعلك إنساناً مختلفاً، لا تلهث على سراب الدنيا كما يلهثون.
· في ظل الإخفاقات المتكررة:
· العالم يقيّمك على إنجازاتك المادية .قد ترسب، قد تفشل تجارتك، قد تخسر وظيفتك .لا بأس! معيار النجاح عندك ليس هذا .أنت تسعى للفوز المبين، وطريقه هو الإيمان والعمل الصالح .ما دمت على هذا الطريق، فأنت في عين الفوز .هذا المفهوم يحررك من ضغط "ثقافة الإنجاز" المادية المدمرة للنفس.

الخلاصة: نهاية السباق، وبوابة الأمل

أيها المؤمن الحبيب،
لقد ختم الله لنا هذا المقطع من السورة بهذه البشرى العظيمة ليجعل القلوب تخفق شوقاً، والأعين تدمع فرحاً .بعد أن أرانا جحيم الخاسرين، فتح لنا جنة رحمته، وقال لنا: هذا هو الفوز، لا ما تلهثون وراءه.

انهض الآن، وقد امتلأ قلبك رجاءً، وجدد العهد مع الله .قل له بلسانك وقلبك: "يا رب، أنا من} الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ {بفضلك لا بعملي، فاللهم اجعلني منهم، وأدخلني في رحمتك" .ابدأ يومك بهذه الآية، اختم ليلك بها .اجعلها مشعل نورك، فمن كان الله له ربًا، فإن رحمته له مصير .وهذا هو وعده، وهو لا يخلف الميعاد.

ثانيا

أيها المتدبر:

بعد أن عرض الله تعالى أهوال يوم القيامة، وجثو الأمم، ونطق الكتاب بالحق، وبيّن فوز المؤمنين برحمة ربهم، يلتفت الخطاب القرآني هنا التفاتة عجيبة، فينتقل من الحديث عن الغائب إلى خطاب الحاضر؛ من الإخبار عن الأمم السابقة والكافرين الماضين والآتين، إلى مخاطبة مشركي قريش وجهاً لوجه بصيغة} قُلْتُم .{إنه انتقال من الخبر إلى المواجهة المباشرة، ليجعلهم يشهدون على أنفسهم وهم في الدنيا، قبل أن يشهد عليهم الكتاب يوم القيامة .الآية تقول:

}وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) {الجاثية:.(32

يذكرهم الله بهذا الموقف في الدنيا: لقد كان يُقال لكم أيها المشركون: إن وعد الله بالبعث حق ثابت، وإن الساعة آتية لا شك فيها، فكان ردكم ليس إنكاراً قاطعاً لأنكم لا تملكون دليلا ً(، وليس تصديقاً، بل كان ردكم رد الحائر المتردد: "لا نعرف ما هي الساعة، إن نظن إلا ظناً، وما نحن بمتحققين متيقنين" .إنها آية تكشف مرض الشك الذي يعشش في قلوب المعرضين، وتفضح عجزهم عن بلوغ اليقين، لأنهم لم يستخدموا أدوات العلم التي منحهم الله إياها.

أولا ً: التحليل

المحور الأول: دليل الانتقال من الخطاب الخبرى إلى الخطاب المباشر

· كيف تم الانتقال؟ وما سر هذا الأسلوب؟

· لاحظ أن السياق قبل هذه الآية كان يتحدث بصيغة الغائب:} وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) {آية (24)، وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) {آية(25 ،} وَلِلهِ مُلْكُ السَمَاوَاتِ) {آية(27 ،} وَتَرَى كُلَّ أُمَةٍ جَاثِيَةً) {آية (28وفجأة، في هذه الآية، يلتفت الخطاب إلى صيغة المخاطب:} قُلْتُم{،} مَا نَدْرِي{،} نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ .{هذا هو الانتقال من الخطاب الخبري) الإخبار عن الغائبين (إلى الخطاب المباشر) مواجهة الحاضرين.(

· الحكمة من هذا الانتقال:

1. تبكيت الحاضرين: كأن الله يقول: "يا معشر قريش، أنتم الذين تفعلون هذا! لا تحسبوا أن الحديث عن أمم سابقة، بل هو عنكم أنتم".
2. إقامة الحجة عليهم: هم سمعوا الوعظ والإنذار، فلما جاءهم الحق قابلوه بهذا الشك، فجاء الخطاب ليجعلهم يشهدون على أنفسهم بهذا الرد العاجز.
3. إثارة الوجدان: الخطاب المباشر يقرع القلب بقوة، فأنت لست مجرد قارئ لحكاية، بل أنت جزء من الحدث .إنه يدعوك لتتأمل: هل أنا أيضاً أقول مثل قولهم؟

المحور الثاني: تحليل) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا (– حقيقة النذير

· ما هو) وَعْدَ اللهِ (هنا؟ وما دلالة وصفه بـ) حَقٌّ(؟

·} وَعْدَ اللهِ {هو ما وعد به من البعث والجزاء، وهو الحق الثابت الذي لا يتخلف .وقوله} حَقٌّ { تأكيد على أنه واقع لا محالة، فالله لا يخلف الميعاد.

·} وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا {تأكيد آخر، بل هو شهادة كونية: كل ما في السموات والأرض يشهد بأن الله حق وأن الساعة آتية .الذي خلق الكون قادر على إفنائه وإعادته.

· لماذا أُبرز هذا القول) إذا قيل (بصيغة المبني للمجهول؟

· للإشارة إلى أن هذا القول تكرر عليهم كثيراً، على ألسنة الرسل، وفي الكتب المنزلة، وعلى ألسنة المؤمنين .إنه نداء الحق الذي يسمعه الكافر في كل زمان ومكان، لكنه يعرض عنه.

المحور الثالث: تحليل) قُلتُم مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إن نَظُنُّ إلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (– الشك المَرَضي وليس الجهل البسيط

· تحليل) مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ (– إعلان العجز عن المعرفة:
· لم يقولوا "لا نؤمن بها" أو "هي باطلة"! لا ..قالوا:} مَا نَدْرِي .{هذه الكلمة تدل على أنهم لا يستطيعون الجزم بنفي ولا إثبات، هم في حيرة .وهذا يبين أنهم ليسوا جازمين بالإلحاد، بل هم متوقفون، والسبب في هذا التوقف ليس نقصان الأدلة بل مرض القلب.
· تحليل) إن نَظُنُّ إلَّا ظَنًّا (– اعتراف صريح بأنهم يتبعون الظن لا العلم:
· لاحظ أسلوب الحصر:} إن {النافية و} إلّا .{أي: "ما نحن إلا ظانون ظناً" .إنهم يعترفون بأنهم لا يملكون دليلا ً ولا برهاناً، بل مجرد ظن وتخمين.
· والآية التي قبلها) آية (24 قالت عنهم:} وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ .{فهذا وصفهم في كلا الموقفين: لا علم لهم، بل ظن .فإذا كانت حياتهم مبنية على الظن، وإيمانهم بالآخرة معدوماً بسبب الشك، فهم في تيه فكري لا يخرجون منه أبداً.
· تحليل) وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (– ذروة الاعتراف بالمرض:
· اليقين هو العلم المستقر في القلب الذي لا تزلزله شبهة .هم يقولون: "نحن لسنا من أهل اليقين" . هذا اعتراف خطير؛ فهم يصفون أنفسهم بأنهم خالون من الإيمان القلبي، خالون من الطمأنينة، خالون من النور .والسبب أنهم لم يستعملوا أدوات العلم التي أعطاهم الله إياها) السمع والبصر والفؤاد (في طلب الحق، بل استعملوها في التكذيب والغرور.

ثانياً: ماذا يريد الرب منا بهذه الآية؟

.1يريدنا أن ننظر إلى حقيقة الكفر: الكفر ليس دائماً جحوداً وجرأة، بل قد يكون شكاً وتردداً وظناً . المطلوب ليس مجرد عدم الإنكار، بل اليقين الجازم.
.2يريدنا أن نبغض الشك الظني كما نبغض الجحود: كثير من المسلمين يعيشون في إيمان "ظني"، إيمانهم بالإسلام تقليد، لم يرتق إلى درجة اليقين .هذه الآية تناديك: لا تكن من أصحاب "إن نَظُنُّ إلَّا ظَنًّا"، بل كن من أهل اليقين} وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ.{
.3يريدنا أن نعرف خطر إهمال أدوات العلم: العقل والسمع والبصر والفؤاد نِعَمٌ لإدراك الحق، فإذا لم تُستخدم في طلب اليقين، صارت حجة على صاحبها، وعاش في شكوك وظنون.

ثالثاً: الدروس والرسائل التربوية والنفسية والفكرية

.1الرسائل النفسية:) تحرير النفس من سجن التردد(

· التردد مرض نفسي: هؤلاء المشركون كانوا في حيرة دائمة .التردد في الإيمان بالآخرة يجعل الإنسان يعيش في قلق وجودي؛ لا هو مستمتع بدنيا بلا وازع، ولا هو مطمئن بإيمان .الشك يجعله ممزقاً . لكن الإيمان بالآخرة يمنحك طمأنينة تامة.
· العلاج باليقين: إذا أردت الراحة النفسية، فاطلب اليقين .اجمع قلبك على التصديق الجازم بوعد الله، واجعل الآخرة نصب عينيك، تنجُ من براثن الشك.

.2الرسائل الفكرية:) منهجية التعامل مع الحقائق الغيبية(

· العقل يقبل الخبر الصادق: الغيبيات) كالبعث والجنة والنار (لا تُعرف بالحواس، بل بالخبر الصادق)الوحي .(المشركون طلبوا دليلًا حسيًا) إحياء الآباء(، ولما عجزوا رجعوا إلى الشك .أما المؤمن فيقبل الخبر الصادق ويوقن به، ويسعى لفهمه بعقله.
· الفرق بين العلم والظن: العلم يقوم على الدليل والبرهان والوحي، والظن يقوم على الوهم والتخمين . كثير من الشبهات المعاصرة ضد الإسلام ليست مبنية على علم، بل على ظن يلبس ثوب اليقين .تعلّم أن تسأل: "ما دليلك؟".

.3الرسائل التربوية:) تربية النفس على اليقين(

· اليقين ليس هبة فطرية فقط، بل مكتسب: المؤمن يزداد يقيناً بتدبر آيات الله في الكون والقرآن، وبتكرار النظر، وبالتعبد لله .فلا ترضَ من نفسك بمرتبة "ما ندري"، بل اسعَ إلى مرتبة "الذين يوقنون".

· محاسبة النفس: إذا وجدت نفسك تقول عن بعض الغيبيات "ما أدري"، فاعلم أن هذا نقص في الإ يمان، فبادر إلى علاجها بطلب العلم وسؤال الله اليقين.

رابعاً: كيف نعيش الآية في حياتنا العملية وفي واقعنا المعاصر؟

المحور الأول: الدروس العملية

.1في التعامل مع الشبهات: عندما تسمع شبهة حول الإسلام) مثلا ً: "كيف نصدق بعذاب القبر وهو غير مرئي؟"(، لا تردد هذه الشبهة في قلبك وتقف حائراً كقولهم} مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ{، بل اهرب إلى الله واسأله اليقين، واطلب العلم الذي يزيل الشك.
.2في بناء الإيمان الأسري: ربّ أبناءك على اليقين لا على التقليد .لا تقل لهم فقط "آمِنوا"، بل أرهم ا لأدلة، واغرس في قلوبهم عظمة الله وقدرته، حتى لا يكونوا من الذين} إِن نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا.{
.3في الدعوة إلى الله: إذا رأيتَ من يقول "لا أدري، ربما يوجد إله، ربما لا"، فاعلم أن هذا هو بعينه قول} إِن نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا .{ابدأ معه بترسيخ اليقين من خلال آيات الله في الأنفس والآفاق، وادعه إلى التفكر لا إلى الجدال.

المحور الثاني: في واقعنا المعاصر

· مواجهة اللاأدرية العالم اليوم يموج بتيار يقول: "لا يمكننا أن نجزم بوجود الله أو بصحة الأديان، نحن نظن فقط" .هذا التيار هو الامتداد المعاصر لقوله تعالى} إِن نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ .{ا لآية تكشف قبح هذا الموقف، وأنه ليس حياداً علمياً، بل هو مرض القلب وإعراض عن الحق.
· في عصر المعلومات المزيفة : الناس يظنون ظناً في الأخبار فيبنون عليها أحكاماً .القرآن يعلمك ألا تبني إيمانك ومصيرك على الظن .الإيمان بالله واليوم الآخر ليس ظناً، بل هو الحقيقة الوحيدة المطلقة.

الخلاصة:
أيها المؤمن، هذه الآية مرآة تعرض لك حالتين: حالة المشرك المتردد الذي يعترف بأنه لا يملك إلا الظن، فمصيره الخسران، وحالة المؤمن الذي آمن بوعد الله حقاً، وأيقن، فمصيره الفوز المبين .اسأل نفسك الآن: أين أنت من اليقين؟ هل الساعة في قلبك} لَا رَيْبَ فِيهَا{، أم تجد من نفسك قولا ً خفياً:} مَا نَدْرِي{؟

اجعل هذه الآية دافعاً لك لتطلب اليقين من الله، وتجدد إيمانك كل يوم، وتكون من عباد الله الذين قال فيهم:} وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ .{ذلك هو الفوز، وذلك هو النعيم
ثانيا
ها نحن نقف مع ثلاث آيات، هي بمثابة المشهد الختامي في حلبة الصراع بين الحق والباطل في هذه السورة المباركة. إنها الآيات التي تُسدل الستار على مصير الفريقين، وتعلن النتيجة النهائية للعبة الحياة التي لعبها المكذبون.

تأمل، يا رعاك الله، أنك الآن في رحاب آيات تتحدث عن "يوم الحصاد"، اليوم الذي تنكشف فيه الحقائق، وتُسفر فيه الوجوه، وتظهر فيه خفايا الصدور. يقول الحق جل وعلا:

{وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (33)
{وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ} (34)
{ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} (35)

إنها ثلاث ضربات متتاليات: الأولى (33) تريك ظهور قبائح أعمالهم وإحاطة العذاب بهم. والثانية (34) تسمعك منطوق الحكم: النسيان والنار. والثالثة (35) تعلن لك سبب الحكم، وتسد باب الرجوع. إنها آيات تملأ قلب المؤمن خشية وشكراً، وتجعل من يقرؤها يعيد حساباته ألف مرة قبل أن يلقى الله. فهيا بنا نقف مع كل آية وقفة المتأمل، ونستخرج منها ما يحيي القلب، ويسدد العقل، ويقوم السلوك.

المقدمة والتفسير العام

بعد أن عرضت السورة الكريمة حجج المبطلين، وردت عليها بالحجج الدامغة، وبعد أن أرانا الله مشهد الحشر حيث الأمم جاثية، والكتب تنطق بالحق، وبعد أن بين مآل المؤمنين إلى الفوز المبين، تأتي هذه الآيات الثلاث لتكمل المشهد من الجهة الأخرى، جهة من كذبوا واستهزأوا. إنها تصف اللحظة الحرجة التي ينتقلون فيها من الإنكار والاستهزاء إلى الصدمة واليقين المرّ. إنه مشهد تتجلى فيه العدالة الإلهية بأبهى صورها: فيوم القيامة تنكشف الحقائق، وتظهر خفايا الأعمال، ويُجزى كل إنسان بما كان يكسب.

الآيات تخاطب كل من يستهين بأوامر الله، ويسخر من آياته، وتقول له: تمهل، فغداً سترى ما كنت تسخر منه واقعاً أمام عينيك، وساعتها لا ينفع ندم ولا تنفع توبة.

أولا ً: التحليل

المحور الأول: تحليل الآية (33): {وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}

· تحليل (وَبَدَا لَهُمْ) – لحظة الانكشاف المهول:
· {بَدَا} أي: ظهر وانكشف واتضح اتضاحاً عظيماً. {لَهُمْ} اللام تفيد أن هذا الظهور خاص بهم، أي أنهم هم الذين يرون سيئات أعمالهم ماثلة أمامهم. هذه لحظة "الصدمة المعرفية"، حيث تتحول المعرفة الغائبة إلى مشاهدة حاضرة. في الدنيا كانت أعمالهم السيئة مستورة عنهم، مزينة لهم شيطانهم، أو كانوا يظنونها حسنة ويجادلون بالباطل، أما الآن فقد انكشف الغطاء، {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}.
· ما هي (سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) تحديداً؟
· {سَيِّئَاتُ} جمع سيئة، وهي كل قول أو فعل قبيح. {مَا عَمِلُوا} أي: التي عملوها في الدنيا. وهذا يشمل أموراً عدة:
1. أعمالهم القبيحة الظاهرة: كالشرك والكفر والظلم والفساد.
2. أعمالهم التي ظنوها حسنة: كما قال تعالى: {هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}. فالآن يرون أن ما ظنوه حسناً كان سيئاً مهلكاً.
3. جزاء وعقوبة تلك السيئات: فلفظ "سيئات" يشمل نفس الأعمال أو جزاءها. فبدت لهم عقوبات أعمالهم السيئة التي كانوا يستعجلونها استهزاءً.
· فالآية تبين ظهور سوء أعمالهم التي كانوا يظنونها حسنة، وظهور قبائح ما اقترفوه، وهذا غاية في الحسرة والندامة.
· تحليل (وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) – إحاطة العذاب ونهاية السخرية:
· {حَاقَ} أي: نزل وأحاط بهم. إنه ليس مجرد إصابة، بل هو إحاطة من كل جانب، فلا مفر ولا مهرب.
· {مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} أي: العذاب الذي كانوا يُنذرون به ويكذبون، ويستهزئون بمن يخوّفهم به. في الدنيا كانوا يسخرون من النار ومن عذاب الله ومن اليوم الآخر، فالآن أحاط بهم ذلك الشيء الذي كانوا يسخرون منه. وفي هذا منتهى العدل والجزاء من جنس العمل: كما كان الاستهزاء عادة دائمة لهم، صار العذاب محيقاً بهم دائمًا. وهذا يبين أن الله لا يظلمهم، بل هو جزاء وفاق. لقد {حَاقَ بِهِم} نفس العذاب الذي استهزؤوا به، فكانت سخريتهم هي ما جلب عليهم الهلاك.

المحور الثاني: تحليل الآية (34): {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ}

· تحليل (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ) – منطوق الحكم المهين:
· {وَقِيلَ} الفعل مبني للمجهول، ليدل على أن هذا النداء هو من قبل الله، أو من قبل الملائكة بأمره. إنه إعلان رسمي بالمصير.
· {الْيَوْمَ} هو يوم القيامة. {نَنسَاكُمْ} أي: نترككم ونهملكم في العذاب. النسيان هنا ليس بمعنى الغفلة (حاشا لله)، بل هو بمعنى "الترك"، أي: نترككم في النار تركاً لا رجاء معه، فلا نستجيب لدعائكم، ولا نرحمكم، ولا ننظر إليكم نظرة رحمة. وهذا هو الخذلان المطلق.
· تحليل (كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) – الجزاء من جنس العمل:

· هذا هو عين العدل. تشبيه التمثيل: كما أنهم في الدنيا نسوا أن هناك يوماً سيحاسبون فيه، فلم يعملوا له، بل عاملوه معاملة المنسي المتروك، فاليوم يعاملون معاملة المنسي المتروك في العذاب. هذا أسلوب قرآني عظيم يبين أن الجزاء مطابق للعمل. إنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ونسوا لقاءه فجوزوا بالنسيان.
· تحليل (وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ) – إعلان المقر النهائي:
· {مَأْوَاكُمُ} أي: مسكنكم ومقركم الذي تأوون إليه. إنه ليس سجنًا مؤقتًا، بل هو "مأوى" وإقامة دائمة. إنها النار، دار العذاب المقيم.
· تحليل (وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ) – قطع الأمل عن أي خلاص:
· {وَمَا لَكُم} نفي قاطع. {مِّن نَّاصِرِينَ} "مِن" زائدة لتوكيد النفي، أي: ليس لكم أي ناصر البتة. لا شفيع ، لا ولي، لا حميم. كل الأسباب التي كانوا يعتمدون عليها في الدنيا (مال، أهل، سلطان، أوثان) انقطعت. وهنا يتذكر المؤمن قول الله: {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}، فهذا هو النصير الحق في الدنيا والآخرة.

المحور الثالث: تحليل الآية (35): {ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}

· تحليل (ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ) – بيان سبب العذاب:
· {ذَٰلِكُم} إشارة إلى العذاب والنسيان والنار المتقدم ذكرها. {بِأَنَّكُم} أي: بسبب أنكم. هذا هو بيان العلة. إن الله لا يعذب بلا جرم، بل هو حكم صادر بعد إثبات التهمة، وتقرير الإدانة. وهذا غاية في العدل.
· تحليل الجريمة الأولى: (اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا):
· {اتَّخَذْتُم} أي: تعمدتم وصيرتم. إنها جريمة مزدوجة: الاستهزاء مع الإصرار والاعتياد. {آيَاتِ اللَّهِ} تشمل الآيات الكونية الدالة على عظمته، والآيات المتلوة المنزلة على رسله، وآيات الوعظ والإنذار. {هُزُوًا} أي: مهزوءاً بها، سخرية. لم يكتفوا بالكفر، بل تجاوزوا إلى الاستهزاء والسخرية. وهذا أشد أنواع العناد والتكذيب. فالآية تبين لنا شناعة هذا الفعل: إن الاستهزاء بآيات الله هو الذي أوصلهم إلى هناك.
· تحليل الجريمة الثانية: (وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا):
· {غَرَّتْكُم} أي: خدعتكم وأطغتكم. الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها وزمانها القصير، خدعتهم حتى ظنوا أنها كل شيء، وأن لا شيء بعدها، فانغمسوا في الملذات، ونسوا الآخرة. هذا هو الجذر الثاني للجريمة: الاغترار بالمادة الفانية. لقد غرتهم الدنيا ببهرجها حتى رأوا الباطل حقاً، والحق باطلاً.
· تحليل العقوبة النهائية: (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ):
· {فَالْيَوْمَ} الفاء للنتيجة، أي: نتيجة هاتين الجريمتين. {لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا} أي: من النار. خلود أبدي، لا خروج، لا موت، لا راحة. {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} أي: لا يُطلب منهم أن يستعتبوا، ولا يُدعَون إلى إرضاء ربهم بالتوبة وإصلاح العمل. والاستعتاب هو طلب العتبى (الرضا)، وقد أغلق باب التوبة، وانتهى زمن العمل. إنه إعلان بإغلاق الملف تماماً.

ثانياً: ماذا يريد الرب منا بهذه الآيات؟

.1يريدنا أن نستشعر خطورة الاستهزاء بالدين: قد يظن الإنسان أن مزحة عابرة على حساب الدين هينة، والله يقول: هذا سبب لدخول النار .يريدنا أن نعظم حرماته، ونحمي ألسنتنا وقلوبنا من الا ستخفاف بشيء من آياته.
.2يريدنا أن نعيش الدنيا على أنها مزرعة آخرة:} غَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا .{يريدنا ألا نخدع ببهرجها، فما هي إلا متاع قليل، يريدنا أن نأخذ منها زاداً للآخرة، لا أن نغرق فيها.
.3يريدنا أن نوقن بدقة العدالة الإلهية: الجزاء من جنس العمل .نسيانهم للقاء الله قوبل بنسيانهم في العذاب .استهزاؤهم بالدين قوبل بإحاطة العذاب بهم .هذا يزرع في القلب يقيناً لا يتزعزع بعدل الله.
.4يريدنا أن نسرع بالتوبة قبل إغلاق بابها:} وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ .{ما دمت في دار الاستعتاب) الدنيا(، فاستعتب ربك، وتب إليه، وأصلح عملك .فغداً سيغلق الباب، ولن ينفع ندم.

ثالثاً: الدروس والرسائل التربوية والنفسية والفكرية

.1الرسائل والمفاهيم النفسية) استشعار الخوف والرجاء المتوازيين(

· تربية القلب على "الخوف من سوء الخاتمة": عندما تقرأ {وَحَاقَ بِهِم مَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}، ترتجف نفسك خوفاً من أن تكون قد استهزأت بأمر من دين الله دون أن تدري. هذا الخوف يدفعك لمراجعة أفعالك وأقوالك، والتطهر من آثار الغفلة.
· تربية القلب على "الرجاء في النجاة": مقابل هذا المصير المظلم، تتذكر الآية السابقة (30) التي تدخل المؤمنين في رحمة الله. هذا التوازن بين الخوف والرجاء يجعلك في حالة عبودية دائمة؛ تخاف عدله، وترجو رحمته.
· التحرر من وهم "السخرية قوة": كثير من الناس يمارس السخرية من المتدينين ليشعر بالتفوق. الآية تبين أن المستهزئ هو في الحقيقة أذل الناس، وغداً سيكون في قاع النار. هذا يمنحك مناعة نفسية ضد ضغوط المستهزئين، فلا تخضع لهم، بل تشفق عليهم.

.2الرسائل والمفاهيم الفكرية) فقه الأسباب والنتائج(

· فقه "الجزاء من جنس العمل": الآيات تقدم قاعدة فكرية كبرى: عملك هو الذي يحدد مصيرك. {نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ}، {حَاقَ بِهِم مَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}. هذه القاعدة تجعلك تنظر إلى عواقب أفعالك قبل الإقدام عليها، فلا تزرع شوكاً وتنتظر وروداً.
· فقه "خداع الدنيا": {غَرَّتْكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا} يقدم تفسيراً نفسياً وفكرياً لأفعالهم. انجذابهم للمادة الفانية جعلهم يستهينون بالحقائق الأبدية. هذه القاعدة تعلمك أن تحلل موقفك من الدنيا باستمرار: هل هي في يدك أم في قلبك؟

.3الرسائل والمفاهيم التربوية) بناء شخصية الإجلال لله(

· تربية اللسان على الإجلال: الاستهزاء بالدين يبدأ بكلمة، ثم يصير عادة. ربّ لسانك على ألا ينطق إلا بما يرضي الله. علمه السكوت عن الخوض في آيات الله بغير علم أو بأدب. واجعل تلاوة القرآن واستماعه بخشوع علاجاً لمرض الاستهزاء.
· تربية النفس على اغتنام الفرص: {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} درس تربوي قاس: فرصة التوبة لها وقت محدد هو العمر. لا تؤجل توبتك. كل يوم تعيشه هو فرصة ذهبية لتستعتب ربك وتسأله الرضا.

رابعاً: كيف نعيش الآيات في حياتنا العملية وفي واقعنا المعاصر؟

المحور الأول: الدروس العملية

.1في التعامل مع الإعلام المستهزئ بالدين:
· اليوم نواجه إعلاماً وثقافات تسخر من أحكام الإسلام (الحجاب، الجهاد، الحدود). هذه الآية تمنحك الرد العملي: لا تنبهر ولا تحزن. هؤلاء مصيرهم {وَحَاقَ بِهِم مَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}. حصن قلبك، ولا تشارك في نشر هذه السخرية ولو كمزحة. واصل طريقك مطمئناً بأن العاقبة للتقوى.
.2في تربية الأبناء على حب الدين:
· علم أبناءك أن آيات الله عظيمة، وأن الاستهزاء بها من أكبر الكبائر. استخدم أسلوب القصص و التصوير لهذه الآيات لترسخ في قلوبهم هيبة الدين. اجعلهم يشعرون بأن السخرية من الدين ليست حرية، بل هي طريق إلى النار.

المحور الثاني: في واقعنا المعاصر

· في زمن "الاستهزاء تحت مسمى حرية التعبير":
· العالم اليوم يحمي المستهزئين بالمقدسات تحت شعار "حرية التعبير". هذه الآية تعلن بكل وضوح أن الاستهزاء بآيات الله ليس حرية، بل جريمة تستحق أشد العقاب. هذا الموقف القرآني يمنحك ثباتاً فكرياً وقيمياً، فأنت لا تنجر وراء هذه المفاهيم المغلوطة، بل تعرف أن للكلمة حدوداً، وأن للدين حرمة.
· في مواجهة "الاغترار بالحضارة المادية":
· {غَرَّتْكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا} يفسر الكثير من الانبهار بالغرب. حياتهم الدنيا بمظاهرها البراقة غرتهم، فظنوا أنهم على حق. أنت ترى ما لا يرون؛ ترى أن هذه الحضارة المادية الفاقدة للروح هي قنطرة إلى الهلاك. عش في الدنيا بعين من يرى حقيقتها، ولا تغتر ببهرجها، وازهد فيها تكن من الفائزين.

الخلاصة: انظر إلى العواقب تهن عليك المشاق

أيها المؤمن، بعد أن رأيت هذا المشهد الختامي، عُد إلى الدنيا وقد امتلأ قلبك يقيناً بأن الباطل مهما علا فمصيره إلى سقوط، وأن المستهزئين بدين الله مهما ضحكوا فمصيرهم إلى بكاء، وأن المخدوعين بالدنيا مهما اغتروا فمصيرهم إلى ندامة.

تشبث بدينك، واجعل هذه الآيات سيفاً تقطع به شكوك نفسك، ودرعاً تتقي به سهام المستهزئين. ليكن حبك لله ولدينه عظيماً، ولتكن غيرتك عليه شديدة. واسأل الله دائماً أن يحسن خاتمتك، وألا يجعلك ممن قال فيهم: {اليَوْمَ نَنسَاكُمْ}. اللّهم اجعلنا من عبادك الموقنين، الذين لا يستهزئون بآياتك، ولا تغرهم الحياة الدنيا، وارزقنا الفوز المبين برحمتك يا أرحم الراحمين.

المبحث السادس

أيها المؤمن، أيها السائر في دروب هذه السورة العظيمة، إننا نقف الآن عند الآيتين 36 و 37من سورة الجاثية، وهما ليستا مجرد خاتمة، بل هما "الإعلان الختامي" الذي يهز عرش الكون، و"النتيجة النهائية" لكل ما سبق من صراع بين الحق والباطل .لقد رأيت كيف جادل الله الملحدين، وكيف أقام الحجة على الماديين، وكيف أركع الأمم جاثية، وكيف حكم بالخسران على المبطلين والفوز للمؤمنين .وبعد كل ذلك، يأتي هذا النداء الخالد ليُنهي القضية، ويُسدل الستار، ويُعلن الحكم النهائي:

}فَلِلَّهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ(36) {
}وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ۖ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ(37) {

تأمل، إنها آيتان تملآن الوجود كله .كأن كل ما في السموات والأرض ينطق بهما، وكأن كل ذرة في الكون تعلن: الحمد لله، والكبرياء لله، والعزة والحكمة لله .إنهما "إمضاء إلهي" على صحيفة السورة، و "دستور حياة" لمن أراد أن يعيش لله .فلنقف معهما وقفة المتأمل المودع، ونستخرج منهما زاداً للقلب، ونوراً للعقل، وقوة للروح.

المقدمة والتفسير العام

بعد أن فصّلت السورة الكريمة كل تلك المعاني العظيمة، من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد، إلى مجادلة الملاحدة والدهريين والمشركين، وإقامة الحجج والبراهين الناصعة، وبعد أن أرانا الله مشاهد يوم القيامة، وفصل مصير الفريقين) المؤمنين إلى رحمة، والمكذبين إلى نار(، يأتي الختام المسك .إنه بمثابة "الإمضاء الإلهي" على كل ما ورد في السورة .إنه إعلان أن الحمد لله على كل حال، وأنه هو المستحق للحمد وحده، وهو صاحب الملك والجلال والجبروت.

الآية الأولى (36) تعلن نتيجة كل ما سبق:} فَلِلَّهِ الحَمْدُ .{فبعد كل هذه البراهين، يثبت أن الله هو المستحق للحمد كله، لأنه الخالق والمالك والمدبر .الآية الثانية (37) تقرر مبدأً عظيماً يكمل معنى الحمد:} وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ .{فالكبرياء الحقة ليست للمتكبرين في الأرض، بل هي لله وحده، وهو العزيز الذي لا يُغلب، الحكيم في كل فعل.

إنهما آيتان تناديان كل خلية في كيانك أن تخضع، وتسجد، وتعلن أن الأمر كله لله .بعد أن رأيت مصارع الغرور، ومهالك الاستكبار في السورة، يأتي الخطاب ليقرر أن الكبرياء الحقيقية ليست للمتكبرين في الأرض، بل هي لله وحده .إنه خاتم يليق بجلال السورة، يملأ قلب المؤمن سكينة وتعظيماً، ويملأ قلب المتكبر رعباً ووجلا ً.

أولا ً: التحليل

المحور الأول: تحليل الآية(36) :} فَلِلَّهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ{

. دلالة الفاء في} فَلِلَّهِ{: رابط النتيجة بالسبب.
الفاء هنا تفيد التعقيب والسببية، وهي الرابط العجيب بين كل ما مضى من السورة وبين هذا

الختام .وكأن الله يقول: "بعد أن رأيتم الأدلة القاطعة على قدرتي، وبعد أن شاهدتم مصارع المكذبين وفوز المؤمنين، فاعلموا أن الحمد كله، لا شريك فيه، واجب لله وحده" .إنها فاء النتيجة الحتمية: إذا كانت هذه أفعاله، وهذا حكمه، وهذا عدله، فهذا يوجب أن ينفرد سبحانه بالحمد المطلق.

· تحليل} الحَمْدُ{: استغراق الثناء لله.

} الحَمْدُ {معرف بالألف واللام، وهو من صيغ العموم والاستغراق .أي: كل حمد، وكل ثناء، وكل مدح، في الماضي والحاضر والمستقبل، فهو لله وحده .هو المحمود على نعمة الخلق، ونعمة الوحي، ونعمة الهداية، ونعمة الإماتة والإحياء، ونعمة إقامة العدل يوم القيامة .هو المحمود على كل ما ورد في السورة من حجج وبراهين، وعلى كل ما في الكون من آيات.

· لماذا اقترن الحمد هنا بوصف} رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ{؟

هذا الاقتران يجيب على سؤال قد يثور في الذهن: "لماذا يستحق الله الحمد؟" .الجواب: لأنه} رَبِّ السَّمَاوَاتِ{، مالكها ومدبرها، وفيها من الكواكب والنجوم والمجرات ما يبهر العقول .وهو} رَبِّ الأَرْضِ{، وفيها من الجبال والبحار والأنهار والنبات والحيوان والإنسان ما لا يحصى .ثم يعمم:} رَبِّ العَالَمِينَ{، أي رب كل ما سواه من العوالم .فمن كان هذا شأنه، وهذا ملكه، وهذه قدرته، استحق أن يكون الحمد كله له .إنه تذكير للملحدين والماديين الذين تحدثت عنهم السورة بأن رب هذا الكون العظيم هو المستحق للحمد، لا ما اخترعوه من آلهة وأهواء ودهر.

· الربوبية هنا ربوبية خاصة وعامة:

} رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ {ربوبية خاصة لأعظم مخلوقين، و}رَبِّ العَالَمِينَ {ربوبية عامة لكل ما في الكون .فالله هو ربكم أيها المكذبون، ورب المؤمنين، ورب كل شيء .هذه الربوبية هي التي توجب عليكم الحمد والشكر والعبودية.

المحور الثاني: تحليل الآية(37) :} وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ۖ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ{

· تحليل} وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ{: إعلان التفرد بالعظمة الحقة.

} الكِبْرِيَاءُ {هي العظمة، والملك، والجلال، والعلو المطلق .و}لَهُ {تفيد الاختصاص .فالكبرياء الحقيقية، التي لا يشوبها نقص، ولا يعتريها ذل، هي لله وحده .أما كبرياء البشر فهي زائفة، مهما تجبر فرعون أو هامان أو قارون، فإنها تنتهي إلى ذل وخسران .وقد رأينا في السورة كيف أن المتكبرين المستهزئين مصيرهم النار والنسيان .فالكبرياء لله وحده، ومن نازعه إياها قصمه .وفي الحديث القدسي: "الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار".

· تحليل} في السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ{: سريان الكبرياء في الوجود كله.

هذه الجملة تفيد أن كبرياءه ظاهرة في كل مكان، في السماوات والأرض .في السماوات: الملائكة تسبح بحمده وتخافه .وفي الأرض: كل ذرة تشهد بعظمته .فكيف يتكبر هذا الإنسان الضعيف، الذي خلق من نطفة، ويحمله الهواء، ويقتله الشرك؟ إن كبرياء الله محيطة به من كل جانب، وهو لا يشعر! فمشهد الكبرياء الإلهية في الكون يذل كل جبار، ويسحق كل متكبر.

· تحليل} وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ{: ختام السورة باسمين عظيمين.

هذا هو الإمضاء النهائي} .العَزِيزُ {أي: الغالب القاهر الذي لا يغلب، العزيز الذي لا يرام جنابه .لقد كان في السورة ذكر للملاحدة والماديين والمشركين، وكانوا في عزة وقوة في الدنيا، فجاء الاسم} العزيز { ليبين أن العزة الحقيقية لله، وكل عزة سواها ذل} .الحَكِيمُ {أي: ذو الحكمة البالغة في خلقه وأمره وشرعه وقضائه .فكل ما ورد في السورة من حجج، ومن مشاهد يوم القيامة، ومن تفصيل للجزاء، هو من حكمته البالغة .فالعزة والقدرة مقرونة بالحكمة والعدل .إنه ليس عزيزاً جباراً بلا حكمة، بل هو عزيز يقهر بحكمة، وحكيم يضع الأشياء في مواضعها بعزة .إنهما اسمان كريمان يختمان السورة ختاماً يليق بجلالها.

ثانياً: دلالة الاختتام بهاتين الآيتين) الخاتمة المسكية للسورة(

لتتصور، أخي، أن السورة كلها بناء محكم، وهاتان الآيتان هما القبة العالية التي تتوج هذا البناء، وإليك دلالات هذا الاختتام:

.1رجوع إلى نقطة البداية) رد العجز على الصدر(:

السورة بدأت بتنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) الآية .(2 وها هي تختم بـ} وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ .{هذا الرديف البديع يجعل السورة كالحلقة المتصلة، وكأن أولها يفضي إلى آخرها، وآخرها يثبت أولها .كأن السورة كلها تدور حول محور واحد: "الأمر كله لله العزيز الحكيم".

.2إعلان النتيجة النهائية للصراع بين الحق والباطل:
بعد أن رأينا صراع الحق والباطل في السورة، يأتي الختام ليعلن: "انتهى الصراع، والحمد لله الذي نصر أولياءه وقهر أعداءه" .فآية} قُلِهِ الحَمْدُ {هي بمثابة إعلان النصر الإلهي .لقد حمده المؤمنون في أول السورة وآخرها، وحمده الملائكة، وحمده كل شيء .أما الكافرون فقد خرسوا عن الحمد، وأدخلوا النار .فالحمد لله الذي قطع دابر القوم الذين ظلموا.
.3تثبيت عقيدة التوحيد في أعلى مراتبها:
التوحيد ليس فقط "لا إله إلا الله"، بل هو "لا حمد إلا لله"، "ولا كبرياء إلا لله"، "ولا عزة إلا ب الله" .السورة أرادت أن تقتلع جذور الكفر) اتباع الهوى، عبادة المادة، الاستكبار، الاستهزاء .(وختمت بهاتين الآيتين لتزرع في قلبك التوحيد الخالص: أن تعظم الله، وأن تحمده، وأن تعلم أن العزة و الكبرياء له وحده.
.4جمع صفات الكمال:
الحمد والربوبية والملك والكبرياء والعزة والحكمة .هذه ست صفات عظيمة، تجمع صفات الأفعال)الربوبية، الملك (وصفات الذات) العزة، الحكمة، الكبرياء (وصفات الاستحقاق) الحمد .(إنه ختام يليق بكتاب الله، يختم به سورة من سوره، ليبقى القلب معلقاً بالله وحده.

ثالثاً: ماذا يريد الرب منا بهاتين الآيتين؟

.1يريدنا أن نحمده: يريد أن تلهج ألسنتنا وقلوبنا ب.} قُلِهِ الحَمْدُ .{أن نحمده على نعمة الإيمان التي قصت علينا السورة خبر من حُرموها، ونعمة اليقين، ونعمة اتباع الشريعة .أن نحمد الله على أن جعلنا مسلمين، وعلى أن هدانا لهذا الدين.
.2يريدنا أن نتواضع ونخلع ثياب الكبر:} وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ .{إذا علمنا أن الكبرياء لله وحده، وجب علينا أن نكون عند ربنا من المتواضعين .لا نتكبر على الحق، ولا على الخلق .فأصل المعصية هو الكبر، وعلا جها في هذه الآية.
.3يريدنا أن نوقن بعزته وحكمته: في زمن قد يظن فيه المؤمن أن أهل الباطل هم الأعزاء، تأتي }وَهُوَ العَزِيزُ {لتثبيته .وتأتي} الحَكِيمُ {لتذكيره أن في تأخير النصر حكمة .يريدنا أن نطمئن، وأن نعلم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن ما يجري في الكون يجري بحكمة بالغة.

رابعاً: الدروس والرسائل التربوية والنفسية والفكرية

.1الرسائل والمفاهيم النفسية) السكينة والتعظيم(

· رسالة السكينة والرضا:} قُلِهِ الحَمْدُ {تعلمك الرضا .إذا حمدت الله على كل حال، زالت عنك وساوس السخط والقلق .أنت تحمد رب السماوات والأرض، فعلامَ القلق؟! هذا الحمد يملأ نفسك سكينة.
· رسالة التواضع والتحرر من عقدة العظمة:} وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ {تعالج في النفس البشرية داء الكبر وحب الظهور .أنت لست شيئاً، والكبرياء لله .هذه القناعة النفسية تجعلك متواضعاً، والناس يحبون المتواضع، وتجعلك حراً من قيود "الأنا" المتضخمة.

.2الرسائل والمفاهيم الفكرية) شمولية العقيدة(

· فقه اختتام السور: تتعلم أن القرآن ليس كلاماً مرسلا ً، بل هو بناء محكم .بدأت السورة ب }العَزِيزِ الحَكِيمِ {وختمت بهما، لتعلم أن الأمر كله بيد عزيز حكيم .هذا يكسبك نظرة شمولية للقرآن ككتاب متناسق.
· فقه معنى "الكبرياء" في ميزان الإسلام: الكبرياء لله، والمسلم عزيز بالله، لا متكبر .هناك فرق بين العزة الإيمانية) وهي ثقة بالله واستعلاء على الباطل (والكبر) وهو بطر الحق وغمط الناس .(الآية تفرق بينهما: كن عزيزاً بإيمانك، ولا تكن متكبراً.

.3الرسائل والمفاهيم التربوية) تزكية اللسان والقلب(

· تربية اللسان على الحمد: واظب على أن تختم كل مجلس وكل صلاة وكل عمل بقولك} الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ .{تذكر أن هذا هو ختام السورة، فاختتم به يومك.
· تربية القلب على التوحيد: استشعر معاني الحمد والكبرياء والعزة والحكمة لله .فهذه العبادة القلبية هي جوهر الإيمان.

خامساً: كيف نعيش الآيتين في حياتنا العملية وفي واقعنا المعاصر؟

المحور الأول: الدروس العملية

.1استشعار الحمد في كل نعمة: إذا أصابك خير، أو دُفِعَ عنك شر، فبادر فوراً إلى قول} فَلِلّهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ .{اجعله شعارك لكل نعمة.
.2تواضع في معاملاتك: إذا راودك شعور بأنك أفضل من غيرك، فاذكر} وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ .{اسجد لله، واخدم عباده، واغضض من جناحك للناس.
.3لا تخف من طاغوت: إذا هددك متكبر، فردد} وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ .{ثق بأن العزة لله، وأنه سيكفيكه بحكمته.

المحور الثاني: في واقعنا المعاصر

· في زمن "فردوس الأرض" المزعوم: يحاولون إقناعك أن الجنة هنا، والحمد للبشر .أنت تقول:} فَلِلّهِ الحَمْدُ .{الجنة والنعيم الحقيقي من الله، وليس فيما يصنعه البشر.
· في ثقافة "حب الذات" وتقديس "الأنا": العالم يدفعك لتكون متكبراً، لتحب ذاتك وتعظمها .والآية تصرخ فيك:} وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ .{تحرر من عبودية الأنا، واجعل تعظيمك لله وحده.

الخلاصة: ختام المسك وبداية العمر بالله

أيها المؤمن،
لقد انتهت رحلتنا مع سورة الجاثية .بدأناها بالتنزيل من العزيز الحكيم، وختمناها بالحمد لله رب العالمين، وله الكبرياء، وهو العزيز الحكيم .لقد كان هذا الختام بمثابة "إعادة ضبط" للقلب: ألا يتعلق إ لا بالله، وألا يحمد إلا الله، وألا يعظم إلا الله.

انهض وقد امتلأ قلبك يقيناً، ولسانك حمداً، وروحك خشوعاً .اجعل هاتين الآيتين نبراسك: تحمدهما في سرائك وضرائك، وتستشعر بهما عزة الله وكبرياءه، فلا تذل إلا له، ولا تخشى سواه.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المراجع والمصادر

.١مراجع التفسير التراثية) أمهات التفسير بالمأثور والرأي(

· تفسير الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (– لابن جرير الطبري) ت310 هـ .(وهو العمدة في التفسير بالمأثور، وقد تم الاعتماد عليه في بيان أقوال السلف وأسباب النزول.
· تفسير ابن كثير) تفسير القرآن العظيم (– لابن كثير) ت774 هـ .(تم الاعتماد عليه في تحرير المعاني والجمع بين الأقوال.
· تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن (– للقرطبي) ت671 هـ .(مرجع أساسي في استنباط الأحكام الفقهية والتربوية من الآيات.
· تفسير الرازي) مفاتيح الغيب (– للفخر الرازي) ت606 هـ .(مصدر رئيسي في تحليل الحجج العقلية والكلامية والرد على الشبهات المادية.
· تفسير الزمخشري) الكشاف (– للزمخشري) ت538 هـ .(عمدة في إبراز أوجه البلاغة والنظم القرآني.
· تفسير ابن عطية) المحرر الوجيز (– لابن عطية) ت542 هـ .(مرجع محرر جامع بين المأثور والتحرير اللغوي.
· تفسير البيضاوي) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (– للبيضاوي) ت685 هـ .(تم الاعتماد عليه في تحليل دلالات الحروف المقطعة وأسماء الإشارة.
· تفسير الألوسي) روح المعاني (– للألوسي) ت1270 هـ .(مرجع موسوعي جامع لأقوال المتقدمين و المتأخرين مع تحقيقات بلاغية دقيقة.
· تفسير الثعالبي) الجواهر الحسان (– للثعالبي) ت875 هـ .(تمت الإشارة إليه في تفسير آية التحدي.
· تفسير الماتريدي) تأويلات أهل السنة (– للماتريدي) ت333 هـ .(تم الاعتماد عليه في تحليل دلالات العطف بين "الحديث" و"الآيات".

.٢مراجع التفسير الموضوعي والتحليلي المعاصر

· في ظلال القرآن – لسيد قطب .مرجع أساسي في التحليل الموضوعي والتصوير الفني لسياقات السورة، خاصة في وصف مشهد المحاكمة الإلهية وطغيان المادية.
· تفسير المنار) تفسير القرآن الحكيم (– لمحمد رشيد رضا .تم الاعتماد عليه في إبراز هداية القرآن ورد الشبهات العصرية.
· تفسير التحرير والتنوير – للطاهر بن عاشور .مرجع معاصر موسوعي يجمع بين مقاصد الشريعة و التحليل البلاغي واللغوي والتنظير الحضاري، وتم الاعتماد عليه في تحليل مفاهيم "التمكين" و"سلب النعمة" وموقع الآيات من السياق العام.
· تفسير السعدي) تيسير الكريم الرحمن (– لعبد الرحمن السعدي .تم الاعتماد عليه في استخلاص الدروس العملية والتربوية.
· تفسير الشعراوي) خواطر الشعراوي (– لمحمد متولي الشعراوي .تمت الاستفادة من منهجه في تبسيط المعاني العميقة وربطها بواقع الحياة.

.٣مراجع اللغة والبلاغة والنقد الأدبي

· دلائل الإعجاز – لعبد القاهر الجرجاني) ت471 هـ .(الأصل المؤسس لنظرية النظم، وتم الاعتماد على نظريته في تحليل "الصدمة الإيجابية" للحروف المقطعة وبناء النص القرآني كبناء هندسي معجز.
· معجم مفردات ألفاظ القرآن – للراغب الأصفهاني) ت502 هـ .(المرجع الأساسي في التحليل اللغوي الدقيق للمفردات) أفاك، أثيم، بغيًا، إصرار، هزو، ويل، رجز.(
· معجم لسان العرب – لابن منظور) ت711 هـ .(المصدر الأساسي للدلالات اللغوية والمعاني المتعددة)مثل: سماع، وراء، سخر.(
· التفسير البياني للقرآن الكريم – د .عائشة عبد الرحمن) بنت الشاطئ .(تمت الاستفادة من منهجها في التحليل البياني الذي يبدأ من النص ذاته.
· على طريق التفسير البياني – د .فاضل السامرائي .تم الاعتماد عليه في التحليلات البلاغية الدقيقة للفروق بين الألفاظ) مثل: يسمع/يستمع، الفرق بين العذاب الأليم والمهين.(

.٤مراجع الإعجاز القرآني

· إعجاز القرآن – لأبي بكر الباقلاني) ت403 هـ .(المرجع الكلاسيكي لمفهوم التحدي والإعجاز.

· النبأ العظيم – د .محمد عبد الله دراز .مرجع متكامل في إثبات مصدرية القرآن وإعجازه.
· الإعجاز البلاغي؛ دراسة تحليلية لتراث أهل العلم – د .محمد أبو موسى .تم الاعتماد عليه في فهم أبعاد الإعجاز ودقة التعبير القرآني.

.٥مراجع علوم القرآن والسنة

· البرهان في علوم القرآن – للزركشي) ت794 هـ.(
· الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي) ت911 هـ .(مرجع أساسي في فهم أنواع البلاغة وأساليب الحذف والإيجاز والتوكيد والقسم.
· صحيح البخاري – للإمام البخاري .مرجع أساسي في الاستشهاد بالسنة النبوية المطهرة لفهم سياقات النزول.
· صحيح مسلم – للإمام مسلم .المرجع الثاني للاستشهاد بالسنة في شرح معاني الآيات.

.٦مراجع التربية والتزكية وعلم النفس

· إحياء علوم الدين – للإمام الغزالي) ت505 هـ .(الأصل الجامع في تزكية النفس وتهذيب الأخلاق وعلاج أمراض القلوب) الكبر، العجب، الحسد .(تم الاعتماد عليه في تشخيص أمراض "الأفاك" و "المستكبر".
· مدارج السالكين – لابن القيم) ت751 هـ .(المرجع الأساسي في فلسفة السلوك الإيماني ومنازل "اليقين" و"الخوف والرجاء" و"الشكر"، التي تم بناؤها في التحليل.
· رياض الصالحين – للإمام النووي) ت676 هـ .(مرجع معتمد في استنباط الجوانب الأخلاقية و التربوية ودروس الصحبة الصالحة.
· كتب علم النفس التربوي والإرشادي المعاصر – تم توظيف مبادئها في تحليل مفاهيم: الصدمة الإ يجابية، التشويق، استثارة الدافعية، وآليات الدفاع النفسي) مثل السخرية كتعويض عن العجز.(
ب /مصادر علم النفس وفهم السلوك الإنساني

· استخدمت التحليل النفسي المبني على فهم "الدوافع والغرائز" و"سيكولوجيا الأنا والهوى"، لكني صببته في قالب قرآني مستمد من فكرة الهوى والقلب والعقل كما في القرآن.
· مفهوم "التحيز التأكيدي" (Confirmation Bias) و"التنافر المعرفي" (Cognitive Dissonance) ظاهر في تحليل سلوك المكذبين.
· أفكار من "علم النفس الوجودي" (Existential Psychology) في معالجة أزمة العبثية لدى الملحدين.

.٧مراجع بناء الحضارة وفقه السنن والتنمية البشرية

· مقدمة ابن خلدون – لعبد الرحمن بن خلدون) ت808 هـ .(تم الاعتماد على فكره في تحليل فلسفة التاريخ وسنن قيام وسقوط الحضارات ودور "البغي" و"العصبية" في انهيار الأمم.
· فقه التمكين في القرآن الكريم – د .علي محمد الصلابي .مرجع معاصر يربط آيات الكتاب بسنن التمكين الحضاري.
· معالم في الطريق – لسيد قطب .تمت الاستفادة من تحليله لمفهوم "الجاهلية" المعاصرة وكيفية مواجهتها بالمنهج الرباني.
· فقه السنن الإلهية – د .محمد خير رمضان يوسف .مرجع في فهم القوانين التي تحكم المجتمعات.
· فقه الأولويات – د .يوسف القرضاوي .تم الاعتماد على منهجيته في ترتيب الأولويات) تزكية النفس قبل الانشغال بالآخرين.(
· مراجع التنمية البشرية المعاصرة – التي تعنى بالوعي الذاتي وإدارة الوقت والذكاء العاطفي و الروحي، وقد تم أسلمتها من خلال ربطها بمقاصد الآيات.

.٨مصادر السيرة النبوية والشمائل

تم الاعتماد على السيرة النبوية كمصدر تطبيقي لفهم كيف حوّل النبي ﷺ هذه التوجيهات القرآنية إلى واقع حي، وخصوصاً في خلق "العفو" و"القيادة بالمنهج".

· الرحيق المختوم – لصفي الرحمن المباركفوري .مرجع معاصر موثوق لاستنباط الدروس القيادية والإ يمانية من السيرة.
· فقه السيرة – للشيخ محمد الغزالي .مرجع متميز في استخراج الدروس التربوية والفقهية و

الحضارية من أحداث السيرة.
· الشفا بتعريف حقوق المصطفى – للقاضي عياض) ت544 ه- .(تم الاعتماد عليه في إبراز كمال أخلا ق النبي ﷺ كقدوة في العفو والتواضع والصبر.

.٩مصادر ومراجع أصول الفقه وقواعد الاستنباط

لدعم الرؤية المنهجية بأن السورة تؤسس ل- "الشريعة" ول- "منهج التفكير"، تم الاعتماد على قواعد أصول الفقه في ربط النص بالواقع.

· الموافقات في أصول الشريعة – للإمام الشاطبي) ت790 ه- .(المرجع الأهم على الإطلاق في علم "مقاصد الشريعة"، وقد تم توظيفه بكثافة في استخراج الغايات الكبرى للسورة) حفظ الدين، حفظ العقل، حفظ النفس، إقامة العدل.(
· الرسالة – للإمام الشافعي) ت204 ه- .(الأصل المؤسس لعلم الأصول، وتم الرجوع إليه في تحليل د لالات الأمر والنهي العام والخاص في الآيات.
· القواعد الفقهية – لعلي أحمد الندوي .مرجع مساعد في تطبيق قواعد مثل "الضرر يزال" و"المشقة تجلب التيسير" في فهم أوامر الصبر والعفو.

.١٠مراجع الخطاب والتحليل التداولي

لتفسير كيف تخاطب الآيات الوجدان وتبني الصورة الذهنية، تم الاستفادة من مفاهيم نظرية الخطاب وتحليل النص.

· نحو تحليل الخطاب الديني – د .محمد مفتاح .مرجع يساعد في فهم استراتيجيات الإقناع والتأثير في النص القرآني) استخدام الاستفهام التحدي، أسلوب القسم، التبشير بالعذاب.(
· البلاغة العربية؛ أسسها وعلومها وفنونها – د .عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .مرجع جامع لفنون البلاغة التطبيقية التي توظف في التخاطب مع الوجدان والعقل.

· مناهج الخطاب الإسلامي) د .طه جابر العلواني، ود .عبد الكريم بكار.(
· كتب في "فنون الرد على الشبهات") مثل كتب د .سامي عامري، أو سلطان العميري في مناهج اليقين.(
· مصادر فقه الدعوة.

.١١الموسوعات الرقمية والمواقع الإلكترونية الموثوقة) للبحث والتحقق(

هي الأدوات البحثية الحديثة التي تسهل الوصول إلى نصوص المراجع المذكورة أعلاه وتمحيصها.

· المكتبة الشاملة) الإصدارات المختلفة(: كنز رقمي يحوي آلاف الكتب التراثية والمعاصرة في التفسير واللغة والفقه .لا غنى عنها للباحث.
· موقع "تفسير"(Tafsir.app) : منصة رقمية متخصصة تجمع أمهات التفاسير وتتيح البحث المقارن، وهي أداة أساسية للتحليل الذي قدمناه.
· موقع "إسلام ويب"(IslamWeb.net) : مرجع موثوق للمقالات والفتاوى التي تعين على فهم السياقات المعاصرة للقضايا التي تثيرها الآيات.
· الموسوعة الفقهية الكويتية: صرح علمي موسوعي يُرجع إليه في ضبط المصطلحات الفقهية و القانونية المستنبطة من الآيات.
موقع تفسير :(tafsir.app) مجمع رائع لكل التفاسير.
· موقع الدرر السنية: الموسوعة الحديثية الأشهر.

المحامي احمد عبد الرزاق مربوش العامري